نحو تأصيل إسلامي للتاريخ
المنهج

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

منهج كتابة التاريخ الإسلامي
لماذا؟ وكيف؟

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة

الوفاء للطباعة والنشر

منهج كتابة التاريخ الإسلامي

لماذا؟ وكيف؟

كافة حقوق الطبع محفوظة

الطبعة الثالثة

١٤١٤هـ - ١٩٩٤م

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة

الإدارة والمطابع : المنصورة ش الإمام محمد عبده المواجه لكلية الآداب ت : ٣٤٢٧٢١ / ٣٥٦٢٢. / ٣٥٦٢٣.

فرع المنصورة : أمام كلية الطب ت : ٣٤٧٤٢٣ .... ص . ب ٢٣. تلكس DWFA UN 24004

فرع القاهرة : ٤١ ش شريف ت : ٣٩٢١٩٩٧/ ٣٩٣٤٥١٨/ ٣٩٣٤٦٠٦

نحو تأصيل إسلامي للتاريخ

المنهج

أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ

منهج كتابة التاريخ الإسلامي لماذا؟ وكيف؟

الدكتور جمال عبد الهادي محمد مسعود
الأستاذ المساعد بقسم التاريخ الإسلامى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

الدكتورة وفاء محمد رفعت جمعة
الأستاذة المساعدة بقسم التاريخ الإسلامى
« طالبات » كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
جامعة أم القرى

دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع - المنصورة . ش.م.م

بسم الله الرحمن الرحيم

المقدمـــة

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله القائل : ﴿ قل الحمد لله ، وسلام على عباده الذين اصطفى ، ءآلله خير أمّا يشركون ؟ أمّن خلق السموات والأرض ، وأنزل لكم من السماء ماءا فأنبتنا به حدائق ذات بهجة ، ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ، أإله مع الله ؟ بل هم قوم يعدلون . أمّن جعل الأرض قرارا وجعل خلالها أنهارا ، وجعل لها رواسى ، وجعل بين البحرين حاجزا ، أإله مع الله ، بل أكثرهم لا يعلمون . أمّن يجيب المضطر إذا دعاه ، ويكشف السوء ، ويجعلكم خلفاء الأرض ، أإله مع الله ؟ قليلا ما تذكرون . أمّن يهديكم فى ظلمات البر والبحر ، ومن يرسل الرياح بُشْرًا بين يدى رحمته أإله مع الله ؟ تعالى الله عما يشركون . أمّن يبدؤ الخلق ثم يعيده ، ومن يرزقكم من السماء والأرض ، أإله مع الله ؟ قل هاتوا برهانكم إن كنتم صادقين ﴾[١] .

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، شهادة عبد مقرّ بعبوديته لله رب العالمين . وأشهد أن محمدا عبده ورسوله ، الذى بلّغ الرسالة وأدَّى الأمانة ونصح الأمة ، فجزى الله محمدا خير ما جازى نبيا عن أمته . اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

أما بعد :

فإن الأمة المسلمة هى خير أمة أخرجت للناس : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف ، وتنهون عن المنكر ، وتؤمنون بالله ﴾[٢] .

ولذلك فإن بنى آدم لم يعرفوا تاريخا ذا صفحات بيض مثل صفحات التاريخ الإسلامى ، تاريخ الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره :

---

(١) النمل : ٥٩ : ٦٤ .

(٢) آل عمران : ١١٠

﴿ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين﴾[1] .. وتاريخ الأمة المسلمة الواقع التطبيقى لهذا الدين . هذه الصفحات البيض للتاريخ الإسلامى قد تعرضت ، مع تعرض بلاد الإسلام للغزو العسكرى ، لغزو فكرى ، قام على أكتاف المستشرقين يعاونهم الكثير من أبناء العرب والمسلمين ، استهدف تشويه وتزييف التاريخ الإسلامى ، كما حرص على التجاهل والتجهيل بهذا التاريخ .

وقد ترتب على هذا الغزو ، أن الأمة المسلمة أصبحت تنظر إلى نفسها وغيرها ، من خلال كتابات ، صنعتها أيد أجنبية عن دينها ، وعقيدتها ، وتاريخها ، أجنبية عن مشاعرها وإدراكها ، أجنبية عن اهتمامها بالأمور ، وإحساسها بالحياة ، وتقدير الأشياء ، ثم هى بعد ذلك كله مغرضة ، فى الغالب ، تبغى لها الشر لا الخير .

وهذه جريمة ترتكب فى حق الأمة المسلمة التى من صالحها أن ترى حقيقة دورها فى تاريخ البشرية ، وأن تعرف مكانتها فى خط سير التاريخ وأن تتبين قيمتها فى العالم الإنسانى ، وليست فائدة هذا فائدة نظرية مجردة ، بل إنها أكبر من ذلك وأشمل ، فعلى ضوئها يمكن للأمة أن تحدد موقفها الحاضر ودورها فى المستقبل ، وأن تسير فى أداء هذا الدور على هدى ومعرفة بالظروف والعوامل العالمية المحيطة بها ، بعدما تتخذ من الوسائل والأسباب اللازمة لمواجهة هذه الظروف وتلك العوامل .

والمؤسف حقا أن دور العلم التى أنشئت أساسا لتربية الشباب المسلم الأساس الضرورى لبناء الأمة المسلمة ، دأبت على تلقين الأجيال تاريخا إسلاميا مشوها ، وتاريخا جاهليا مضخما ، لا عن مجرد خطأ غير مقصود ولكن عن نية خبيثة من الاستعمار الغربى والصهيونية العالمية التى يهمها أن لا تجد الأمة المسلمة فى تاريخها ما تعتز به ، وأن ترى - أوروبا - كنموذج للجاهليات ، على العكس هى صاحبة الدور الأول فى التاريخ الإنسانى ، فإذا يئست الأمة من ماضيها بعد أن استعرضت دورها فى حياة البشرية ، وامتلأت نفوسها إعجابا بالدور الذى

---

(١) آل عمران : ٨٥ .

قامت به أوروبا ، وإكبارا للرجل الأبيض ، سهل قيادها على الأعـداء وذلت رقابها لهم .

وفى ثنايا هذا الكتاب يجد القارىء :

أولا : ضرورة تأصيل الدراسات التاريخية تأصيلا إسلاميا .

ثانيا : عرض نماذج للموسوعات التاريخية والمراجع والمناهج التى تعرض التاريخ الإسلامى وغير الإسلامى بمعزل عن المنهج الإسلامى للدراسات التاريخية .

ثالثا : تصورا عاما مقترحا لمواد التاريخ الإسلامى .

رابعا : نماذج لمواد بديلة عن مناهج التاريخ القديم ، القاسم المشترك بين دور العلم فى العالم .

خامسا : مفهوم العلم ، وضوابطه ومنهج تلقيه ، كمدخل لحديث حول المنهج الإسلامى ، للدراسات التاريخية والحضارية .

وهذا العرض يهدف إلى تنبيه الأذهان إلى ما وقع فى تاريخ الأمة المسلمة من تشويه وتزييف يستلزم من القادرين من أبناء المسلمين : حكومات وأفراد القيام بتنقية هذا التاريخ « مرجعا ومنهجا » ، مما ألحقه به المستشرقون ومن سار على نهجهم ؛ وسوف يكون لهذا التصحيح قيمة فى حساب المصلحة الإنسانية ، فكم لأخطاء التاريخ من أثر فى إقامة الحواجز بين بعض الأمم وبعض العناصر وبعض الكتل ، وكم لها من أثر فى سوء تقدير الجماعات للجماعات ، والأجناس للأجناس . والأفراد للأفراد والعقيدة والمبادىء والحضارات ، وهذا يؤذى البشرية فى حاضرها ويؤذيها فى مستقبلها .

كما أنه من حق البشرية الضالة اليوم أن تحصل على صورة صحيحة لتاريخ البشر على الأرض ، ومن الإجرام فى حقها تزوير ذلك التاريخ ، وإعطائها معلومات مضللة وخاصة فى مجال العقيدة ، ومن الأمانة العلمية أن يمتنع العلماء وخاصة الذين يرسمون للناس صورة القرون الخوالى عن تقديم كتابات يعلمون أنها غير صحيحة ، كما أنه من واجب القادرين إزالة أخطاء التاريخ وإزالة آثارها وتصحيحها التصحيح الواجب ، لأنه ليس من مصلحة الإنسانية أن ترى الحياة كلها من زاوية واحدة لا تكشف عن كل جوانبها . وأن تسوده

فكرة خاطئة عن ماضيها وحاضرها ، وأن تجهل الدوافع الكاملة لسيرها وتحركها ، والقيم الأساسية لحياتها وحضارتها ، لأن هذا الجهل لينشيء أخطاء عميقة الأثر لا فى التصور والتفكير فحسب ، ولكن فى علاقات الأمم بعضها ببعض ، وفى علاقات الكتل الدولية بعضها ببعض ، كما ينشيء أخطاء بعيدة المدى فى تكييف سياسة كل أمة وتوجيهها ؛ هذه الأخطاء ينشأ معظمها عن سوء دراسة التاريخ البشرى وسوء تقدير الدور الذى قام به الإسلام والذى يمثله العالم الإسلامى ، هذا العالم الذى يمثل وحدة إنسانية شاملة ، لها كل خصائصها المستقلة ، ويمثل قوة إنسانية ثابتة لا يؤثر ضعفها العسكرى الطارىء إلا تأثيرا عارضا فى وزنها الحقيقى .

تمهيـــد

﴿ تبارك الذى بيده الملك وهو على كل شيء قدير . الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا وهو العزيز الغفور ﴾ (١) .

خلق الله الإنسان وقد أخذ عليه العهد بأنه ربه ومالكه ، ومُتعهده بالإصلاح والتربية ، وصاحب الحق فى وضع الشريعة (٢) والمنهاج الذى يجب أن يخضع لها حياته : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم ؟ قالوا : بلى شهدنا ، أن تقولوا يوم القيامة : إنّا كنّا عن هذا غافلين . أو تقولوا إنّما أشرك آباؤنا من قَبْلُ ، وكُنَّا ذُرِّيَةً من بعدهم أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ (٣) ..

إذن فالغاية قد تحددت بوضوح : أن الإنسان قد خلق ليكون عبدا لله الواحد القهار : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٤) ؛ ولن تكون العبودية كاملة إلا إذا حقق المرء قوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين . لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (٥) .

وذلك يعنى أن غاية النشاط الإنسانى - بما فى ذلك طلب العلم - لابد وأن تكون محكومة بالقاعدة الشرعية ﴿ وابْتَغِ فِيمَا آتاك الله الدار الآخرة ولا تنس نصيبك من الدنيا وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ (٦) .

ومن هذا المنطلق قال رسول الله ﷺ : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سَهَّل اللهُ لهُ طريقاً إلَى الجنَّة ، وإنَّ الملائكةَ لَتضَعُ أجنحتها لطالبِ العِلْمِ رِضاً بِمَا يصنَعُ ، وإنَّ العَالِمَ لَيَسْتَغْفِرُ له من فى السموات ومن فى الأرض حتى الحِيتَانِ

(١) الملك : ١ .
(٢) وهو كل ما شرعه الله لتنظيم الحياة البشرية .
(٣) الأعراف : ١٧٢ - ١٧٣ .   (٤) الذاريات : ٥٦ - ٥٨ .
(٥) الأنعام : ١٦٢ - ١٦٣ .   (٦) القصص : ٧٧ .

فى الماء ، وفَضْلُ العالم على العابد كفضل القمر على سائر الكواكب ، وإنَّ العلماء ورثة الأنبياء ، وإنَّ الأنبياء لم يُوَرِّثُوا دينارا ولا درهما ، إنَّما وَرَّثُوا العلم ، فمن أخذه أخذ بحظ وافر » (١) .

ومن هذا المفهوم قال رسول الله ﷺ : « طلبُ العلم فريضة على كُلِّ مسلمٍ ، وواضعُ العلمِ عِنْدَ غَيرِ أهله كَمُقَلِّدِ الخنازير الجوهر واللُّؤْلؤ والذهب » (٢) .

وفى هذا المعنى قال معاذ بن جبل رضى الله عنه : (تعلموا العلم ، فإن تَعَلُّمَهُ لله خشية وطلبه عبادة ، ومذاكرته تسبيح ، والبحث عنه جهاد ، وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة ، وبذله لأهلة قربة ، لأنَّه معالم الحلال والحرام ، ومنار سبل أهل الجنة وهو الأنيس فى الوحشة ، والصاحب فى الغربة ، والمحدث فى الخلوة ، والدليل على السراء والضراء ، والسلاح على الأعداء ، والزين عند الأخلاء ، يرفعُ الله به أقواماً فيجعلهم فى الخير قادةً قائمة تُقْتَصُّ آثارهم ، ويُقْتَدىَ بِفِعَالِهِمْ ، ويُنْتَهىَ إِلَى رَأْيِهِمْ ، ترغب الملائكة فى خلّتهم ، وبأجنحتها تمسحهم ، ويستغفر لهم كل رطب ويابس ، وحيتان البحر وهوامه ، وسباع البر وأنعامه لأن العلم حياة القلوب من الجهل ، ومصابيح الأبصار من الظلم ، يبلغ العبدُ بالعِلْمِ مَنَازِلَ الأَخْيَار والدرجات العلى فى الدنيا والآخرة ، التفكر فيه يعدل الصيام ، ومدارسته تعدل القيام ، به توصل الأرحام ، وبه يعرف الحلال والحرام ، وهو إمام العمل ، والعمل تابعه ، يلهمه السعداء ويحرمه الأشقياء)(٣) .

ودورُ العلم الإسلامية ليست مطالبة بتحديد الهدف ، ولا ابتداع المنهج ، ولا ابتكار مادته ، وإنَّما أمامها كتاب الله تعالى وسنة النبى محمد ﷺ ، وما عليها إلا تطبيق المنهج ، وتهيئة الظروف والوسائل والأدوات الكفيلة بهذا التطبيق ، وهذا التطبيق لا يتأتى إلّا بعد استيعاب المنهج وفقهه .

---

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه وابن حبان فى صحيحه والبيهقى .

(٢) رواه ابن ماجه وهو ضعيف كما قال فى الزوائد وروى القطعة الأولى منه الإمام مسلم فى صحيحه .

(٣) رواه ابن عبد البر النمرى فى كتاب العلم وقال هو حديث حسن جدا ولكن ليس له إسناد قوى وورويناه من طرق شتى مرفوعا عن معاذ بن جبل : قلت وهو الأشبه .

وأصالة أى منهج تعليمى فى أى بلد إسلامى لا مقياس له سوى هذا : مدى الالتزام بكتاب الله تعالى وسنة الرسول ﷺ ، واستيعاب مضمونهما ، وعدم الخروج عليهما بما يناقضهما أو يناهضهما .

والمحزن حقا ، أن ما تسمى بالعلوم الإنسانية ، بما فى ذلك العلوم التاريخية والحضارية والأثرية ، قد أُعِدَّتْ وجُهِّزت وعُرِضَت – مع تعرض الأمة المسلمة للغزو الفكرى والعسكرى ، لخدمة أهداف غير أهداف الأمة المسلمة ، التى حددها القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ . ومما لا شك فيه أن انفصام مناهج التعليم عن القرآن والسنة ، وابتعادهما التدريجى عن الأخذ المباشر عنهما قد أدى إلى توجيه المناهج توجيها غير إسلامى – مع تعرض الأمة المسلمة للغزو العسكرى والفكرى – بحيث أصبحت لها مناهج بديلة « عن كتاب الله عز وجل » ؛ هذا الانفصام جر على التربية نتائج خطيرة ما كانت لتحدث لو ظل القرآن والسنة هما محور المنهج ومصدره .

إن التزام المنهج بكتاب الله وسنة الرسول محمد ﷺ يمكن أن يحمى التربية من السقوط والجمود الذى انتهت إليه ، والذى نشاهد نتائجه الآن فى المجتمعات المعاصرة .

ولكى يمكن للعلوم التاريخية والحضارية (بما فى ذلك الجانب المادى وهى الدراسات الأثرية) أن تؤدى دورها فى إعداد الفرد المسلم لبنة المجتمع الإسلامى وبمعنى أدق صياغة أفراد المجتمع من الناحية السلوكية والخلقية والعقلية طبقا للنموذج الذى رسمه الإسلام للفرد المسلم ، لابد وأن تعود لها أصالتها الإسلامية . والأمة المسلمة ليست مخيرة فى ذلك : ﴿ ما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم ﴾ (١) .

وهذا هو السبيل ولا طريق سواه ، إذَا رمنا إعداد جيل مسلم يتحمل أمانة الدعوة إلى دين الله ، والجهاد فى سبيل الله ، لتكون كلمة الله فى الأرض – كل الأرض – هى العليا ، وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، والله عزيز حكيم .

---

(١) الأحزاب : ٣٦ .

الفصـــل الأول

المنهج الإسلامى
للدراسات التاريخية فى ضوء الدراسات المعاصرة
ضرورة شرعية

المنهج الإسلامى
للدراسات التاريخية فى ضوء الدراسات المعاصرة
ضرورة شرعية

إن العلوم الشرعية (علوم الكتاب والسنة) ومنها (التوحيد والفقه وأصول الفقه ، وغيرها) تعلم الدارس المسلم والمعلم المسلم كيف يزن الأمور بميزان الإسلام ، ميزان الكتاب والسنة . وينشيء لدى الدارس والباحث المسلم الخشية لله والفهم والإدراك لمعالم الحلال والحرام ، والحق والباطل ، والغث والطيب ، لذلك فإن قاعدة من العلوم الشرعية ضرورية ولازمة لكل دارس وباحث ، خاصة هؤلاء الذين يدرسون علوما بمعزل عن العلوم الشرعية (وما كان يجب أن يحدث ذلك) . كما أن خضوع الأقسام المختلفة فى الكليات والجامعات لنظام الله وشرعه واجب على اعتبار أن الإسلام نظام حياة شامل : عقدى وثقافى وتعليمى وسياسى واقتصادى و ... إلى غير ذلك من شئون الحياة : ﴿ ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ﴾ . والوجوب يتأكد فى حق أقسام التاريخ الإسلامى الذى اتبع فى كتابته ودراسته وتدريسه ووضع مناهجه ومراجعه طرقا استشراقية وغير إسلامية ، بل يمكن القول إنها معادية للإسلام ، وتسعى إلى تقويض بنيانه (لا مكنهم الله من ذلك) . هذه المناهج بمفرداتها ومراجعها تعكس لنا انحرافا فى التصور لدى أصحابها ، نتيجة عدم إقرارهم (وقد يكون ذلك راجعا إلى جهلهم) بشمولية الدين الإسلامى : ﴿ ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء ﴾ والذين يستطيعون أن يقوموا هذا الانحراف والوقوف فى وجه استمرار اتساع زاوية انفراجه بصورة أضحت تهدد حياة المسلمين فى كل مكان ، هم أساتذة العلوم الشرعية أو العلماء المسلمون ، وهذا لا يمكن أن يتحقق إلا إذا عادت الأمم والشعوب بحياتها كلها لنظام الإسلام ، وشرعه ، تستلهم منه العون والتوجيه فى مناهج التعليم ومراجعه ومصادره .

---

(١) الجاثية : ١٨ .　(٢) النحل : ٨٩ .

وهذا ليس بمستحيل أو غير ممكن ، فأمامنا نموذج من الأمم المعاصرة التى بلورت التوجيهات الربانية فيما يتصل بسياسة التعليم فى الإسلام إلى مواد ينادى بها دستور الدولة ، هى المملكة العربية السعودية . ولقد أوجبت السياسة الشرعية للإسلام ، والتى بلورتها السياسة التعليمية للمملكة [1] فى مواد منها :

(أ) ضرورة توجيه العلوم بمختلف أنواعها وموادها منهجا وتأليفا وتدريسا وجهة إسلامية فى معالجة قضاياها ، والحكم على نظرياتها وطرق استثمارها حتى تكون منبثقة من الإسلام ومتناسقة مع الفكر الإسلامى السديد (المادة ١٢) .

(ب) غاية التعليم فهم الإسلام فهما صحيحا متكاملا ، وغرس العقيدة الإسلامية ونشرها وتزويد الطالب بالقيم وبالتعاليم الإسلامية وبالمثل العليا وإكسابه المعارف والمهارات المختلفة ، وتنمية الاتجاهات السلوكية البناءة ، وتطوير المجتمع اقتصاديا وثقافيا ، وتهيئة الفرد ليكون عضوا نافعا فى بناء مجتمعه (المادة ٢٨) .

(ج) تدريس التاريخ دراسة منهجية مع استخلاص العبرة منه ، وبيان وجهة الإسلام فيما يتعارض معه ، وإبراز المواقف الخالدة فى تاريخ الإسلام وحضارة أمته حتى تكون قدوة لأجيالنا المسلمة تولد لديها الإيجابية (المادة ٤٧) .

(د) النهوض بحركة التأليف والإنتاج العلمى بما يطوع العلوم لخدمة الفكرة الإسلامية ، ويمكن البلاد من دورها القيادى البناء لحضارة الإنسانية على مبادئها الأصيلة التى تقود البشرية إلى البر والرشاد ، وتجنبها الانحرافات المادية (المادة ١٩٧) .

(هـ) ينبغى أن تكون المناهج منبثقة من الإسلام ، ومن مقومات الأمة وأسس نظامها ، موافقة لحاجات الأمة ترمى إلى تحقيق أهدافها (المادة ١٩٦) .

---

(١) الوثيقة الرسمية الصادرة عن مجلس الوزراء السعودى عام ١٣٨٨ هـ ، والتى تحدد المسار الذى يجب أن يتمشى بموجبه التعليم فى كل المراحل وتنص المادة الأولى : السياسة التعليمية فى المملكة العربية السعودية تنبثق من الإسلام الذى تدين به الأمة عقيدة وعبادة وخلقا وشريعة وحكما ونظاما متكاملا للحياة .

(و) يكون الكتاب منسجما مع مقتضيات الإسلام ، سليم اللغة ، وفيا بأهداف المجتمع ومقاصده العلمية والعملية والخلقية (المادة ١٩٨) .

فأين مناهج ومراجع أقسام التاريخ فى العالم الإسلامى من هذه المبادىء الإسلامية الواجب خضوع المسلمين لها ؟ والسير على هديها ؟

إن الفصل بين الدراسات الشرعية والدراسات التاريخية قد أدى إلى أن تقوم الدراسات التاريخية المعاصرة فى العالم أجمع ، وفى البلاد الإسلامية على وجه الخصوص على الأساس الذى وضعته المدرسة الاستشراقية التى تقوم على أكتاف اليهود والنصارى يعاون فى ذلك كثير من أبناء العرب والمسلمين . فلقد تبنت الدراسات التاريخية المعاصرة المناهج الاستشراقية وأساليبها فى عرض المادة التاريخية وتفسيرها ، فنشأ عن ذلك أجيال من خريجى الجامعات ، وأساتذة التاريخ ، لا يعرفون أحكام دينهم ؛ ولا يشعرون بأى صلة تربط هذا التاريخ بدراسة الشريعة وأحكام الإسلام ، وأكبر دليل على ذلك ما نسمعه من استنكار صلة الدين الإسلامى بالتاريخ .

إن التاريخ الإسلامى هو تاريخ هذا الدين الواحد وهو الإسلام : ﴿ إن الدين عند الله الإسلام ﴾[1] ، وهو تاريخ تطبيق هذا الدين .. تاريخ تطبيق شريعة الله إلى أبناء آدم عليه السلام .. تاريخ الصراع بين الحق والباطل بين حزب الله وحزب الشيطان .. تاريخ انتصار الرسل والدعاة فى دعوتهم إلى الله عز وجل ، واندحار موجات الكفر وأهله .. تاريخ أمم عرفت أوامر الله ونواهيه ولم تلتزم بها فكان عاقبة أمرها خسرا .. تاريخ رجال لا يخشون فى الله لومة لائم .. وعلماء جندوا علمهم لله ، وآخرون عتوا عن أمر ربهم ، وباعوا أنفسهم للشيطان ، وجعلوا دين الله مطية لأهوائهم ورغباتهم ، فطغوا وتجبروا وظنوا أنهم قادرون على كل شيء ، فأخذهم الله أخذ عزيز مقتدر .

ومن هنا تأتى العلاقة بين التاريخ والدين ، وهى علاقة وثيقة ... إن التاريخ الإسلامى يروى لنا تاريخ العقيدة الصحيحة ... وجزاء من يلتزم بها ويقاتل من أجلها ، وجزاء من يعرض عنها ، ويصرف الناس عنها .

إن الذين يكتبون ويدرسون التاريخ بمعزل عن العلوم الشرعية الإسلامية

---

(١) آل عمران : ١٩ .

يجردون الدراسات التاريخية من التصور العقدى الإسلامى ، ويقطعون الصلة الوثيقة بين التاريخ والدين ، رغم أن التاريخ هو خادم للدين وعلومه الشرعية .

فالتاريخ عند هؤلاء المتمردين على دين الله عز وجل ، هو مجرد سرد أحداث ووقائع ثم التعليق عليها أو تفسيرها تفسيرات بعيدة عن المنهج الربانى .. لأن الذى يقدمها أصلا (سواء كان مراجعا أو أستاذا) هو جاهل بالمنهج الربانى ، جاهل بالسنن الربانية فى الكون وفى حياة الأمم والشعوب والأفراد ، جاهل بالسنن الربانية فى التمكين للأمم فى الأرض : ﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات لَيَسْتَخْلِفَنَّهُم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم ، ولَيُمَكِّنَنَّ لهم دينهم الذى ارتضى لهم وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا ﴾ (١) .

جاهل بالسنن الربانية فى تنحية الأمم عن مواقع القيادة :

﴿ وإنْ تَتَولَّوْا يستبدل قوما غيركم ثم لا يكونوا أمثالكم ﴾ (٢) - ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ (٣) .

وآكد دليل على ما ذهبنا إليه هو الدراسات التاريخية المعاصرة منهجا ومرجعا ومصدرا ، التى تقدم لنا الدليل على أنها تأثرت بكل فكر ونظرية معادية للإسلام ، غربية كانت أو شرقية - فأنكرت الخالق عز وجل وجعلت من أنبياء الله ورسله مصلحين (مع نفى الرسالة والوحى) ، وجعلت منهم سفاك الدماء والسكير والزانى والديوث ، وجعلت من بعضهم تاريخا أسطوريا لا أصل له .

هذه الدراسات التاريخية المعاصرة تطاولت على الصحابة والدعاة فشوهت تاريخهم وزيفته ، وجعلتهم مادة للسخرية والاستهزاء ، ووصفتهم وفسرت أعمالهم وأفعالهم بتفسيرات مادية ماركسية وقومية ، وتجاهلت أو تعمدت تماما أن تبعد التفسيرات العقدية الإسلامية ، بل إن وجدت تفسيرات حدث بها رب العزة عز وجل فى كتابه الكريم فى صراحة ووضوح أهملتها وتجاهلتها أو شككت فيها .

إن التاريخ الإسلامى هو تاريخ عقيدة ونظام حياة شامل ؛ لها سماتها

---

(١) النور : ٥٥ . (٢) محمد : ٣٨ . (٣) سبأ : ١٧ .

وخصائصها وميزاتها ، ولذلك فمن لم يكن له قاعدة فكرية ، وثقافية من العلوم الشرعية ، وفهم للسنن الربانية يجيء فهمه لأحداث التاريخ وتفسيراته لها مجافيا للصواب . (كما سنرى بإذن الله) .

إن التاريخ الإسلامي هو الصورة التطبيقية للإسلام ، وهو الوثيقة الصحيحة على نجاح الإسلام كمنهج للحياة صالح لكل زمان ومكان ، ولا يستطيع أن يفهم التاريخ الإسلامي ، أو يكتب فيه ، أو يدرسه دراسة صحيحة من هو جاهل بالإسلام وشريعته وعقيدته .

إن التاريخ الإسلامي هو تاريخ تطبيق الشريعة الإسلامية التطبيق الواقعي طالما كان بها الالتزام ؛ إنه تاريخ الأمم والشعوب التي كانت تعيش بالإسلام وعلى الإسلام ، وكل انحراف عن الطريق السوى أصاب هذا التاريخ كان نتيجة للانحراف عن تلك الشريعة الربانية . فدراسة التاريخ هي دراسة للإسلام من الناحية التطبيقية ، وهي دراسة للذين أخلصوا له وللذين أساءوا إليه من داخل الأمة أو خارجها .

والدليل على الاتهام هو ما نجده فى المؤلفات التاريخية ومناهجها .

فالمؤلفات التاريخية المعاصرة تفتقد العرض الذى يقوم على أساس العقيدة الإسلامية ، لأن فاقد الشيء لا يعطيه ، كما أنها تمتلىء بتفسيرات غير إسلامية ، أو مناهضة للإسلام سواء كانت مادية ماركسية أو قومية وضعها فى الأصل أعداء الإسلام لهدم هذا الدين الذى هو نظام شامل ... وجاء أبناء المسلمين يطبقون نفس الخط فى مؤلفاتهم ، يخربون دين أمتهم وحضارتهم بأيديهم ... ولقد نفذوا المخطط ، وتجاهلوا أو لم يتجاهلوا الهدف وراء هذا المخطط .

ونظرة سريعة على إنتاجهم الذى يسمونه علميا نجد أنهم قد أرخوا لبداية تاريخ الإنسانية ، فجعلوه تاريخ مجموعة من الحيوانات تطورت عن الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات(١) . كما حولوه إلى تاريخ وثنى جاهلى محض لا وجود فيه لدين هو الإسلام أوجب الله على البشرية اعتناقه ، ولا وجود لرسل ولا لأنبياء ولا لوحى ولا لإله واجب التعبد له .

أما ما يسمونه بالتاريخ الوسيط ، وهو تاريخ العصور المظلمة والإقطاع

(١) انظر للمؤلف أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى السماء والأرض ، دار الوفاء .

وتسلط الكنيسة فى أوروبا فجعلوا فيه سيرة النبى محمد ﷺ ، وسموها ، عصر النبوة ! وجعلوا فيها الخلافة الراشدة وسموها عصر الراشدين !! والدولة الأموية والدولة العباسية ، وعرضوا تاريخ أمة الإسلام فى هذا العصر على أنه تاريخ صراع بين الصحابة والتابعين وغيرهم ، وعصر فتوحات أهدافها اقتصادية وقومية ، وترف ومجون .. إلى غير ذلك .

حتى إنّ النقاش العادى بين صحابى وآخر وصفوه بأنه نزاع وصراع ؛ تبادل الرأى بين صحابى وآخر وصفوه بأنه فتنة ، ووصفوه بأنه مؤامرة .. سلطوا الأضواء بخبث على القصر ، على العاصمة .. وتجاهلوا العالم والقائد والجندى والشعب .. لقد تجاهلوا مآثر القصر وخشية الحكام لله عز وجل ، واحترامهم للعلماء لقد أهملوا كل هذا ، بل اعتبروا إهماله واجبا ، لأن **ذلك ليس من التاريخ ولكنه من الدين !!!**

لقد خلف لنا أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى : « تاريخ الرسل والملوك » ، وقبلها خلف لنا جامع البيان من تأويل أحكام القرآن ، وكتبا فى الفقه والحديث ، بل ويقال : إنه قد ألف فى العروض .

وجمع أبو جعفر فى كتابه ما وقع عليه من روايات تاريخية ، ونبه القارىء والدارس والباحث إلى ضرورة جرح وتعديل الرواية التاريخية قبل استخدامها والاعتماد عليها ، لأنه قد أسند ومن أسند فقد حمّلك ، وقال فى مقدمة كتابه : (فما فى كتابى هذا من خبر يستنكره قارئه ، أو يستشنعه سامعه من أجل أنه لم يعرف له وجها فى الصحة فليعلم أنه لم يؤت فى ذلك من قبلنا وإنما أتى من قبل بعض ناقليه إلينا ، إنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا) (١) .

ماذا كان موقف كتاب التاريخ المعاصرين من استخدام هذه الروايات ؟؟؟ لقد استخدموا الروايات الضعيفة التى تخدم أهواءهم وتخدم المخططات الاستشراقية ، وأهملوا ما قاله الطبرى ، وأهملوا الإشارة إلى السند وأهملوا جرحه وتعديله .. فجاء التاريخ الإسلامى مشوها محشوا بالكذب والافتراء على هذا الدين وأهله ..

---

(١) تاريخ الرسل والملوك ، جـ ١ ، ص ٨ .

أليس فى هذا درس كاف لنا لكى لا نجرد التاريخ وهو تاريخ الإسلام من ضوابط العقيدة والشريعة ؟؟ ..

لقد ترتب على هذا التزييف والتشويه تربية أجيال تفصل بين الدين والحياة ، بين الدنيا والآخرة بين العلم والدين . وتنادى العلم للعلم ، والفن للفن ، والأدب للأدب ، وترسم للبحث العلمى دائرة مستقلة لا دخل فيها للدين ، وفى ظل هذا التصور لا حرج على الإنسان أن يبحث فى أى شيء ولو كان حراما أو عقيما لا خير فيه .

ولا حرج على المشتغل بالتاريخ أن يتطاول على الشريعة ، وعلى دين الله ، بل وعلى أنبياء الله وعلى صحابة رسول الله بحجة الموضوعية العلمية ﴿ قاتلهم الله أنّى يؤفكون ﴾[1] !!

لا حرج على المشتغل بالتاريخ أن يهمل المعجزات الربانية التى أيد الله بها أنبياءه وأولياءه بحجة العقلانية .. ولا حرج على المشتغل بالتاريخ أن يصف الأنبياء بالمصلحين .. وأخبار القرون الأولى التى بينها الله فى كتابه الكريم بالأساطير والقصص الشعبى ، وهذا ما سندلل عليه ، على الصفحات التالية ، لأن الله سبحانه وتعالى قد أكرمنا بدين علّمنا أنه لا اتهام بدون دليل ؛ لأنه يترتب عليه إقامة حدود ؛ فالذين يعتدون على دين الله ؛ وعلى ذات الله ، وعلى رسل الله ، وعلى صحابة رسول الله ، ويشوهون الحقائق ويفسدون تاريخ الأمة المسلمة ، يجب أن يستتابوا ، ويعزَّرُوا إن لم يرتدعوا ويتوبوا إلى الله عز وجل ، ويرجعوا عَّما كتبوا[2] .

---

(١) التوبة : ٣٠ .

(٢) الصارم المسلول على شاتم الرسول تأليف شيخ الإسلام ابن تيمية ، توزيع دار الاعتصام ، حكم سب صحابة رسول الله (الكفاية تأليف الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن على بن ثابت بن الخطيب البغدادى (٣٩٢ - ٤٦٣ هـ) ، الهند ١٣٥٧ هـ ، ص ٤٦ - ٤٩) .

الفصل الثانى

فحص بعض الموسوعات التاريخية والمراجع والمناهج التى تعرض التاريخ الإسلامى بمعزل عن المنهج الإسلامى للدراسات التاريخية

الفصـــل الثانى

تمهيـــد

فحص بعض
الموسوعات التاريخية والمراجع والمناهج
التى تعرض
التاريخ الإسلامى وغير الإسلامى
بمعزل عن
المنهج الإسلامى للدراسات التاريخية
الذى يقوم على القرآن الكريم وسنة النبى ﷺ

معظم كتاب هذه الموسوعات التاريخية والمراجع والمناهج ينطلقون من منطلقات فكرية ، معادية للاتجاه الدينى عموما ، وللمعتقد الإسلامى على وجه الخصوص ، وهى :

(أ) إنكار وجود الله عز وجل .

(ب) تجاهل أبوة آدم عليه السلام .

(جـ) هدم الدين الإسلامى والزعم أنه من اختراع العقل البشرى ، ويدخل فى ذلك التشكيك فى كون الإسلام نظام صالح لكل زمان ومكان .

(د) تشويه وتزييف تاريخ الأمة المسلمة ، ومن ذلك :

(١) تشويه تاريخ الرسل والأنبياء عليهم السلام .

(٢) تشويه تاريخ الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم ، والطعن فى عدالتهم

(٣) تشويه تاريخ الدعاة المجاهدين ، والحكام الصالحين .

ومنهجنا فى فحص هذه المراجع يقوم على أساس :

أولا : اختيار بعض المراجع التى كتبها المستشرقون ، جنبا إلى جنب بعض المراجع التى كتبها أبناء العرب والمسلمين ، ليدرك القارىء من خلال فحص بعض الصفحات لكل مرجع ، أن ما كتبه أبناء العرب والمسلمين هو امتداد لما كتبه المستشرقون اليهود والنصارى والملحدون .

ثانيا : نظرا لضخامة العمل المطلوب القيام به فى حقل الدراسات التاريخية ، فقد اكتفينا بفحص صفحات قليلة من كل مرجع ، وإن كان ذلك لا يغنى عن فحص كل صفحات المراجع لمعرفة الشبهات ومحاولة الرد عليها ؛ ولكن حسبنا أننا قد وضعنا أقدام الراغب فى معرفة حقائق التاريخ الإسلامى علىْ الطريق ؛ ونَبهنا أمة الإسلام إلى خطورة الهجمة الفكرية غير الإسلامية التى تباشر تدميرها لفكر الأمة الإسلامية فى عقر دارها ، والتى تصد بنى البشر عن معرفة الدين الصحيح الذى يطالبها الله سبحانه وتعالى باعتناقه وهو الإسلام .

ثالثا : محاولة تفنيد الشبهات التى أوقعها المغرضون بالتاريخ الإسلامى ، مع الرد عليها فى ضوء العقيدة الإسلامية ، أى أن المعيار الذى على أساسه قمنا بتقويم ما كتبته المراجع فى التاريخ الإسلامى ، قد استقيناه من الكتاب والسنة ، لأنه الميزان الذى لا يميل مع الأهواء ﴿ الحق من ربك فلا تكونن من الممترين ﴾(١)

رابعا : إعطاء بعض المصادر الصحيحة والمراجع الحديثة التى يمكن أن تعين القارىء والباحث فى التعرف على الأخبار الصحيحة ، فيما يتصل بالتشويهات والتزييف الذى أوقعهَ كتاب المراجع بأحداث التاريخ الإسلامى ، وذلك فى نهايةَ الكتاب .

---

(١) البقرة : ١٤٧ .

الجـــزء الأول

المـوسوعات التاريخية التى تم فحص بعض مجلداتها هى :

تاريخ العالم ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات ، أشرف على إعداده جون . أ . هامرتن .

معالم تاريخ الإنسانية ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات ، أشرف على إعداده هـ . ج . ولز .

موجز تاريخ العالم ، تأليف هـ . ج . ولز .

موسوعة تاريخ العالم ، إعداد لانجر

الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف ليونارد كوتريل

الجـزء الأول

الموسوعات التاريخية التى تعالج تاريخ الإنسان والدين والمدنيات بمعزل عن التصور الإسلامى

إذا رغب إنسان مسلم فى تنمية ثقافته التاريخية والحضارية [١] عن طريق المراجع التقليدية أو عن طريق دور العلم ، سواء أكانت كليات [٢] جامعية أو غيرها ، عن الموضوعات التالية :

تاريخ الإنسان منذ أقدم العصور .

تاريخ الدين والعقيدة منذ أقدم العصور .

تاريخ المدنيات منذ أقدم العصور ..... إلى غير ذلك من الموضوعات التاريخية سوف يجد نفسه فى مواجهة أفكار ومفاهيم تتعارض والفكرة الإسلامية التى ينطوى عليها صدره ، وإن كان مضطرا أن يستوعبها ويختبر فيها للحصول على إجازته الدراسية .

من هذه الأفكار والمفاهيم التى تخالف الشريعة الإسلامية :

١ – لا خالق لهذا الكون .

٢ – الإنسان من سلالة الحيوان « القرد » وأنه تطور عن الأحياء الدنيا التى نشأت فى البرك والمستنقعات على مدار ملايين السنين .

٣ – إن الإنسان القرد كان فى بداية نشأته محدود التفكير لا يتعدى تفكيره تفكير طفل صغير بلغ الخامسة من عمره ، ولم يكن يميز بين الجمادات والكائنات الحية .

---

(١) بما فى ذلك الأثرية .

(٢) خاصة أقسام التاريخ والآثار بكليات الآداب والعلوم الإنسانية ، التى يدرس فيها مواد ما تسمى بالتاريخ القديم ، (الشرق الأدنى القديم ، مصر الفرعونية ، العراق القديم ، الأشوريون ، البابليون » ، العرب فى الجاهلية ، بلاد الشام القديم « الكنعانيون العبرانيون » ، اليونان والروم) ، والآثار القديمة . ولا يعنى ذلك أن دراسة هذه المواد يقتصر على تلك الكليات فقط ، فلقد تسلل الكثير منها إلى معظم الكليات الجامعية ودور العلم ، بما فى ذلك الكليات الأزهرية ، والجامعات الإسلامية .

٤ – إن الإنسان الحيوان لم يكن لديه إلا القليل من الحديث واللغة .

٥ – إن الإنسان البدائى كان وثنيا ، تخيل له آلهة على قدر نضوجه الفكرى ثم تطورت هذه الأفكار إلى أن وصل إلى مفهوم الدين .

٦ – أن الإنسان قد اخترع الزراعة واستأنس الحيوانات البرية ...... إلى غير ذلك مما نجده مبسوطا فى كتب التاريخ القديم والآثار (١) .

وسوف نستعرض بعض هذه الأفكار والمفاهيم غير الإسلامية نصًّا من خلال بعض المراجع الذائعة الصيت ، فى هذا المجال ، فى مكتبات دور العلم (٢) مع التعليق عليها أحيانا :

أولا : تاريخ العالم ، أشرف على إعداده « جون . أ . هامرتن ، وقام بتأليفه لفيف من أساتذة الجامعات ، منهم ج ماكولى . ترفليان ، فلندرز بترى ، ج . هـ . جينز ، ج . و . جرجرى ، د . ر . واطسن ، أرثر كيث ، هـ . ج . فلير ، دد . مارت ، جون فريزر ، اليوت سميث ، هارولد لاسكى ، ليونارد وولى ، كامبل طمسن ، برترام وندل ، وقام بالترجمة بعض الأساتذة هم ، محمد بدران ، وعبد الحميد يونس ، محمد إبراهيم الدسوقى ، محمد عوض محمد ، إبراهيم زكى خورشيد ، المجلد الأول ، الطبعة الثانية ، دار الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، مكتبة النهضة المصرية .

وقد حاول أرثر كيت (دكتوراه فى الطب والعلوم والقانون) أن يكتب عن تطور الإنسان فزعم بالحرف الواحد (علم الإنسان يتضافر مع علم التشريح على إثبات ارتقاء الإنسان ارتقاء بطيئا من الأحياء الدنيا) (ص ٤٣) .

وتحدث الكاتب عن مراحل التخليق التى مر بها الإنسان فذكر :

« الأشكال المحارية الدنيا التى اتخذت لنفسها درعا حجرية تعتصم بها

---

(١) سنرد على ذلك تفصيلا فى أبحاثنا : « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ » . إن شاء الله .

(٢) إن الهدف من بسط الحديث هنا عن هذه المراجع التى تحوى كفراً صراحاً ، وغزت المسلمين فى دور علمهم ، هو استبعادها وتطهير مكتبات المسلمين منها وممن يسير على منهجها ، لأن استمرار وجودها والسماح لأبنائنا بالاطلاع عليها ودراستها سوف يترتب عليه تربية أجيال لا تعرف لها ربًّا ولا ترتضى لها دينا .

من أعدائها المفترسة آكلة اللحوم ، ثم تأتى بعدها القشريات ذات الغلاف القرنى وذوات الفصوص الثلاثة ، ويتلوها مصعدا فى مراقى الحياة السمك ذو العمود الفقرى والهيكل العظمى الداخلى، ومن هذه الكائنات الأخيرة فريق اضطره تقلص البحيرات فى زمان طال جفافه ، أن ينشأ له رئات وأطراف ، فتطورت بذلك إلى حيوانات قوازب عمرت الغابات الفحمية الكبرى » ، (ص ٤٦) ثم تحدث الكاتب الأستاذ الدكتور تحت عنوان « تغيرات خطيرة فى الأشكال الحية » (ولقد كان التغير الذى طرأ على المناخ ... هو فى الأرجح الذى دفع ببعض الحيوانات القوازب « البرمائيات » إلى أن تخطو الخطوة الخطيرة ، فتقطع صلتها بالماء وتصبح بكليتها برية) (ص ٤٦) . ثم يتحدث الكاتب عن « الزواحف » « والحيوانات المهولة » ، « والحيوانات الثديية » ليصل إلى « أسلاف النوع الإنسانى » ، فيقول : (وفى مستهل دهر الحياة الحديثة ظهرت جماعة من المخلوقات الصغيرة لنا العذر فى أن نقصر اهتمامنا عليها لأن الغالب على الظن أنها أسلاف لنوع من القردة لم نهتد إليه حتى الآن ، وعن هذا النوع نشأت أنواع القردة البشرية الحديثة ونشأ الإنسان نفسه » ص ٤٦ .

وتحدث الكاتب عن : « الإنسان القرد » (١) ص ١٦٢ .. كما تحدث عن : « اختراع الزراعة » ص ٤٨ . وعن : « اختراع الدين » ، ص ٤٩ :

ثانيا : معالم تاريخ الإنسانية التى أصدرها هـ . ج . ولز ، وشارك فى تأليفها مجموعة من أساتذة الجامعات منهم « لورستن وورد ، روبرت فيفر ، روبرت شليفر ، ماسون هاموند ، تشارلز جاردنر ، أدوين رايتشارد ، بول كرام ، وليم تومسون ، ميخائيل كاربو فيتس ، كرين برينتون ، روبرت س . تشامبرلين ، لانجر ، وآخرين . وقام على ترجمتها د . عبد العزيز توفيق جاويد ، ط ٣ ، القاهرة ، ١٩٦٧ .

يتحدث **المجلد الأول** فى موضع منه :

---

(١) العجب ان د . عبد الفتاح محمد هيبة يقول فى كتاب مصر والعالم القديم ص ٥٧ – ٥٨ « إن العلم الحديث يؤكد أن تركيب الإنسان يشبه كثيرا تركيب جسم القرد العلوى ؟؟ » انظر أيضا المدخل إلى التاريخ ، تأليف نور الدين حاطون ونبيه عاقل ، ص ٣١ .

كيف تكون الإنسان « القردة وأشباه الإنسان والإنسان » :

« كان موضوع أصل الإنسان وعلاقته بالحيوانات الأخرى مثار جدل ونقاش شديد طيلة السنوات الأخيرة ، والرأى السائد بين العلماء هو أن الإنسان ينحدر من أسلاف أدنى منه مرتبة ، شأنه فى ذلك شأن سائر الثدييات ، وأنه والقردة الكبيرة منها الشامبانزى والأورانج أوتانج والغوريلا كان لها جميعا يوما ما جد مشترك . وأن هذا الجد قد تطور من أشكال أدنى منه أيضا ، أى من نمط من أنماط الثدييات القديمة انحدر هو أيضا من زاحفة ذات هيئة حيوانية ، وهذه نفسها انحدرت أيضا من سلسلة البرمائيات ، وهذه بدورها من الأسماك البدائية » .

« ولقد صيغ الإنسان فصار إلى هذه الحالة التى نراه عليها اليوم من القوى والمواهب والآمال خلال ملايين وملايين من أفراده مرت فى الحياة تباعا » .

وفى موضع آخر من الموسوعة التاريخية يقول : (ماذا كان رأى الإنسان فى نفسه وفى العالم أثناء تلك الأيام الخوالى ؟ لم يكن يفكر فى بادىء الأمر فى أى شيء عدا الأشياء التى تمسه مباشرة ، فلم يكن يشغله بادىء الرأى إلا التفكير مثلا فى طريقة للخلاص من الدب إذا اعترض الدب طريقه ..... » .

(وقبل أن تتطور لغته إلى حد ما ، لم يكن بقادر إلا على الشيء القليل من التفكير الذى لا يتجاوز نطاق الخبرة العملية البحتة ، لأن اللغة هى أداة التفكير » .

والراجح أن الإنسان الأول كان قبل أن يستطيع الكلام كان يرى الأشكال واضحة بينة ، ويقلد ما يرى بغاية المهارة ، ويأتى بالحركات والإيحاءات ، ويضحك ويرقص ويعيش من غير إعمال أى فكر عن : أيان جاء ؟ ولماذا يعيش ؟ كان يخشى الظلام لا جرم .... وكان يأتى أمورا يستجلب بها رضاء الأشياء التى كان يخشاها أو يغير بها طالعه ، ويدخل بها السرور على القوى الوهمية التى خالها فى الصخر والوحش والنهر) . (ص ١١٣) .

(ولم يكن تمييزه بين الكائنات الحية وبين الجمادات تمييزا واضحا جليا ، فإن آذته عصا لكزها بقدمه . وإن أرغى النهر وفاض ، ظنه عدوا مبينا . وكان

فكره فيما يرجح قريبا جدا من مستوى عقل طفل صغير ذكى فى الرابعة أو الخامسة من عمره . فكان له نفس ما للطفل من عدم تعقل ومن تقلب أهواء .... ولكن لم يكن لديه إلا القليل من الحديث واللغة) (ص ١١٤) .

وتحت عنوان « الأصول المعقدة للديانات » (ص ١٢٣) :

(من هذه البداية تطورت الديانات ذات القوانين الموسمية التى لا تزال بين ظهرانينا ومن كل هذه العوامل ، ومن تقاليد الرجل الشيخ ، ومن العواطف التى تحيط بالنساء ، من أجل الرجال ، وتحيط بالرجال من أجل النساء ، ومن الرغبة فى الهرب من العدوى والنحس ، ومن الرغبة فى القوة والنجاح بطريق السحر ، ومن تقاليد التضحية فى أوان البذار ، ومن عدد آخر من العقائد والتجارب العقلية والأفكار الخاطئة ، المماثلة لهذه التجارب والأفكار ، أخذ شيء معقد ينمو ويترعرع فى حياة الناس وشرع فى الوقت نفسه يضم بعضهم إلى بعض من الناحيتين العقلية والعاطفية فى حياة وعمل مشتركين . هذا الشيء نستطيع أن نسميه الدين) ...

(وقد نمت الديانة كما تنمو كل مصلحة إنسانية ، ويعنينا أنه اتضح للقارىء مما سبق بيانه أنه لم يكن فى مقدور الإنسان البدائى – بله أسلافه القردة وأسلافه من الثدييات ، أن يكون لديها أى فكرة عن الرب أو الدين . فلم يستطع ذهنه ولا قوى فهمه أن تصبح قادرة على تصور هذه الأفكار الهامة إلا ببطء شديد .

فالدين شيء نما مع الترابط الإنسانى وعن طريقه ، فقد كان الإنسان وما يزال يكشف عن الله)[1] (ص ١٢٤) .

ثالثا : موجز تاريخ العالم ، تأليف هـ . ج . ويلز ، وترجمة د . عبد العزيز توفيق جاويد ، ومراجعة محمد مأمون ، القاهرة

كتب هـ . ج . ويلز عن : « بداية الحياة » فقال : (المصدر الذى نستقى

---

(١) (يقول بهذه الأفكار ج . ج . فريزر رائد مقارنة الأديان ، وجرانت ألن فى كتابه تطور الإله ، وهو يسير فيه على منهج هربرت سبنسر ، كذلك أ . ب . تايلور فى كتابه الثقافة البدائية . وكذلك أ . أ . كرولى فى كتابه شجرة الحياة) .

منه إلى حد كبير معلوماتنا عن الحياة قبل ابتداء المحافظة على الذكريات والتقاليد الإنسانية الأولى هو الآثار والحفريات التى خلفتها الكائنات الحية فى الصخور الباقية) .

« **عصـــر الأسماك** » :

« وقديما كانت مسألة النشوء والارتقاء العضوى هذه مثار مجادلات أليمة كثيرة بين الناس على غرار المسألة المتعلقة بعمر الأرض ، حتى لقد أتى على الناس حين من الدهر كانوا يظنون فيه أن الاعتقاد فى النشوء والارتقاء العضوى لا يستقيم – لعلة لا نعلمها – وتعاليم المسيحية واليهودية والإسلام الصحيحة وقد انقضى ذلك الزمان ، وأصبح أشد الناس تمسكا بالعقائد الكاثوليكية الصحيحة ، والبروتستانتية واليهودية والإسلامية لا يتحرجون فى قول هذا الرأى الأحدث والأشمل القائل بأن لجميع الكائنات الحية أصلا مشتركا ، إذ لا يلوح أن الحياة نشأت فجأة على ظهر الغبراء . بل إن الحياة نمت ولا زالت تنمو » (١) .

ثم تحدث الكاتب عن : « عصر الأسماك (٢) وعصر مستنقعات الفحم أو عصر البرمائيات وعصر الحياة فى المستنقعات والبرك (٣) ، عصر الزواحف (٤) وعصر الطيور الأولى والثدييات » فيقول (٥) : « ويقرر أهل العلم عمر عصر الزواحف بثمانين مليون سنة (٦) ، وعصر الثدييات القرود ، والقردة العليا ، وأشباه الإنسان » .

ويقول الكاتب : « يقسم علماء الطبيعية الثدييات إلى عدد من الرتب ، ويجعلون على رأس هذه رتبة الثدييات العليا التى تحتوى على الليمور والقرود

---

(١) موجز تاريخ العالم ، ص ١٣ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٢ .

(٣) نفس المرجع ، ص ١٥ – ١٨ .

(٤) نفس المرجع ، ص ١٩ .

(٥) وكل ما أورده الكتاب فى كتبهم التى تشكل مراجع رئيسية للراغب فى الحصول على ثقافة تاريخية لا أساس له من الصحة ، وقد رددنا عليها وصححنا الأخطاء بفضل الله فى كتابنا أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى ، وفيه أثبتنا أن بداية الخلق الإنسانى هى آدم عليه السلام الذى خلقه الله بطول ستين ذراعاً ، وهذه البداية هى صورة الكمال فى الخلق الإنسانى .

(٦) نفس المرجع ، ص ٢٥ . ألا يؤذى ذلك التصور المسلمين فى عقيدتهم ومشاعرهم .

والقردة العليا والإنسان . والأصل فى ذلك التصنيف هو وجود أوجه تطابق تشريحية لها ، ولا دخل فيه لأى صفات عقلية » (١) .

(فنحن ندنو كثيرا من الإنسان . وسنصف لك فى الفصل التالى أعجب هذه الأنواع المؤذنة بظهور البشر ، وهم النياند رتاليون ، القوم الذين كانوا تقريبا – وليسوا أناسا حقيقيون) (٢) .

وحاول الكاتب أن يتعرف على « الفكر البدائى للإنسان » « فكيف كان الإنسان الأول يشعر بإنسانيته فى تلك الأيام الأولى للمغامرة البشرية ؟ وكيف كان الرجال يفكرون وفيم كانوا يفكرون فى تلك الأيام السحيقة من الصيد والتجول قبل أربعمائة قرن خلت ، وقبل ابتداء أوان البذار والمحصول تلك أيام تسبق بزمن مديد كل سجل مكتوب ، يدون الانطباعات والأفكار الإنسانية ؛ لذا ليس أمامنا الآن من سبيل إلا أن نركن إلى الاستنتاج والتخمين دون غيرهما فى إجابتنا عن هذه الأسئلة (٣) .

« والراجح أن الإنسان البدائى كان يفكر بطريقة تشبه كثيرا طريقة تفكير الأطفال ، أعنى أنه كان يفكر فى سلسلة من الخيالات » ص ٤٦ .

وعلى نمط المرجعين السابقين سارت « موسوعة تاريخ العالم » (٤) التى أعدها لانجر ، وترجمها عثمان نوية ، د . راشد البراوى ، محمد على أبو درة ، القاهرة ، ١٩٧١ ، ص ١٢ ، ص ٤٦ ، ٥٤ ، ٥٥ ، ٦٢ ، ٦٤ ، ٧٤ ؛ وقصة الحضارة ، جـ ١ ، م ١ ، تأليف ول . ديورانت وترجمة محمد بدران وآخرين ، الإدارة الثقافية جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤ .

---

(١) نفس المرجع ، ص ٣١ .

(٢) موجز تاريخ العالم ، ص ٣٥ . وكل هذه المعلومات يعتمد فيها كاتب التاريخ ، على علم السلالات البشرية (Ethnologist) وعلم الأجناس البشرية (أنثربولوجى) ، وكلها تقوم على أن أصل الإنسان حيوان ترقى من أدنى درجات الحياة عبر ملايين السنين .

(٣) العجيب أن الكاتب يعترف هنا أن لا سبيل أمامهم إلا الاستنتاج والتخمين إذن لماذا لم يحاول أن يرجع إلى رب الإنسان ليسأله عن هذا الإنسان وتاريخه ؟ إنه الإعراض عن منهج الله والحرص على أبعاد الإنسان عن معرفة ربه وخالقه ، انظر موجز تاريخ العالم ، ص ٤٥ ، ٤٦ .

(٤) تحدث عن العصر الحجرى الحديث ، واختراع أربع مظاهر جديدة فى كل جهات العالم منها : الزراعة ، استئناس الحيوان ، ص ٢٢ .

رابعا : الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف ليونارد كوتريل (ترجمة د . محمد عبد القادر محمد ، د . زكى إسكندر ومراجعة د . محمد عبد المنعم أبو بكر) ، القاهرة ١٩٧٧ .

ولقد تحدثت الموسوعة عن عديد من الموضوعات منها :

١ - القصة العجيبة لتطور الإنسان من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية » ، ص ٢٦ .

٢ - نشر داروين نظريته عن أصل الأجناس فى عام ١٨٥٩ كنتيجة لما أسفرت عنه الأبحاث الأثرية فيقول : (وتطلع الناس إلى الوراء لا لحدوث خلق الإنسان فى سنة ٤٠٠٤ ق.م بل إلى هوة فاغرة فاها من الوقت تبدو بلا قرار) .

(وأثبت الجيولوجيون أن مدة ظهور الإنسان العاقل وتطوره بالمقارنة إلى عمر الأرض (ص ٢٨) وعلى هذا الأساس حاول علماء الآثار فى القرنين ١٩ / ٢٠ أن يرسموا صورة لتطور الإنسان ..... من الوحشية إلى المدنية) ص ٢٨ .

(وفى إفريقية ، وجدت بقايا لما قبل الإنسان وهى بالغة القدم) (ص ٢٩) .

(وسحر علم الآثار العصر النيوليتى وما تلاه من العصور يرجع إلى أنه يتحدث عن أناس كانوا فى كثير من النواحى يشبهوننا إلى حد كبير . أما سحر علم ما قبل التاريخ فمن نوع مضاد ، ففى البدايات الأولى نحن نواجه بمخلوقات ليست من القردة ، ولكنها ليست أيضا من جنس الإنسان) (ص ٣٤) . (ولا يزال تعريف بنيامين فرانكلين للإنسان صحيحا بأنه حيوان صانع الأدوات) (ص ٣٤) .

(منذ ثلاثين مليون من السنوات (العصر الميوسين) عاش فى أفريقيا نوع من المخلوقات الشبيهة بالقرود وصف باسم بروكونصول له بعض خصائص تخالف خصائص القرود مما جعل البعض يقترح أن هذا قد يدل على أنه ينتمى إلى السلالة الرئيسية التى انحدر منها كل من الإنسان والقرود) (ص ٣٥) .

(وخلال عصر البليوسين المبكر تطورت أصناف أخرى من القرود بحيث تلاءمت طبيعتها لتصبح قادرة على العيش على الشجر كما تعيش اليوم بعض أصناف القرود ، غير أنه كانت توجد قرود أخرى فضلت العيش فى الخلاء ، فتطورت عظام حوضها وساقاها الخلفيتان بمرور الوقت إلى درجة مكنتها من السير بسهولة على ساقيها الخلفيتين فقط . ومن المعتقد أن هذه الوقفة الرأسية هى التى مكنت من تطوره إلى الجنس البشرى ، وعندما تعلم الإنسان أو شبه الإنسان (sub -man) أن يمشى معتدلا أصبحت له حرية استعمال طرفيه الأماميين ويديه فتمكن من التقاط الأشياء وفحصها ، وتطورت مخالبه الأمامية (أى يداه) تطورا كبيرا بينما لم تتطور قدماه) (ص ٣٥) .

(وهذا المخلوق الشبيه للإنسان تطورت عيناه بحيث أصبحت قادرة على أن ترى كلا من الأشياء القريبة والأشياء البعيدة ، وأهم من كل هذا تطور عقله ، وقد انفرد أسلاف الإنسان بتطور العقل . وبمرور الوقت توقف العقل الإنساني عن أن يكون مجرد قائد وموجه لحركات الجسم الطبيعية مثل الحيوانات الأدني ، ونشأ عنده وعى ذاتى ، وقدرة على التفكير التصورى) (ص ٣٥) .

ويقول عالم مشهور من علماء ما قبل التاريخ : (إن الوعى العقلى بالنسبة للحيوان نادر كندرة الدابوق على شجرة البلوط) .

(فالإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يمكنه أن يقف خارج الشباك ويرى نفسه وهو يتحدث ... ومنذ ثلاثمائة سنة ، ذكر طبيب إيطالى يدعى جليانى Calliani,)أن الإنسان هو الحيوان الوحيد الذى يهتم ويجد لذة فى أشياء لا تخصه) (ص ٣٥) .

(وليس هذا مجال وصف نشوء الإنسان وارتقائه من القرد الإنسانى إلى الإنسان الفطرى(Primeval)ثم من الإنسان الفطرى إلى الإنسان البدائى ، ثم من الإنسان البدائى إلى الإنسان الحديث) . (ص ٣٥) .

(وفى جاوة وجد الإنسان القرد الذى كان يمشى منتصبا مثل الإنسان) (ص ٣٦) .

(ولا زلنا لا نعرف لأى جنس ينسب سلفنا ، نحن المعروف باسم هومو سباينس) (ص ٣٦) .

ثم تحدثت الموسوعة عن : « استئناس الحيوانات المتوحشة مثل الثور والشاة » (ص ٣٧) .

وتحدثت الموسوعة الأثرية عن :

- (تحول الإنسان الصياد إلى الإنسان المزارع) (ص ٣٧) .
- فهناك حقيقة واحدة تبدو واضحة أن الإنسان تطور من الحالة الحيوانية إلى الحالة الإنسانية عن طريق حدث بالغ الندرة ألا وهو نشأة الوعى ، ومنه تولد العنصر الروحى الذى أطلق عليه قدماء المصريين « الكا » ونطلق نحن عليه اسم الروح ، وبالرغم من التعليق الساخر للجراح الشهير الذى قال عندما كان يشرح جسما بشريا أنه فشل فى العثور على أثر للروح ، فإن الكثيرين جدا منا مقتنعون بكينونتها . ومهما كان الأمر ، فإنها هى النبع الذى تنبثق منه شرائعنا والأخلاق والقوة المحركة خلف تلك الأعمال من محبة الغير والتضحية بالنفس التى لا توجد لدى الحيوانات ، والتى هى دون الإنسان مرتبة) (ص ٤١) .
- (فليس علم الآثار إذن مجرد وسيلة للهروب من الحاضر أو التنقيب عن الماضى الميت المنسى ، ولكن بالمفهوم الصحيح وسيلة لزيادة فهمنا لنفوسنا) (ص ٤١) .
- (أول ديانة توحيد فى التاريخ هى « عبادة قرص الشمس آتن أو آتون) (ص ٥٣) .

تعليـــق

وهكذا تتعاون الدراسات الأثرية مع التاريخ القديم فى تعميق الإلحاد والكفر فى نفس القارئ والدارس . فالملاحظ أن الدراسات الأثرية :

أولا : وراء نظرية النشوء والارتقاء التى وضعها اليهودى داروين .

ثانيا : التشكيك فى الروح الإنسانى وإن أُعزى إليها شرائعنا الأخلاقية والقوة

المحركة خلف تلك الأعمال من محبة الغير والتضحية بالنفس التي لا توجد لدى الحيوانات ، والتى هى دون الإنسان مرتبة .

ثالثا : إن علم الآثار هو الوسيلة لزيادة فهمنا لأنفسنا (بدلا من الرجوع إلى الله) .

رابعا : إن عبادة قرص الشمس آتون (١٤٥٠ ق . م) هى أول ديانة توحيد فى التاريخ رغم أن عبادة قرص الشمس شرك بالله عز وجل ، والتوحيد الحقيقى هو إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة . وكان بودنا أن نستطلع رأى علماء المسلمين الصادقين عن حكم الإسلام فى هذه الأقوال والأفكار الواردة فى هذه الموسوعات التاريخية والأثرية ، وحكم اعتناق مافيها أو تربية أبناء المسلمين عليها ، أو السماح بوجودها فى مكتبات المسلمين [١] .

---

(١) انظر التصحيح أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى .

الجـزء الثانى
المبحث الأول

المراجع التى تم فحص القليل من صفحاتها هى :

الدعوة إلى الإسلام	تأليف توماس أرنولد
الحضارات السامية القديمة	تأليف س . موسكاتى
تاريخ العرب العام	تأليف سيديو
تاريخ العرب المطول	تأليف فيليب حتى
تاريخ مسلمى أسبانيا	تأليف دوزى
حضارة العرب	تأليف جوستاف لوبون
قصـة الحضـارة	تأليف ول . ديورانت
الحضارة العربيـة الإسلاميـة	تأليف د . على حسنى الخربوطلى
الشرق الخالد	تأليف د . عبد الحميد زايد
العرب قبل الإسلام	تأليف جورجى زيدان
الموسوعة العربية الميسرة	تأليف عدد من أساتذة الجامعات
سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين	تأليف د . حسن صبرى الخولى
تاريخ التمدن الإسلامى	تأليف جورجى زيدان
تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى	تأليف د . حسن إبراهيم حسن
دراسات تاريخية من القرآن فى بلاد العرب	تأليف د . محمد بيومى مهران
حضارة مصر والشرق القديم	تأليف د. محمد أنور شكرى وآخرون
خلافة بنى أميـة	تأليف نبيه عاقل .
فجـر الإسلام	تأليف أحمد أمين
قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس	تأليف د . السيد عبد العزيز سالم

بعض هذه المراجع تحرص على :

هدم القرآن – معجزة الإسلام – عن طريق التشكيك فى صحة بعض الأخبار التاريخية التى أوردها القرآن ، ومن هذا :

« إنكار حادثة تحطيم سد مأرب نتيجة سيل العرم الذى عاقب الله به أهل مأرب بسبب كفرهم ، والزعم بأن ذلك حدث نتيجة لعوامل الزمن وإهمال الترميم (١) :

« وبيان الأمر : أنه كان يوجد بالقرب من مأرب سد واسع معد لحفظ الماء ، فلما فاض الماء فيضانا مباشرا ذات مرة خرب السد فتفلتت المياه من الحواجز التى صنعتها يد الإنسان .. ولم يكن للحادث ما بعده لو أراد السكان أن يعيدوا ما كان إلى حالته السابقة . ولكنهم فزعوا من المشاق والأخطار التى تنجم عن تنفيذ هذا المشروع ، فعزوا إلى انتقام ربانى هذه المصيبة » (٢) .

« وليست قصة انفجار السد – وقد **حاكتها الأخبار أسطورة منمقة ....** أو قل على سبيل المجاز أنها صورة وهمية » (٣) .

الزعم بأن أبرهة الحبشى الذى أراد هدم الكعبة (عام الفيل) قد هزم نتيجة لاستبسال أهل مكة فى الدفاع عن مكة ؛ وزعم آخر يقول : إن سبب الهزيمة وباء حل بجيش أبرهة ، وكلا الرأيين ينكر إرسال الله – سبحانه وتعالى – للطير الأبابيل (٤) – ﴿ ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ .

الزعم بأن احتكاك أهل مكة بأبرهة الحبشى أدى إلى حدوث نهضة أدبية ودينية ، وأنه أنتج رجالا نبغوا فى السياسة والقيادة والإدارة وكانوا من أهم العوامل تأثيرا فى انتشار الإسلام (أى أن الأثر الحقيقى فى رجالات الإسلام هو لمحاولة أبرهة

---

(١) جورجى زيدان ، العرب قبل الإسلام ، ١٤٠ ، ١٧٦ – ١٧٧ ؛ تاريخ التمدن الإسلامى ، ٢٧ ؛ وحسن إبراهيم حسن تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى والاجتماعى ط ٨ ، القاهرة ١٩٧٤ ، ٢٧ ، ٢٨ .

(٢) سيديو (ترجمة عادل زعيتر) تاريخ العرب العام ، ٤٠ – ٤١ .

(٣) فيليب حتى ، جبرائيل جبور ، إدوارد جورجى ، تاريخ العرب المطول ، ٨٦ .

(٤) تاريخ العرب العام ، ٤٥ ؛ العرب قبل الإسلام ، ص ١٧ . تاريخ التمدن الإسلامى ، ٤١ .

الحبشى غزو مكة وليست للإسلام) ، كما أنتجت الثورة الفرنسية بونابرت ورجاله (١) .

الزعم بأنه ليس فى تواريخ الأمم الراهنة أسقم من تاريخ العرب قبل الإسلام (وفيه تاريخ النبوات والرسالات التى سبقت رسالة محمد ﷺ (٢) .

الزعم بأن الإسلام من تأليف محمد ﷺ ، ومصادر التأليف : اليهودية والمسيحية والعقائد الجاهلية :

(وكان من مقاصد محمد أن يقيم دينا ولا يشمئز منه قومه ، وقد وفق لذلك ، حيث أخذ من الأديان الأخرى ما يلائمهم ، ولم يفكر فى إبداع دين جديد قط ، وهو الذى أعلن أنه سيسير على غرار من تقدمه من أنبياء بنى إسرائيل من إبراهيم إلى عيسى قائلا أن ما أوحى إليهم صحيح . والحق أن اليهودية والنصرانية والإسلام فروع ثلاثة لأصل واحد ، وأنها ذات قربى وشيجة) (٣) .

وقال كاتب آخر : (ومصدر هذه المعجزة هو رجل واحد هو محمد ، فقد ألهم محمد المبادىء اليهودية والنصرانية ، فأقام دينا بعيدا عن الخوارق) (٤) .

وقال مؤلف ثالث : « وقد أخذ مؤلفو الإسلام أكثر معارفهم عن أحوال النصرانية ، وبيزنطة فى عهود الجاهلية من المصادر السريانية أو استمدوها مما نقله السريان عن آداب اليونان) (٥) .

وقال رابع : (من بين الديانات التوحيدية الثلاث التى أنشأها الساميون يعتبر الإسلام أقرب إلى دين إبراهيم الذى تمثله التوراة من دين عيسى الذى يبشر به الإنجيل) (٦) .

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى ، ٧٧ .

(٢) العرب قبل الإسلام ، ١٧ .

(٣) جوستاف لوبون (ترجمة عادل زعيتر) ، حضارة العرب ، ص ١٨ ؛ ديورانت ، قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ٢٣ - ٢٤ . توماس أرنولد (ترجمة حسن إبراهيم حسن وآخرون) ، الدعوة إلى الإسلام ، ٥٢ .

(٤) تاريخ العرب العام ، ص ١٣ .

(٥) فيليب حتى وآخرون ، تاريخ العرب المطول ، جـ ١ ، ط ٣ ، بيروت ١٩٦١ ، ٨١ .

(٦) تاريخ العرب المطول ، ص ١٧٦ ، لقد نسى الكاتب أن الإسلام هو دين ربانى وهو دين =

وقال خامس : (الإسلام بدعة نصرانية أكثر منه دينا جديدا . وقد وضع دانتى فى روايته الإلهية محمدا فى الجحيم الأسفل مع أولئك الذين زرعوا بذرة العثرة والانشقاق ؛ وقد تطور الإسلام بالتدريج) (١) .

وقال سادس : (فالعرب والدين الجديد على الأبواب ، كانوا يدينون بمعتقدات جاهلية أو باليهودية أو النصرانية أو التوحيد ، ولم يكن يستطيع التأليف بين هذه العناصر جميعا سوى روح فريدة فى قوة التقبل ، وكان محمد هذه الروح) (٢) .

وكاتب يزعم بأن محمدا ﷺ قد تعرف فى بصرى على راهب نسطورى فى دير نصرانى وتلقى منه علم التوراة (٣) ، وأنه (أى الرسول) قد عرف فى هذه الرحلة قليلا من القصص الشعبية اليهودية والمسيحية (٤) ، وأنه قد اتسعت معرفته وتجربته بما شاهد من أحوال بلاد الشام وطرق التعامل وأخلاق الناس ومظاهر الحياة فى البيئة الرومانية ، كما وقف على أساليب الناس فى البيع والشراء مما كان له أعظم الأثر فى التشريعات بعد الرسالة (٥) .

اتهام النبى محمد ﷺ بالهوس

يقول مستشرق : (حقا إن من أعاجيب التاريخ أن يلبى نداء ذلك المتهوس الشهير شعب جامح شديد الشكيمة (٦) – ويجب عَدُّ محمد من المتهوسين من الناحية العلمية كما هو واضح ، وذلك كأكثر مؤسسى الديانات .... ومحمد يجد فى هوسه ما يحفزه إلى اقتحام كل عائق) (٧) ..

= التوحيد ، وأن إبراهيم عليه السلام كان مسلماً وكذلك عيسى عليه السلام (انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى السماء وفى الأرض ، تأليف د. جمال عبد الهادى) .

(٥) نفس المرجع السابق ، ص ١٧٦ ، انظر تصحيحنا للأخطاء التى وقع فيها من كتب فى تاريخ الدين الإسلامى وغيره فى كتابنا أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ .

(٢) س. موسكاتى (ترجمة السيد يعقوب بكر) ، الحضارات السامية القديمة ، ٢٠٨ .

(٣) حضارة العرب ، ١٠٢ .

(٤) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، عصر الإيمان ، ٢٢ .

(٥) تاريخ الإسلام السياسى ، ٧٦ ، وسنرد على ذلك عند معالجة سيرة النبى محمد ﷺ .

(٦) حضارة العرب ، ٢٧ . إنها قولة المشركين منذ آلاف السنين ﴿كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر مجنون﴾ .

(٧) نفس المرجع السابق ، ١١٤ .

وقال آخر : (وكان إذا غضب أو تهيج انتفخت عروق وجهه بدرجة يرتاع لها من حوله (١) ... وقد يكون ارتجافه ناشئا من نوبات صرع فقد كان يصحبه فى بعض الأحيان صوت وصفه بأنه يشبه صلصلة الجرس ، وتلك حال كثيرا ما تحدث مع هذه النوبات (٢) .... وكان قلقا عصبى المزاج ، يرَى أحيانا كاسف البال ، ثم ينقلب فجأة مرحا كثير الحديث ، وكان محاربا صارما ، لا يرحم عدوا ، وقاضيا عادلا فى وسعه أن يقسوا ويغدر) (٣) ..

وزعم مستشرق ثالث : (بأن النبى لم يكن مشرعا علميا ، فلم يضع لأمته كتابا فى القانون أو موجزا فيه ، ولم يسر فى تشريعه فى نظام مقرر ، بل كان يصدر الأوامر حسبما تمليه عليه الظروف . فإذا أدَّى هذا إلى شيء من التناقض أزاله بوحى جديد ينسخ القديم ويجعله كأن لم يكن . وحتى شؤون الحياة العادية كانت أوامره فيها تعرض فى بعض الأحيان كأنها مُوحَى بهَا من عند الله ، ولكنه مع هذا لم يستنكَف أن يستعين بالوحى فى الأغراض البشرية والشخصية كما حدث حين أنزل الوحى مؤيدا زواجه من زوجة زيد متبناه (٤) .

القرآن من تأليف محمد عليه السلام ... وهو خال من الترتيب .... مقتبس من التوراة .. الإسلام صورة مبسطة من النصرانية .

وزعم أحد المستشرقين : (أن هذا الكتاب المقدس (أى القرآن) قليل الارتباط ...... وأسلوب هذا الكتاب وإن كان جديراً بالذكر أحيانا ، فإنه خال من الترتيب ، فاقد السياق كثيرا ، ويسهل تفسيره عند النظر إلى كيفية تأليفه . فهو قد ألف تبعا لمقتضيات الزمن بالحقيقة ... ومع ما فى هذا الكتاب من مبالغة شرقية) ..

«وتقرب فكرة الكون الفلسفية فى القرآن مما فى الديانتين الساميتين العظيمتين اللتين ظهرتا قبل الإسلام – أى اليهودية والنصرانية – .. وزعم الكاتب

---

(١) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ٢٣ .

(٢) نفس المرجع السابق ، ٢٦ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ٤٥ .

(٤) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ٤٢ – ٤٣ .

«إن العنعنات الآرية والفارسية أو الهندية ذات نصيب ظاهر فى النصرانية والإسلام » .

وإله محمد واحد فى السماء ، واسمع تعريف محمد النبى : ﴿ بديع السموات والأرض ، وإذا قضى أمرا فإنَّما يقول له كن فيكون ﴾ (٢) . (البقرة : ١١٩) .

(وماجاء فى القرآن من نص على خلق السموات والأرض فى ستة أيام وخلق آدم والجنة وهبوط آدم منها ويوم الحساب مقتبس من التوراة) .

وزعم آخر : (إذا أرجعنا القرآن إلى عقائده الرئيسية أمكننا عد الإسلام صورة مبسطة عن النصرانية) .

(ويقال : إن محمدا كان قليل التعليم ، وإلا لوجدنا فى تأليف القرآن ترتيبا أكثر مما فيه ، وسور القرآن مرتبة حسب طولها ، لا بحسب نزولها ، فإن ذلك غير معروف ..... وإذا كانت قصار السور بوجه عام أقدم عهدا من طوالها ، فإن القرآن تاريخ مقلوب ... وخليق بنا أن نبدأ بقراءته من نهايته) (٢) .

القرآن من تأليف محمد ، وهو مأخوذ عن التوراة (أسفار موسى الخمسة) والإنجيل ومن الأخبار العربية المحضة كعاد وثمود ولقمان وأصحاب الفيل وأصحاب الكهف .... والأمثلة السامية فمأخوذ عنها الآيات التى وردت فيها عبارات مثل السن بالسن والعين بالعين ، والجمل فى سم الخياط . والعجائب التى ينسبها القرآن إلى عيسى يكلم الناس فى المهد فهى تذكرنا ببعض الخوارق التى تنسب إلى عيسى فى الأناجيل الأبوغرافية (غير الموثوق بها) .

وصور النعيم والجحيم فى القرآن أوحتها الرسوم الدقيقة أو بدائع الفسيفساء التى خلفها النصارى مما يمثل جنات الفردوس وفيها صورة الملائكة على أشكال الولدان والحور (٣) .

---

(١) جوستاف لوبون (ترجمة عادل زعيتر) ، حضارة العرب ، ١١٧ ، ١١٩ ، ١٢٠ ، ١٢٥ .

(٢) ديورانت ، قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ٥٠ - ٥١ .

(٣) فيليب حتى وآخرون ، تاريخ العرب المطول ، ١٧١ - ١٧٣ .

الزعم بأن محمدا ﷺ أخذ مناسك الحج عن النظام الجاهلى وجعلها من العبادات الإسلامية

يقول أحد المستشرقين : (وكان الحج إلى الأماكن المقدسة نظاما ساميا قديما ، وكان من معالمه ما عرف فى زمان العهد القديم ، ولعله فى الأصل ظاهرة من عبادة الشمس كان القوم يحيون عيدا لها) .

(ولقد استن محمد فى السنة السابعة للهجرة عادة الحج القديمة فأضافها إلى الإسلام بما فيها من مراسيم العبادة المتركزة فى مكة وعرفة . فتم للإسلام بتلك الفروض أعظم تراث له من جاهلية الجزيرة) (١) .

(تحويل القبلة من بيت المقدس إلى مكة وأقر الحج إلى الكعبة ووضع الحجر الأسود فيها وهما من فروض الدين المرعية فى الجاهلية) (٢) .

(ذلك أن القرآن كبعض العقائد المسيحية يعنى على ما يظهر بصحة الإيمان أكثر مما يعنى بالسلوك الطيب) .

القانون والأخلاق فى القرآن ، كما هما فى التلمود ، شيء واحد) (٣) .

والفاتحة ذات المعانى العميقة والبساطة المغرية التى تقابل الصلاة الربانية عند النصارى) .

(وقد نسج الإسلام فى ترتيب صلاة الجمعة على منوال اليهود فى عبادتهم بالكنيسة إلا أنه تأثر من بعد بطقوس صلاة الأحد التى يمارسها النصارى فى البيعة) (٤) .

(ولفظة زكاة هى من أصل آرامى ، والحق أن المبدأ الأول الذى تنبعث فكرة الزكاة عنه يوافق مبدأ العشر الذى قال بلينوس : أن التجار من عرب

---

(١) نفس المرجع السابق ، ١٨٤ –١٨٥ ، توماس أرنولد ، (ترجمة حسن إبراهيم ، عبدالمجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى) ، الدعوة إلى الإسلام ، القاهرة ١٩٧١ ، ص ٤٧ .

(٢) تاريخ العرب المطول ، ١٦٣ .

(٣) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ٥٧ – ٥٩ .

(٤) فيليب حتى وآخرون ، تاريخ العرب المطول ، ١٨١ .

الجنوب كانوا يؤدونه لآلهتهم قبل أن يسمح لهم ببيع طيوبهم . وقد تغيرت مقادير الزكاة على مر الأيام) (١) .

(ولا دليل لدينا يثبت وجود الصوم فى الجاهلية ، إلا أن العادة كانت مألوفة ولا ريب عند النصارى واليهود) (٢) .

(وتتضمن وظيفة الخليفة توسيع النطاق الجغرافى لدار الإسلام على حساب دار الحرب .... وأن يقسم العالم إلى منطقة سلم ومنطقة حرب توازيه النظرية الشيوعية التى تتمسك بها روسيا السوفيتية) (٣) .

(والقتال كان للبحث عن منافذ جديدة لروح القبائل الثائرة بعد أن حيل بينها وبين الحروب والخصومات ضمن النظام الأخوى الذى حدده الإسلام ، وكان الغرض منها الغنيمة لا الاحتلال أو الاستعمار . وأن الفتوحات كانت مدفوعة بعامل قومى ، فالفوز الأول كان للقومية العربية لا للدين الإسلامى) (٤) .

(وفى العهد المدنى تم تنظيم الإسلام وحدة عربية قومية) (٥)

(وكان لتحويل القبلة مغزى أبعد مما قد يبدو لأول وهلة ، إذ كان ذلك فى الواقع بداية الحياة القومية فى الإسلام) (٦) .

الغزو الإسلامى سببه اقتصادى – المسلمون يؤمرون بالإغارة على القوافل تأمينا للطعام

(وهاجرت إلى المدينة مائتا أسرة من مكة فنشأت فيها من جراء هذه الهجرة مشكلة الحصول على ما يكفى أهلها من الطعام . وحل محمد هذه المشكلة كما يحلها الأقوام الجياع بالحصول على الطعام أنَّى وجد . ومن ذلك أنه أمر أتباعه

---

(١) نفس المرجع السابق ، ١٨٢ .
(٢) نفس المرجع السابق ، ١٨٣ .
(٣) فيليب حتى وآخرون ، تاريخ العرب المطول ، ١٨٧ .
(٤) نفس المرجع السابق ، ١٩٧ .
(٥) تاريخ العرب المطول ، ١٦٣ .
(٦) الدعوة إلى الإسلام ، ٤٧ .

بالإغارة على القوافل المارة بالمدينة)[١] .

الإسراء والمعراج من خيال النبى محمد ﷺ :

زعم مستشرق : (وخيل إليه (أى النبى ﷺ) ذات ليلة أنه انتقل من نومه إلى بيت المقدس)[٢] .

لا فارق بين اليهودية والإسلام :

زعم آخر : (ورحب بعض اليهود « بالمدينة » بهذه الدعوة لأنهم لم يروا فارقا كبيرا بين تعاليم محمد .. وتعاليمهم) [٣] .

وزعم آخر : (وظن « أى النبى محمد ﷺ » أن يهود خيبر قد دسوا له السم فى اللحم قبل عام [٤] –رغم أن حادثة دس السم للنبى ﷺ ثابتة تاريخيا [٥] فى كتب الحديث ومنها البخارى كما أن بعض الذين أكلوا مع رسول الله ﷺ قد ماتوا ، وكان رسول الله ﷺ تعاوده آلام فى أبهره نتيجة أكله للطعام المسموم ، ولكنه الدفاع عن يهود هو الذى يوجه الكاتب هنا ، ليُبَرِّىء اليهود من دماء المسلمين) ...

---

(١) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ٣٤ .

(٢) قصة الحضارة ، جـ ٢ ، م ٤ ، ط ٢ ، ٣٠ .

(٣) نفس المرجع السابق ، ٣٠ .

(٤) نفس المرجع السابق ، ٤٧ .

(٥) وخبر هذه الشاة المسمومة التى أهداها يهود خيبر لرسول الله ﷺ ، ثابتة فى كتب الحديث ، انظر السيرة النبوية ، تأليف الإمام أبى الفداء إسماعيل بن كثير ، دار المعرفة بيروت ١٣٩٣ هـ / ١٩٧٦ م ، جـ ٣ ، ص ٣٩٤ – ٤٠١ ، البداية والنهاية ، لنفس المؤلف ، جـ ٤ ، مكتبة المعارف ، بيروت ، ص ٢٠٨ – ٢١٢ .

المبحث الثانى

١ - الدعوة إلى الإسلام ، تأليف : توماس . و . أرنولد (ترجمة د . حسن إبراهيم حسن ، د . عبد المجيد عابدين ، إسماعيل النحراوى) ، القاهرة ١٩٧١ م .

يزعم المؤلف (ص ٢٥) أن هنالك ستة أديان كبرى من بينها الإسلام ، وأنه من تأسيس محمد ﷺ أى أنَّه ليس وحيا من عند الله ، وفى هذا يقول الكاتب : (أصبح من المعروف علميا أن الأديان الستة الكبرى فى العالم يمكن تقسيمها إلى دين مختص برسالة ودين غير مختص ، فاليهودية والزرادشتية من القسم الآخر ، أما البوذية والمسيحية والإسلام فهى من القسم الأول . وقد وفق فى تحديد ما ينبغى أن يدل عليه اصطلاح دين الرسالة بقوله : إنَّه الدين الذى يسمو فيه نشر الحق ، وهداية الكفار إلى واجب مقدس ، **على يد مؤسس الدين** ، أو خلفائه من بعده) .

وفى (ص ٥٢) يقول : (وكانت رغبة محمد ترمى إلى تأسيس دين جديد) .

ويزعم الكاتب أن الإسلام دعوة إلى القومية وأن الحج عادة عربية قديمة ، جعلت من فرائض الإسلام . (ص ٤٧)[١] .

---

(١) ماذا يكون موقف الإنسان المسلم من هذا الكتاب ، إذا اعتنق ما فيه ؟؟ وماذا يكون موقف غير المسلم عندما يطلع عليه ؟ ألا يَصُدُّه ذلك عن دين الله الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام دينا فلن يقبل منه وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ .

٢ - الحضارات السامية القديمة ، تأليف س موسكاتى ، ترجمة د . السيد يعقوب بكر ، ومراجعة د . محمد القصاص . دار الكتاب العربى للطباعة والنشر ، القاهرة .

زعم الكاتب أن سبب احتفاظ اليهود بكيانهم كأمة يكمن حتى يومنا فى الدين اليهودى وفى التمسك بعقيدة اليهود التى هى كما يقول الكاتب (سمة شعب متميز ، لأنها تقوم على فكرة عهد بين الله وشعب إسرائيل) ص ١٣٧ .

وزعم الكاتب أن مصدرنا الأساسى عن تاريخ اليهود : (هو العهد القديم أى مجموعة الأسفار المقدسة التى تقص ذلك التاريخ وتفسره كما يزعم الكاتب) ص ١٣٩ .

وزعم الكاتب أن اليهود ينتسبون إلى إبراهيم عليه السلام ، وأنهم هاجروا سويا من أرض العراق إلى أرض فلسطين التى وعدهم الله إياها . وزعم الكاتب أن اليهود قد أقاموا بمصر فترة ، وخرجوا منها بقيادة موسى بعد اضطهادهم على يد أحد الفراعنة . (ص ١٣٩ - ١٤٠) .

وزعم الكاتب أن إله موسى هو يهوه وأنه قد ظهر له ، وجدد العهد بينه وبين ذرية إبراهيم وأعلن الشريعة . وذلك يعنى أيضا أن اليهود يعتبرون موسى النبى المسلم يهوديا مثلهم (ص ١٣٩ - ١٤٠ ، ١٤٨) .

وينكر الكاتب رسالة داود وسليمان[١] يزعم أن الأنبياء كانوا : (مَظهرا تلقائيا لما كان يشعر به الناس من سخط على الصورة التى فرضها الحكم الملكى (لداود وسليمان) على الدين . وكان الأنبياء يدعون إلى التمسك بالأفكار القديمة وكانوا من أوائل المنادين بتلك الفلسفة للتاريخ التى قلنا فيما مضى أنها تنتمى إلى جوهر الدين اليهودى) ص ١٤٢ .

وهنا يتجلى حرص الكاتب على هدم النبوة والرسالة ، بل وقال فى موضع آخر : (إن النبوة تعبر عن انبعاث روح الحرية الموروثة عن حياة البداوة

---

(١) وقد تم تفنيد هذه الشبهات ودحضها في كتابان للمؤلف « ذرية إبراهيم والمسجد الأقصى ؛ جزيرة العرب . سيرة إبراهيم واسماعيل وهاجر وتاريخ حرم الله الآمن ، طبعة دار الوفاء بالمنصورة ، وطبعة دار طيبة بالرياض .

ص ١٤٥ وجاءت حركة الأنبياء لتكبح وتبطل عملية الاندماج فى الدين) ص ١٥٠ . والكاتب هنا بكتابته يعطى اليهود - فى تصوره - الحق فى أن دولتهم من النيل إلى الفرات ، ولعله بذلك أراد تمهيد الرأى العام وتربية النشء على مدار سنوات طويلة على هذا الباطل ، حتى يؤمن به النشء ويعتنقه ، فإذا رأى اليهود يغتصبون الأرض ويضطهدون أهلها ويحطمون الأقصى - لامكنهم الله من ذلك - فذلك شيء طبيعى لأنه درس فى كتب التاريخ أن ذلك من حق اليهود .

وحاول الكاتب أن ينتقص من نبى الله داود ص ١٤٣ ، وكذلك من سليمان (١) فزعم : أنه أعاد تنظيم المملكة على نمط الممالك المطلقة السلطان ، فالأبهة والترف فى البلاط ، وكثرة الزوجات والجوارى التى كانت تتطلبها اعتبارات الدبلوماسية . ص ١٤٣ .

وزعم أيضا أن سليمان كان محتكرا للتجارة ، وأنه أقام نظام من الضرائب ألقت على شعبه عبئا ثقيلا ص ١٤٣ - ١٤٤ .

وزعم الكاتب أن سليمان كان يهوديا ، وأنه أقام هيكلا ليهوه ، وأنه أدخل فيه صورا من العبادات الوثنية . ص ١٤٤ .

(١) انظر التصحيح « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام » .

المبحث الثالث

تاريخ مسلمي أسبانيا ، الجزء الأول ، الحروب الأهلية ، تأليف ر . دوزى ، ترجمة د . حسن حبشى ، مراجعة د . جمال محرز ، مختار العبادى ، المؤسسة المصرية العامة للتأليف والطباعة والنشر مصر . ١٩٦٣ م .

هذا الكتاب يحوى تهجما على الإسلام وعلى رسول الإسلام وعلى صحابة رسول الله ، وعلى أزواجه ، وعلى المسلمين فى كل زمان ومكان ومع ذلك يثنى الدكتور حسن حبشى على كاتبه فيقول : (والواقع أن تاريخ الأندلس ظل شغل دوزى الشاغل طول حياته حتى أصبح فيه العلم المفرد فى وقته والذى نسج على منواله) (ص ٦) .

يقول العالم المفرد فى وقته ، دوزى : (ولما استقر العرب فى الولايات الواسعة التى فتحوها بحد السيف ، واشتغلوا بالمسائل العلمية أعوزتهم القوة الإبداعية ..... لكنهم (أى المسلمين) لم يبتدعوا شيئا ولم يدينوا العالم بفكرة عظيمة) . (ص ١٩) .

(ومع ذلك فقد انقضى عمر طويل بعد زمن محمد قبل أن يتخلوا عن طابعهم القومى) (ص ٢٠) .

(حتى جاء اليوم الذى رأت فيه نفسها خاضعة لا لغريب عنها ولكن لواحد من أبنائها وهو رجل خارق ، ذلك هو محمد ﷺ) .

(ربما كان رسول الله لا يفوق أحدا من معاصريه .... فقد ورث عن أمه رقة الطبع وسرعة التأثر وحدة المزاج) .

(وكان محمد « ﷺ » إلى جانب ذلك أخصب خيالا من مواطنيه .. (ص ٢٢) .

(وهاك بدو أيامنا هذه ، فعلى الرغم من تسميتهم بالمسلمين إلا أنهم لا يهتمون إلا قليلا بإقامة شعائر دينهم ، وقد لا يصلون مطلقا رغم ما تفرضه عليهم الشريعة من أداء الصلاة خمس مرات فى كل يوم) .

وحرَّض - أى رسول الله ﷺ - شعراء المدينة على سلق مواطنيه بألسنة حداد) (ص ٢٧) .

(نشرت خلالها جيوش المسلمين الرعب فى شتى الجزيرة ، مما حمل كثيرا من القبائل على اعتناق الدين الجديد ، غير أن الذين دخلوه عن طواعية وإخلاص ، وبقوا عليه كانوا فئة قليلة) (ص ٢٨) .

وعن يوم فتح مكة وأهلها يقول الكاتب : (والغيظ يملأ قلبها ، وكتمت في نفسها الانتقام إلى يوم تسنح لها فيه الفرصة من هؤلاء الأجلاف : يهودِ المدينة الذين دنسوا شرفها بغزوهم بلدهم .. (ص ٢٨) .

(لم يكن الراغبون فى الارتداد ينتظرون غير موت محمد ، بل إن بعض الولايات لم تصبر حتى يقبضه الله . (ص ٢٩) .

يزعم الكاتب بأن المرتدين كانوا ثوارا (وأن - المرتدين قد تبعهم المسلمون ظامئين لدمائهم وجرت مذبحة فظيعة ، وهلك فى حديقة الموت هذه جماعة الثوار عن آخرهم) .. (ص ٣١) .

(ولما رأوا سقوط الكثيرين منهم بحد السيف استبد بهم الذعر والذهول وعزموا على اعتناق الإسلام ، أو على الأقل التظاهر باعتناقه .. (ص ٣٢) . وأراد الخليفة ألا يتيح لهم من الوقت ما يذهب عنهم الفزع فقذف بهم فى الحال على إمبراطوريتى الروم وفارس أى على الدولتين الكبيرتين اللتين كان من اليسير التغلب عليهما نظرا للفوضى التى مزقت أوصالهما منذ أمد بعيد ، وما ألم فيهما من ضروب الانحلال) .. (ص ٣٢) .

(إذا أدت فظاظة الوسائل وقسوتها إلى حمل البدو على التظاهر بالدين ، وبقى هؤلاء القوم فترة طويلة فلم يلموا بأركان الدين ، ولم يهتموا بمعرفتها) ...

(وبعد ذلك بقرن من الزمان لم تكن هناك قبيلة عربية استقرت فى مصر تعرف ما أحله النبى وما حرمه) (ص ٣٣) ، (بل كانت تأسى على الأزمنة السالفة الطيبة ، وتحن لأيام الجاهلية ، وتعطف على أبطالها ، ولكنها لم تكن تشير إلى الدين بكلمة ما) . (ص ٣٣).

(وحوالى هذا الوقت ذاته كان العرب - **يقصد المسلمين** - الذين

استقروا فى شمال أفريقية فى حال تشبه هذه الحال أيضا ، فكان خيارهم يشربون الخمر دون أن يتطرق إليهم أدنى شك فى تحريمها) .. (ص ٣٣) .

(ربما كان من الممكن أن تكون الحماسة للدين أشد وأعظم لو أن الوسائل التى اصطنعت لهداية القوم كانت أقل عنفا) . (ص ٣٣) .

(وأن الوهابيين فى أيامنا هذه (١٨٦١ م) وهم الطائفة المتزمتة الصارمة تحرم جميع ما دنس الإسلام اتخذت شعارها القرآن ، ولا شيء سوى القرآن ، كما اتخذ لوثير شعار الإنجيل ولا شيء سوى الإنجيل) . (ص ٣٣) .

(وظلت قلوب البدو غلفا بعيدة عن التدين إذ ما كاد محمد على يقضى على قوة الوهابيين حتى بادر أولئك البدو إلى التخلص من تلك الطقوس التى أرهقتهم كل الإرهاق ، ويقول أحد الرحالة : إن الدين اليوم يكاد يكون منعدما فى الصحراء ، وليس هناك من أحد يراعى أوامر القرآن ونواهيه) . (ص ٣٤) .

وعن الدين يقول : (على هذا الأساس يمكن القول بأنه إذا كان العرب قد اعتبروا الثورة حدثا مفروغا منه ، ولا يمكن الرجوع عنه ، إلا أنهم لم يغفروا لمن قاموا به ، ولم يقبلوا ما تمخض عنها من النظام الاجتماعى ومن ثم اتخذت معارضتهم طابعا آخر ، إذ تحولت من نضال حول المبادىء إلى نضال شخصى) (ص ٣٤) .

(أما العائلات الكريمة المحتد إلى درجة ما ، وأعنى بها العائلات التى ظلت لها الرياسة فى قبائلها ، فلم تخسر شيئا كثيرا من جراء هذه الثورة ، والواقع أن النبى لم ينته إلى رأى قاطع حول وجود الارستقراطية) . (ص ٣٤).

(ومع أن محمدا كان يطمع فى محو التعظيم بالآباء إلا أنه لم يستطع تحقيق رغبته هذه أو لعله لم يجرؤ على تحقيقها) . (ص ٣٤) .

(ولذلك « أى الرسول ﷺ » أقر التقسيم إلى قبائل ، معتمدا فى هذا على ما ورد فى القرآن ﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ﴾ (ص ٣٤) .

(ومن ثم ظل الأشراف محتفظين بامتيازاتهم واستبقوا رياستهم

على القبائل ... ولم يخطر بباله « أى الرسول ﷺ » جعل العرب أمة واحدة لاستحالة هذا الأمر ، فكان كل مجتمع من هذه المجتمعات الصغيرة يعيش لنفسه دون سواه ، غير معنى إلا بمصالحه أو مكترث إلا بما يتصل به ، حتى لقد كانوا يؤلفون فى الحروب ألوية منفصلا بعضها عن بعض ... فكان لكل منها حيها الخاص .... بل وَجبَّانَتُها) (ص ٣٥) .

(هكذا بقيت الارستقراطية القديمة محتفظة بمكانها (بعد الإسلام) ، غير أنه كانت تليها جماعة أخرى ، فقد عهد محمد وخليفتاه من بعده إلى المسلمين القدماء من المهاجرين والأنصار بأخطر المناصب ..... وإلا فأى ثقة يمكن أن تكون للمرء فى زعماء القبائل الذين كانوا على الدوام قليلى الاكتراث بالدين ، بل كانوا فى بعض الأحيان منكرين لله) .. (ص ٣٦) .

(كذلك كان نفس الإحساس بالغيرة والحسد المميت يلهب حفيظة أشراف مكة الذين كان على رأسهم الأمويون ، فحملتهم الكبرياء - والصلف للنظر بعين الغضب إلى جماعة المسلمين الذين أصبحوا يؤلفون وحدهم مجلس الخليفة الاستشارى .. وسنرى أن هذه الارستقراطية قد حاولت فى البدء الاستيلاء على السلطة دون الالتجاء إلى البطش) .. (ص ٣٧) .

(سمى عمر « رضى الله عنه » ستة من أقدم صحابة الرسول - فيهم على وعثمان والزبير وطلحة - ليكون أحدهم رئيسا للدولة من بعده ، فلما أسلم عمر أنفاسه اجتمع هؤلاء الشيوخ لينتهوا إلى قرار ما لانصراف كل واحد منهم إلى التضخيم من خطر مواهبه وتصغير شأن منافسيه ، فلما كان اليوم الثالث - استقر الرأى على وجوب استخلاف من تكلم عن مزاياه فقط ، وما كان أشد حسرة على والزبير وطلحة حين استخلف القوم عثمان الأموى ، لم يكن فى شخصية عثمان ما يبرر اختياره ، ولا جدال أنه كان غنيا سمحا ، قد بسط كفه بالمال ، غير مقصر فى مساعدة محمد (ﷺ) وجماعته ، ونكاد نكون قد أحصينا كل فضائله ..... أما ذكاؤه الذى لم يكن قط قويا ، وكان كثير الحياء ، حتى لقد ارتج حين صعد للمنبر لأول مرة للخطابة فَهَمْهَمَ قائلا : إن أول مركب صعب ، ثم نزل . ومن نكد طالع هذا الشيخ الطيب ما كان عليه من الميل الشديد لأسرته التى كانت من العائلات المكية الشريفة التى ناصبت محمداً العداء واضطهدته وحاربته) . (ص ٣٨) .

ومن أقرباء عثمان : (من تقلدوا أرفع الوظائف ، ووقع ذلك موقع الغبطة الشديدة من نفس العامة التى سرها أن تستبدل بالاتقياء القدامى والمتزمتين الجامدين أناسا مرحين ظرفاء) ..

وعن المسلمين بعد مقتل عثمان رضى الله عنه : (ولم تطل نشوة القوم إذ سرعان ما دب الشقاق بين القادة أنفسهم ، فقد طمع فى الخلافة كل واحد من أولئك الثلاثة الذين أعانوا قتلة عثمان ، وفجع طلحة والزبير فى آمالهما فأجبرا – والسيف على رقبتهما – على مبايعة منافسهما المجدود ، ثم غادروا المدينة ، ولحقا بعائشة أرملة النبى التى تآمرت من قبل على عثمان ، لكنها الآن تستنفر القوم للثأر له ، والتمرد على عَلِيّ الذى كانت تكرهه بدافع كبريائها المجروحة ، إذ جرؤ ذات مرة – فى حياة الرسول – على التشكيك فى عفتها) . (ص ٤٣) .

(وكان الدين عند أهل الشام لفظا جامدا وتعبيرا مبهما غامضا ، فلم يحاولوا قط التعمق فى استكناه معناه ، فخالفوا الواجبات والفرائض التى سنها الدين) . (ص ٤٥) .

وعن الحسين الشهيد – سيد شباب أهل الجنة : (ورث الحسن المطالبة بالخلافة بعد أبيه ، لكنه لم يكن كفؤا تماما لتزعم حزب من الأحزاب ، فقد كان متراخيا كلفا بالملذات ، يؤثر حياة الدعة والبلهنية والهدوء على حياة المجد والقوة) ، (ص ٥٠) .

وعن المسلمين من عدنان وقحطان يقول : (لا يوجد قط فى تاريخ أوربة مثال لتلك الكراهية الشديدة التى كانت تسكن حينا ، وتضطرم أحيانا أخرى بين الجماعتين العربيتين اللتين كانت كل منهما على استعداد لقتال الأخرى لأتفه الأسباب) . (ص ٧٧)[1] .

---

(١) وهذه كلها أكاذيب سنقوم بتفنيدها وإبطالها فى رسالات قادمة إن شاء الله ، والهدف من سرد هذه الأكاذيب لكى يتبين المسلمون حملة التشويه والتزيف التى تعرض لها تاريخنا الإسلامى ، وليدركوا أهمية عرض تاريخنا الإسلامى بالمنهج الإسلامى .

لم يعمل الإسلام على الإضعاف من الكّراهية الغريزية بين الجماعتين (القحطانية والعدنانية) بل ازداد ضرامها حدة ، لم تكن عليها من قبل ، فقط) .. (ص ٧٩) .

وعن عمر بن عبد العزيز : (رضى الله عنه) : (نحمد الله على أنه لم يكن موجودا وقت أن كان فضلاء الإسلام أمثال على وعائشة ومعاوية يتقاتلون فيما بينهم .... وقد كرس نفسه للعبادة ونشر الدين ، وهو فى ذلك يشبه البابا العظيم الموقر .... ولم ينجح عمر فى شيء أكثر من نجاح جريجورى العاشر فى تحقيق حلمه الكريم) (ص ١٣٤) .

وفى ختام الكتاب المترجم علق الدكتور حسن حبشى قائلا :

(من فكرة الوحدانية ، وما انطوت عليه هذه الفكرة من المساواة التامة بين الأفراد كأفراد ، وبين الشعوب باعتبارها أعضاء فى مجتمع كبير .... وهكذا نرى أن فكرة العالمية إنَّما هى فكرة عربية خالصة تحققت لأول مرة وبصورة جدية على أيدى العرب (ص ٢٣٧) . وكان العرب فى الوقت ذاته قوما متألهين ، وإلا فكيف جاز لفكرة الله أن توجد بينهم) . (ص ٢٣٨) .

هذه نتيجة فحص عدة صفحات ، من جزء يعتبر حلقة فى سلسلة أربعة أجزاء ، تحوى هدما للإسلام وأهله ، وللنبوة والرسالة ، ونيلا من صحابة رسول الله ﷺ والتابعين [١] . والملاحظة العجيبة أنه يوجد بالمكتبة نسخة باللغة الإنجليزية لا تعطى العنوان الذى أعطاه المترجم « تاريخ مسلمى أسبانيا » ، ولكن : « الإسلام على الطريقة الإسبانية »: Spanish Islam على ما أذكر . ولعل المستقبل – إن شاء الله – يحمل نشرا مفصلا عن مؤلفات الأستاذ المترجم ، مع غيره ممن ترجموا الفكر الاستشراقى دون الدفاع المطلوب عن الإسلام وأهله ، وسوف يثبت حينذاك حقيقة هذا الجهد ، ومن يحملونه إلى أبناء المسلمين [٢] .

---

(١) وهى تهدف إلى حمل أبناء الإسلام وغيرهم على فقدان الثقة فى دين الله ، الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره . والعجيب أن المترجم وهو أحد أبناء المسلمين قد أثنى على مؤلف الكتاب ، الذى يهاجم دين الله ، ورسوله ﷺ ، وصحابته رضوان الله عليهم ، ويشوه تاريخهم .

(٢) وستفند هذه الافتراءات – إن شاء الله – فى سلسلة كتبنا « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة النبى محمد ﷺ » .

قصة الحضارة ، تأليف ول . ديورانت ، ترجمة محمد بدران ، جـ ٣ ، م ٣ ، « قيصر والمسيح » الحضارة الرومانية ، ط ٣ ، اختارته وأنفقت على ترجمته الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٧٣ م .

الكاتب اليهودى يشكك فى كون عيسى عليه السلام قد ولد من أم عذراء ؟ (ص ٢١٢ - ٢١٣) :

(ويبدو أنه كان ينتسب إلى أسرة كبيرة ، وشاهد ذلك أن جيرانه أدهشتهم تعاليمه القوية ، فأخذوا يتساءلون قائلين : (ترى أنَّى له هذه الحكمة ، والقدرة على القيام بهذه العجائب ؟ أليس هو ابن النجار ؟ أليست أمه تسمى مارية ، أليس إخوته هم يعقوب ويوسف وشمعون ويهوذا ؟ ألا يقيم إخوانه هنا بيننا) (ص ٢١٣) .

وتأتى شخصية مريم فى القصة بعد شخصية ولدها الروع والتأثير فتقول : (لقد بحثتُ أنَا وأبوك عنك محزونين) ، وشاهدته وهو يصلب ، وعجزت عن إنقاذه) ... (ص ٢١٤) .

أما القصص التى أذاعها سلسس وغيره فيما بعد عن مريم وجندى رومانى فالنقاد مجمعون على أنها افتراء سخيف . (تعليق المترجم دون رد) : (نقلنا هذه الأقوان وما بعدها كما هى وإن خالفت بعض عقائد المسلمين والمسيحيين) .. (ص ٢١٤) .

(وأما متى ولوقا اللذان يذكران فيزجعان نسب يسوع إلى داود عن طريق يوسف بسلاسل أنساب متعارضة ، ويلوح أن الاعتقاد فى مولد المسيح من عذراء قد نشأ فى عصر متأخر عن الاعتقاد بأنه من نسل داود) . (ص ٢١٤) .

ويزعم الكاتب أن عيسى عليه السلام مؤسس دِين :

(ولما عرف أن يوحنا قد قتل ، وأن أتباعه كانوا يبحثون عن زعيم

جديد ، تحمل يسوع العبء وما يستتبعه من خطر) ، (ص ٢١٨) (وكان يتصف بحماسة النبى العبرانى المتزمت أكثر من اتصافه بالهدوء الشامل الذى يمتاز به الحكيم اليونانى ، كما كان غضبه للحق يَطْمِس من حين إلى حين معالم إنسانيته العميقة ، ولكن أغلاطه كانت هى الثمن الذى أداه لذلك الإيمان القوى) ، (ص ٢١٩) .

(ولم يكن عيسى من النساك الزاهدين كما كان الأنبياء ، والأسينيون والمعمدان . ويروى عنه أنه قدم كثيرا من الخمر فى حفل الزواج ، ... وأنه قسى قسوة غير طبيعية على رجل يشتهى فتاة) (ص ٢٢٠) .

(ولم يكن يشق قيصر إلا فى وقوفه إلى جانب الطبقات السفلى ، وفى اتصافه بالرحمة أما فيما عدا هذا فما أكبر الفرق بين الرجلين فى أخلاقهما ، ونظرتهما إلى الحياة وما يهتمان به منها ، لقد كان قيصر يرجو أن يصلح الناس بتبديل نظمهم وشرائعهم ، أما المسيح فكان يرغب فى أن يكون تغيير طبائع الناس وسيلة لتبديل النظم ، والاستغناء عن كثير من الشرائع) .. (ص ٢٢١) .

وينكر الكاتب المعجزات التى أجراها الله على أيدى عيسى عليه السلام ، فيقول :

(وآكد الظن أن معظم هذه المعجزات كانت تحدث فى أكثر الأحوال بقوة الإيحاء ، أى بتأثير روح قوية واثقة من نفسها ، فى روح قابلة للتأثير .. (ص ٢٢١) .... وهناك عاملان يدلان على أن هذه المعجزات ظاهرة نفسانية ، أولهما : أن المسيح كان يعزو شفاء المرضى على يديه إلى إيمان من يشفيهم وثانيهما : عجزه عن القيام بمعجزات فى الناصرة لأن أهلها فيما يظهر كانوا ينظرون إليه على أنه ابن النجار ، ولا يؤمنون بقواه غير العادية [1] .

---

(١) ولقد رددنا على كل هذه الافتراءات التى ألصقها ديورانت بتاريخ النبى الكريم عيسى عليه السلام وأمه العذراء مريم فى كتابنا : « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام » .

قصة الحضارة ، تأليف ول . ديورانت ترجمة محمد بدران ، الجزء الثانى ، المجلد الأول ، الإدارة الثقافية فى جامعة الدول العربية ، ص ٣٢١ وما بعدها .

يربط الكاتب فى هذا الفصل بين اليهود ، وفلسطين الأرض الموعودة ، وإبراهيم عليه السلام فهو يعتبر أن فلسطين هى أرض اليهود الموعودة منذ أقدم الدهور ، فيقول أيضا :

« إن فلسطين هى أرض اليهود الموعودة منذ أقدم الدهور » ؛ ويزعم بأن اليهود هم شعب إبراهيم عليه السلام ، وأن الله قد وعدهم هذه الأرض بعد إخراج الكنعانيين منها (ص ٣٢٤) ، وأنهم قد عادوا إليها الآن بعد ثمانية عشر قرنا من النفى والعذاب والتشريد (ص ٣٢٢) .

ولما كانت أطماع اليهود تحلم بأرض موعودة تمتد من النيل إلى الفرات ، فقد زعم الكاتب أن مسقط رأسهم العراق (ص ٣٢٤) ، وأنه قد أقام عدد كبير منهم بمصر وكانوا قد وصلوا إليها عام ١٦٥٠ ق . م . وأخرجوا منها قصراً بعد أن تكاثر عددهم ، عام ٢٢٠ ق . م (هامش ص ٣٢٤ ، ٣٢٥) .

وقد زعم الكاتب أن اليهود قد أخرجوا من مصر بقيادة موسى عليه السلام (ص ٣٢٦) . وقد أنكر الكاتب نبوة موسى عليه السلام ورسالته ، وزعم أنه كان كاهنا مصريا خرج للتبشير بين اليهود المجذومين (هامش ص ٣٢٦) ، كما زعم الكتاب أن قتالا جرى بين اليهود والكنعانيين انتصر على أثره اليهود بعد أن أجروا دماء الكنعانيين أنهاراً وكان هذا القتل كما تقول التوراة فريضة الشريعة التى أمر بها الرب موسى (ص ٣٢٦) وزكاة للرب [1] ص ٣٢٧ .

---

(١) هكذا كان اليهود يمهدون لجريمتهم فى اغتصاب أرض فلسطين ، فزيف المستشرقون اليهود والنصارى تاريخ الأمة المسلمة وتاريخ البشرية تمهيدا لهذه الجريمة الشنعاء التى تعطى التبرير للمجرم على ارتكاب جريمته ، وتحوله من مغتصب إلى صاحب حق . والكاتب فى هامش ص ٣٢٣ يزعم أن سفر التكوين فى التوراة الذى يقص تاريخ اليهود القديم قد صمدت للنقد والبحوث التاريخية ، وأن الوثائق والآثار تؤيد أقوال العهد القديم ، والحق أن كلام الكاتب ، وما تسمى بالتوراة لا يمكن أن تصمد أمام الجرح والتعديل . وقد أفردنا فصلا لهذه المسألة فى كتابنا « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ » ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء ، دار الوفاء

ولما كان الكاتب حريصا على إبراز صفة شعب الله المختار لليهود ، نجده يزعم أن اليهود كانوا أنقى أجناس الشرق الأدنى غير النقية لأنهم لم يمتزجوا بغيرهم من الأجناس إلا كارهين ص ٣٢٨ . ويزعم أيضا أن اللغة العبرية كانت أعظم اللغات الطنانة الرنانة على ظهر الأرض ص ٣٢٩ ، وزعم الكاتب أن الأسباط الاثنى عشر كانوا يهودا (ص ٣٢٩) .

ومن باب تقنين الجريمة وصف الكاتب داود عليه السلام بالعبارات التالية ص ٣٣١ :

(داود قاتل جالوت ، وحبيب يوناثان وكثير من الفتيات ، الذى يرقص بكل قوته وهو نصف عار ويجيد الضرب على القيثارة ، ويغنى أغانيه العجيبة بصوته الرخيم ، ملك اليهود القدير الذى ساسهم نحو أربعين عاما) .

(فهو قاس القلب كما كان الناس فى وقته وكما كانت قبيلته ، وكما كانت الصفات التى خلعها على إلهه ، ولكنه مع هذا كان مستعد لأن يعفو عن أعدائه كما كان يعفو عنهم قيصر والمسيح ، يقتل الأسرى جملة كأنه ملك من ملوك الآشوريين ويأمر ابنه سليمان أن « يحد بالدم إلى الهاوية » شيبة شمعى بن جيرا الذى لعنه منذ سنين كثيرة ، ويأخذ امرأة أورية الحثّى بين نسائه فى غير حياء ، ويرسل أورية إلى الصف الأول فى ميدان القتال ليتخلص منه ..... ومع ذلك يعفو عن صمّويل مرات ..... ولا يسلبه إلا درعه) (ص ٣٣١) .

وهكذا حول الكاتب بمزاعمه داود إلى نبى يهودى ، قاتل ، زان ، لص غدّار[1] ....

وعلى هذا النسق استمر الكاتب يعالج تاريخ سليمان (عليه السلام) ص ٣٣٢ وما بعدها :

---

(١) وهكذا يبرر اليهود جريمتهم من خلال ما يزعمون أنها التوراة التى قاموا بتأليفها ويعلق الكاتب على ذلك بقوله « أما يشوع فقد أقام حكمه على قانون الطبيعة الثانى وهو أن أكثر الناس قتلا هو الذى بقى حيا وبهذه الطريقة الواقعية التى لا أثر فيها للعواطف استولى اليهود على الأرض الموعودة » (ص ٣٢٧) . وهكذا صور اليهود « الله » عز وجل بأنه يحب سفك الدماء ، كما صوروا موسى على أنه نبى يهودى ، وقدمّنا فساد ذلك التصور ، تعالى الله عمّا يقولون عَلُواً كبيراً . « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ » ، ذرية إبراهيم ، دار الوفاء .

« ولما ورث سليمان العرش قتل جميع منافسيه فى الملك ليستريح من متاعبهم ، ولكن عمله هذا لم يغضب يهوه الذى أحب الملك الشاب فوهبه حكمة لم يهبها أحدا من قبله ولا من بعده ... إنه لم يكفه أن يستمتع فى حياته بكل نعيم ولذة وأن يقوم بجميع ما يفرضه عليه الملك من واجبات ففى حكمه الطويل أفادت أورشليم ، التى اتخذها داود [1] عاصمة . ومن بلاد العرب جاءت إليه ملكة سبأ تخطب وده ، ولعلها جاءت إليه أيضا تطلب معونته ص ٣٣٣ .

واستخدم بعض هذه الثروة فى ملاذه الشخصية ، وأخص ما استخدمها فيه إشباع شهواته فى جمع السرارى ، وإن كان المؤرخون ينقصون زوجاته السبعمائة وسراريه الثلاثمائة إلى ستين وثمانين على التوالى ، ولعله أراد ببعض هذه الزيجات أن يوطد صلاته بمصر وفينيقية أو لعل الباعث له عليها هو نفس الباعث الذى حمل رمسيس الثانى على هذا العمل بعينه ، وهو رغبته فى أن يترك وراءه طائفة من الأبناء لهم من القوة الجنسية العظيمة ما كان له هو . على أن سليمان قد استخدم معظم موارده فى تقوية دعائم حكومته وتجميل عاصمته ، ص ٣٣٣ .

« ولكنه أفلس وأفلست معه بلاد اليهود » ص ٣٣٤ ومن الوسائل التى استخدمها لتمويل حكومته .... بيع العاج والقردة والطواويس ، وهذه كان يمكن بيعها للأثرياء بأثمان غالية ص ٣٣٤ .

وكان يفرض الإتاوات على جميع القوافل المارة بفلسطين . وقد فرض ضريبة الرؤوس على جميع رعاياه ... وأن سليمان اعتزم أخيرا أن يزين المدينة بمعبد جديد ليهوه ص ٣٣٤ .

ويزعم الكاتب فى هامش ص ٣٣٤ ، (إنه ليس ببعيد لأن يكون مكان الهيكل هو المكان الذى يشغله الآن الحرم الشريف فى المسجد الأقصى) .

« ولما فرغ سليمان من إقامة ملكه شرع يستمتع به ، وأخذت عنايته

---

(١) لعلنا نذكر ما فعلته إسرائيل الحالية من إعلان القدس عاصمة لها مدى الحياة ، وقد سبق ذلك تمهيد طويل ، حمل لواءه مزيفو التاريخ ، فها هو الكاتب يزعم أن القدس عاصمة للدولة اليهودية منذ عهد داود (ص ٣٣٢) .

بالدين تقل على مر الأيام ، كما أخذ يتردد على حريمه أكثر مما يتردد على الهيكل – إذ أقام مذابح للآلهة الخارجية التى كانت تعبدها زوجاته الأجنبيات ، ولكن كتاب أسفار التوراة لا تطاوعهم أنفسهم على أن يصفحوا عنه لعدله الفلسفى أو لعدله السياسى – بين مختلف الآلهة .... ثم تحدث الكاتب عن أسر اليهود فقال : فكان ما قاسوه من العذاب هو الذى حول دين يهود الحربى إلى دين أنبيائهم الذى لا يكاد يفترق عن الاشتراكية فى كثير أو قليل ، ص ٣٣٧ .

وهكذا حول الكاتبُ ، النَّبى المسلَم الكريم سليمَان عليه السلام إلى : نبى يهودى ، سفاك دماء ، زير نساء ، استخدم ثروته فى إشباع شهواته فى جمع السرارى ، وأن علاقته بملكة سبأ كانت علاقة غرامية ، لا أثر فيها للدعوة إلى الإسلام (٢) .

كما حوله إلى مشرك ، لا يجد غضاضة فى عبادة الآلهة المختلفة ، وأنه كان يوالى أعداء الله خوفا منهم . إلى غير ذلك مما قرأنا ، وآخره أنه أقام هيكلا ليهوه مكانه أسفل المسجد الأقصى .

وانتقل الكاتب بعد ذلك إلى معالجة تاريخ موسى عليه السلام على نفس النسق السابق . فزعم أنه كان يهوديا ص ٣٣٨ .

وكيف أخذ اليهود يرقصون وهم عراة أمام العجل الذهبى ، وكيف أعدم موسى واللاويون ثلاثة آلاف منهم عقابا لهم على عبادة هذا الوثنى . وفى تاريخ اليهود الباكر شواهد كثيرة تدل على أنهم عبدوا الأفعى ، ومن هذه الشواهد صورة الأفعى التى وجدت فى أقدم آثارهم ومنها الأفعى النحاسية التى صنعها موسى والتى عبدها اليهود فى الهيكل إلى أيام حزقيا(٣) ص ٣٣٩ .

---

(١) وهكذا منذ سنوات طويلة حدد اليهود مكان الهيكل ، أنه كان مكان المسجد الأقصى ، ورسموا صورة لما يجب أن يكون عليه الهيكل عند هدم المسجد الأقصى وإقامته مكانه ، ص ٣٣٥ (انظر التصحيح : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، بلاد الشام ، ذرية إبراهيم عليه السلام) .

(٢) انظر سليمان الحكيم لعميد الأدب العربى !! « توفيق الحكيم » الذى يصور العلاقة بين سليمان عليه السلام وملكة سبأ على أنها علاقة غرامية .

(٣) وهى رمز للماسونية العالمية ، وذلك يؤكد أن الماسونية من ابتداع اليهود .

« ويبدو أن الناس كانوا ينظرون إلى موسى وهارون على أنهما ساحران ، وأنهما كانا يناصران السحرة والعرافين » ، ص ٣٣٩ .

وزعم أن يهوه هو إلٰه موسى وداود وغيره من الأنبياء ص ٣٤٠ وصوره كما صورته التوراة ، لا يعلم كل شيء ، ولا يرى نفسه معصوما من الخطأ ، ويرى أن أشنع ما وقع فيه من الأخطاء هو خلق الإنسان ، ولذلك نراه يندم بعد فوات الفرصة على خلق آدم . وتراه غضوبا شرها ، متعطشا للدماء . متقلب الأطوار نزقا نكدا ، وهو يرضى عما استخدمه يعقوب من قتل وخداع فى الانتقام من لابان وهو كثير الكلام .. إلى آخر ما أورده صاحب قصة الحضارة ، ص ٣٤٠ .

ويضع الكاتب على لسان موسى كلمات : « الرب رجل حرب » ، ويذكر الكاتب أن الأرض الموعودة (فلسطين) لا تنال إلا بحد السيف ولا يحتفظ بها إلا بالسيف ..... ص ٣٤١ . وتمر عدة قرون من الهزائم العسكرية والخضوع السياسى والتطور الأخلاقى حتى يستحيل هذا الإلٰه إلى والد هو والد (١) المسيح ص ٣٤١ . ويستمر كاتب قصة الحضارة فى تصوير الإلٰه العظيم بهذه الصفات التى يتنزه عنها سبحانه وتعالى : « وهو إله جبار يفكر فى إهلاك اليهود على بكرة أبيهم لأنهم عبدوا العجل الذهبى ، ويضطر موسى إلى أن يراجعه حتى يتملك عواطفه ، فيقول لربه : ارجع عنى حمو غضبك واندم على الشر بشعبك » ، « وندم الرب على الشر الذى قال أنه يفعله » ، ص ٣٤١ ثم يريد يهوه أن يفنى اليهود أصلا وفرعا لأنهم عصوا موسى ولكن موسى يستثير فيه عواطفه الطيبة ، ويأمره أن يفكر فيما يقوله الناس عنه إذا سمعوا بفعلته ، وهو يختبر قومه اختبارا قاسيا فيطلب إلى إبراهيم تضحية يا لها من تضحية ، ويعلّمُ إبراهيم يهوهَ ، كما يعلمهُ موسَى مبادىَء الأخلاقِ السامية » . ص ٣٤٢ .

ثم يتحدث الكاتب عن الديانة العبرانية فيقول : إنها كانت أقرب إلى التوحيد من كل دين آخر قبل عصر الأنبياء ، إذا استثنينا عبادة الشمس القصيرة الأجل فى عهد إخناتون . لقد كانت اليهودية تسمو كثيرا على غيرها من أوثان ذلك الوقت فى عظمتها وسلطانها . ص ٣٤٤ .

---

(١) وهكذا يبدو اتباع منهج تطور الأديان واضحا فى كلام الكاتب .

(وبقيت عبادة يهوه قرونا كثيرة دينا قوامه الخوف لا الحب ، والرهبة لا الرغبة رغم ما بذله سليمان من جهود لكى يجمل باللون والنغم عبادة هذا الإله الرهيب) .

(ولسنا ندرى ، إذا رجعنا بذاكرتنا إلى هذا الدين وأمثاله ، هل عادت الأديان على الإنسانية بالسلوى بقدر ما عادت عليها بالفزع) ص ٣٤٤ .

والعجيب أن ديورانت لم يترك الفرصة تمر دون تعليق فنراه يزعم نصا : « أن التوحيد حتى فى يومنا هذا إنما هو توحيد نسبى ناقص ، فكما كان اليهود يعبدون إلٰهاً قبليا ، فإنّا نحن أيضاً نعبد إلٰهاً أوروبياً . أو إلٰهاً إنجليزياً أو ألمانياً أو إيطالياً . ولا تمر بنا لحظة واحدة نتواضع فيها قليلا فنذكر أن الملايين الذين يسكنون الهند والصين – بل سكان الغابات المتفقهين فى دينهم .... ولن يكون للعالم كله إله واحد حتى تربط الآلات الأرض وتؤلف بينها . وتجعلها وحدة اقتصادية ، وتجمع الأمم فى حكومة واحدة (هامش ص ٣٤٣ – ٣٤٤) . ويستمر الكاتب فى تحامله على نبى الله سليمان فيقول :

« لقد تعجل سليمان ، كما تعجل بطرس الأكبر ولينين ، حينما أراد أن يحول البلاد من دولة زراعية إلى أخرى صناعية » ص ٣٤٨ .

وينسب الكاتب قصة الحضارة [1] ، التوراة المحرفة إلى موسى عليه السلام (ص ٣٦٦ وما بعدها) .

« وقصة الحضارة » كما هو واضح تقوم بنشره » الإدارة الثقافية – بجامعة الدول العربية » ، ولهذا قصة أوردها « الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين » – رحمه الله – فى كتابه « حصوننا مهددة من داخلها » ، دار الإرشاد ، بيروت ، ط ٣ ، ١٣٩١ هـ (ص ١٧٠ وما بعدها) ملخصها : أن هذا الكتاب « قصة

---

(١) هذه هى مقتطفات من أحد المراجع التى يعتمد عليها الطلاب المسلمون وغير المسلمين فى غالب بقاع الأرض ، وفيه كما قرأنا ، تشويه لدين الله عز وجل ، وفيه تشويه وتزييف لتاريخ الأنبياء المسلمين والدين الذى دعوا إليه ، وفيه كذلك اعتداء شنيع على ذات الله عز وجل ، فهل يجوز للمسلم أن يعتمد على مثل هذا المرجع ؟ والذين نجوا من قلم الكاتب هم اليهود ، الذين يعتبرهم شعبا لله مختاراً (وردنا على هذه الافتراءات فى كتابنا « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، بلاد الشام » بإذن الله) .

الحضارة » قد « استوحته اللجنة الثقافية لجامعة الدول العربية على عهد رئيسها « طه حسين » – من اليونسكو (وهى الهيئة التى يسيطر عليها – كما هو الشأن فى أكثر مؤسسات الأمم المتحدة الصهيونية العالمية الهدامة) ، كما استوحت البعض الآخر من السفارة الأمريكية .

ويقول المؤلف أن اللجنة الثقافية بهذا تكون قد لجأت إلى اليهودية العالمية الهدامة ، لتختار لها أشد الكتب فتكا بالدين والأخلاق ، وأفعلها فى قتل الشخصية العربية المسلمة ، ومحو مقوماتها ، وتدمير تفكيرها ، وتسميم ينابيع الثقافة منها ، ومن أراد الدليل على صدق ما أقول ، فليرجع إلى الكتابين اللذين أشرت إليهما : (مقالات للكاتب الأمريكى « امرسون » ، وقصة الحضارة) لـ « ديورانت ») . فسيجد فيهما الكيد للإسلام وللاتجاه الدينى ظاهرا وخفيا ، وسيجد أن اليهودية وحدها هى التى سلمت من كيد المؤلفين وبذاءتهما ، وسيجد الثناء على اليهود واليهودية تصريحا وتلميحا .... ويجد ذلك فى عرض ديورانت لتاريخ اليهود عرضا جذابا مشوبا بالعطف والمحاباة (جـ ٢ ،م١ ، ص ٣٢١) وما بعدها ، وفى اعتماد ديورانت الشديد على المؤرخ اليهودى « يوسيفوس » ، وعرضه تاريخ اليهود من زوايا تثير العطف والإعجاب فى كل مكان من الكتاب (مثال ذلك ما ورد على الصفحات ١٣ ، ١٤ ، ٣٣ ، ٣٦ ، ٣٩ ، ٢٠٤ ، ٢١٦ ، من الجزء الثالث ، من المجلد الثالث . وذلك مقابل ما يصبه ديورانت من التهم البذيئة على شخص محمد والمسيح عليهما السلام فى الجزءين الحادى عشر (جـ ٣ ، م ٣) والثالث عشر من كتابه .

وفى هذه الكتب كما قدمنا يحرص « ديورانت » على هدم الدين والتدين من جذوره ، عن طريق تجريح الرسل الأطهار ، وإثارة الغبار حول سيرهم ، وإنزالهم إلى مرتبة الفلاسفة – والكتاب والمصلحين .

إنه إذا راجعنا الجزءين اللذين تناولا حياة سيدنا عيسى – عليه السلام – وحياة سيدنا محمد – عليه السلام – سوف ندرك أن اختيار هذا الكتاب « قصة الحضارة » للترجمة جريمة دبرتها الصهيونية الهدامة المتخفية فى زوايا « اليونسكو » ، ونفذتها بيد « طه حسين » وأمثاله فى جامعة الدول العربية . (ص ١٨٩) .

يتساءل « ديــورانت » فى (جـ ٣ ، م ٣ - الحادى عشر - ص ٢٠٢ - ٢٠٥) : إذا كان المسيح قد وجد حقا ؟ ويشكك فى نسبه وفى أنه ولد من عذراء (ص ٢١٤) ، وينكر كل معجزاته ، فينسبها جميعا إلى الكذب والتلفيق ، أو يردها إلى خداع الحواس ، والوهم أو ما سماه « العلاج النفسى » . (ص ٢٢١ - ٢٢٢) . وهو بهذا يشكك فى ما ورد فى القرآن عن هذا النبى الكريم ، وإذا ما شكك فى القرآن معجزة الإسلام فقد شكك فى هذا الدين .

ويمثل هذا الأسلوب الإلحادى الهدام عالج المؤلف حياة نبينا محمد - عليه السلام - فى الجزء الثالث عشر (جـ ٢ ، م ٤) ففى هذا الجزء من الكتاب أخبث أساليب الكيد والدس للإسلام . والمؤلف لا يلجأ هنا إلى الهجوم البذىء الصريح كما فعل مع شخص المسيح الكريم - عليه السلام - ، ولكنه هنا يتظاهر بالإنصاف ، بل يبدو فى بعض الأحيان كأنه معجب بشخص النبى - عليه الصلاة والسلام - فيقول مثلا : (وكان محمد كما كان كل داع ناجح فى دعوته ، الناطق بلسان أهل زمانه ، والمعبر عن حاجاتهم وآمالهم . (ص ٢٤ ، ٣٣ ، ٤٢) .

وهو فى هذه المواضع كلها يتحدث عن النبى - ﷺ - حديثه عن أى مصلح سياسى تصدر دعوته عن حاجات عصره وتشكلها ظروفه . ومع ذلك فإن كلامه هذا قد يخدع ضعاف المسلمين وأغرارهم حين يرون الكاتب - وهو غير مسلم - يبدى ميلا مصطنعا إلى إنصاف نبى لا يدين هو بدينه . فهذا الكلام المشبع فى ظاهره بروح المودة يخدع كثيرا من المسلمين ، فيتقبلونه بقبول حسن . وينتهى بهم ذلك إلى اعتبار نبيهم واحدا من الزعماء والمفكرين والفلاسفة والمصلحين الذين يزخر بهم تاريخ الشرق والغرب فى العصور القديمة والحديثة . فيخرجهم ذلك عن إسلامهم لا شك ، لأنهم لا يسلمون حتى يعتقدوا اعتقادا خالصا ؛ لا يدخله ريب أن نبوة محمد - ﷺ - كانت بوحى يلاحقه ويقوده ويصحح كل أعماله ، ولست أبالغ ولا أدعى غير الحق حين أقول : إن هذه الروح اللا دينية - مع شديد الأسف - قد أصبحت هى التى تسود دراسات التاريخ الإسلامى فى الجامعات [1] . وذلك يلمسه كل من تخرج فى كليات

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١٩١ .

الآداب أو اتصل بها عن قريب .... وما لى أذهب بعيدا ، وهذا هو محمد بدران يترجم هذا الجزء من (قصة الحضارة) يقدم لى الدليل نفسه على صدق ما أقول ، حين يقرر فى مقدمته أن المؤلف (أى ديورانت) قد أنصف الحضارة الإسلامية فشاد بفضلها ، يقرر المترجم - وهو أحد أبناء المسلمين - ذلك فى سذاجة تبلغ حد الغفلة والبله ، مع أن ذلك الصهيونى الخبيث لا يروى عن النبى (ﷺ) إلا الغرائب التى يخلعها من سياقها وظروفها حتى تبدو لغير الخبير بالتاريخ الإسلامى فى صورة تثير السخط ، وتدعو إلى الاشمئزاز كالذى يصف المجرم وهو يساق إلى القتل ، ويعلق فى الحبل ، ويخفى ما اجترح من مفاسد ، وما أزهق من أرواح بريئة . تجد ذلك فى مثل كلامه عن قتله - ﷺ - امرأة ، وعن قتله شيخا ناهز المائة ، لأنهما هجواه . (ص ٣٥) . وهو يسوق ذلك فى أسلوب هادىء رزين كأنه يسوق خبرا من الأخبار العادية دون أن يعلق عليه ، أو يحتفل به . فلا يكاد القارىء المسلم ينتبه إلى غرضه الخبيث ، الذى هو فى حقيقة الأمر التشنيع بالنبى ﷺ عند المخدوعين بما تزوقه الصهيونية الهدامة من كلمات براقة ، حين تدعو إلى « حرية الهدم » ، وإلى « حرية الإفساد » ، وتسمى ذلك « حرية الرأى » - وليوهم أنه - عليه السلام - لم يكن يرعى حرمة للنساء ولا للشيوخ . ومثل ذلك أيضا قوله : « وضمت صفية - وهى فتاة يهودية فى السابعة عشرة من عمرها ، كانت مخطوبة لكنانة - إلى نساء النبى » ، (ص ٣٩) .

فمثل هذه الألغام التى يدسها الرجل فى ثنايا سطوره تترك أسوأ الأثر فى نفوس القراء من الغربيين ومن ضعاف الإيمان من المسلمين ، والمنتحلين منهم للحضارة الغربية المتخلقين بها خاصة . شيخ جاوز الخمسين يتزوج فتاة فى السابعة عشرة !! وليس هذا فحسب ، بل إنها كانت مخطوبة لرجل يهودى من بنى جنسها ، فأضافها إلى نسائه العديدات !!! هل هذا تاريخ ؟؟ .. أم أنه تشنيع فى أخطر صورة ، لأن صاحبه يتصنع الهدوء ، ويتظاهر بالاتزان والإنصاف ، ويخدع الناس بمثل كلامه عن براعة النبى فى القيادة وفى شئون الحكم ، وفى التنظيم الاجتماعى .

وما يعرضه الكاتب (ص ٤٥) ، نرى فيه الأسلوب المسموم فى التصوير ، فهو يصور النبى - ﷺ - فى صورة المتصابى ، وفى صورة

العصبى المزاج ، المريض الأعصاب ، المصاب بالصرع . ويؤكد هذا الصهيونى الهدام تلك الصورة المفتراة بعد ذلك بقوله : « وقد أعانه نشاطه وصحته على أداء واجبات الحب والحرب ، ولكنه أخذ يضعف حين بلغ التاسعة والخمسين من عمره . وظن أن يهود خيبر قد دسوا السم فى اللحم قبل عام من ذلك الوقت (والكاتب هنا يحرص على تبرئة اليهودية من تهمة دس السم للنبى ﷺ فى الشاة إذ يقول « وظن أن يهود خيبر » .

وإذا رجعنا إلى الصفحات (٣٤ ، ٧١ ، ٧٢) من الكتاب نرى كلاما مسموما يصور المسلمين الأولين وعلى رأسهم النبى ﷺ فى صورة عصابات من اللصوص وقطاع الطرق ، والذى ينزل بدوافع الفتح النبيلة إلى أغراض مادية ، فينقلب ذلك النفر القليل من المجاهدين الأولين فى نشر كلمة الله ، الذين لم يكونوا يبالون بحياتهم الدنيا فى سبيل ما أعده الله لهم من ثواب الجهاد فى نشر دينه ، ينقلب ذلك النفر الكريم إلى جماعة من اللصوص وقطاع الطرق .

لماذا تؤذى جامعة الدول العربية المسلمين والعرب بسماعه ؟ ... لماذا تنفق على نقله إليهم من أموالهم ، ... كأن مهمتها هى إسماعهم ما يكرهون ، وإحصاء ما قيل فيهم من الشتائم ، وإذاعته على الناس ؟ ... إن الحكومات تمنع شعوبها من الاستماع إلى الدعايات التى تفترى عليهم ، والتى تثبط من عزائمهم ، وتفرق كلمتهم ، وتنفق فى مقاومة مثل هذه الإذاعات الآلاف والملايين فى بعض الأحيان ، فهل دين الله أقل قداسة وأهون مقاما ؟؟ ...

لا يكفى فى دفع ضرر هذا الكتاب وأمثاله أن تكلف الإدارة الثقافية « د . الشيخ محمد يوسف موسى » بالتعليق على ما يراه مستحقا للتعليق ، فيعلق على بعض ، ويهمل بعضا ، لأن السذج والغافلين وقليلى الخبرة بتاريخ المسلمين — وليست لدينا وسيلة لمنع وصول الكتاب إلى أيديهم — إن قرأوا ما فى هذه الحواشى واقتنعوا بها مرة ، فقد يهملونها ، وقد تستغويهم أباطيل الكتاب مرات ، فما هى حاجتنا أصلا إلى ترجمة مثل هذه المفتريات ؟ .. أى فائدة تعود على العرب المسلمين من نقل مثل هذا الكلام حتى يغضوا الطرف عما فيه من الأذى ؟؟ .. هل هذا مما يزيد المسلمين تماسكا ؟ .. أم هو يعينهم على النهوض ؟ .. لماذا تنقل إلى لغتنا هذه الكتب التى تتكلم عن نبينا عليه الصلاة

والسلام بوصفه مصلحا لا نبيا ... وقد كان من آثار هذه الدعايات ، ولا أقول البحوث أن افتتن بها جماعة من المسلمين فاتخذوها نموذجا لبحوثهم الإسلامية ، وظنوا أن تجردهم من إسلامهم شرط لسلامة البحث وعلميته - كما زعم لهم طه حسين فى كتابه « الشعر الجاهلى » الذى سيق بسببه إلى المحاكمة - وقد أصبح التاريخ الإسلامى ، بل الدراسات الإسلامية فى كل فروعها ، لا تدرس فى الجامعات العربية الآن على اختلافها إلا على هذا النمط الفاسد المفسد الهدام (١) .

---

(١) حصوننا مهددة من داخلها ، ص ١٩٦ ، بعد هذه الشهادة التى أدلى بها أستاذ كريم هو الأستاذ الدكتور محمد محمد حسين - رحمه الله - ، وبعد ما عرضنا تتضح أهمية بل ضرورة تعديل مناهج التاريخ بالجامعات والمدارس ، بما يتفق مع عقيدة الأمة المسلمة ، ويحقق أهدافها وآمالها ، مع التصدى للهجمة الاستشراقية التى يحمل لواءها الآن فى دور العلم الكثير من أبناء العرب والمسلمين ، والتى تهدف إلى تربية أجيال لا تعرف لها ربًّا ولا ترتضى لها دينا .

المبحث الخامس

١ - الحضارة العربية الإسلامية ، تأليف الدكتور : على حسنى الخربوطلى ، القاهرة .

يعتمد الكاتب فى كتابه هذا على المستشرقين أعداء الإسلام ، مثال : « دوزى » ، « وجب » و « فون كريمر » و « هل » و « لامانس » و « ستانلى لان بول » و « مويلى » و « بروكلمان » و « توماس أرنولد » و « بارتولد » و « سيديو » و « جوستاف لوبون » و « فان فلوتن » ومعظمهم من المستشرقين الخطرين الذين ساهم بعضهم فى كتابة دائرة المعارف الإسلامية ، والذين يحرصون فى كتاباتهم على هدم الدين الإسلامى كنظام صالح لكل زمان ومكان ، كما أنهم يحرصون على تشويه وتزييف تاريخ الأمة المسلمة الذى يعتبر الواقع التطبيقى لهذا الدين على عهد رسول الله وصحبه الخلفاء الراشدين من بعده . كما أنهم يحرصون على النيل من صحابة رسول الله وتجريحهم ، لأنهم حملة هذا الدين أيضا ، فإذا شككوا فى حملة هذا الدين فقد شككوا فى الدين نفسه .

فالكاتب يزعم أن الرسول هو صاحب « الشريعة » ، ونسى أن التشريع من حق الله » ، (ص ٤) . وأن ما كان يشرعه الرسول ﷺ هو بناء على وحى الله عز وجل : ﴿وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى﴾ .

ويستشهد الكاتب بمستشرق خطير ، هو « توماس أرنولد » فيما يتصل بالخلافة ومقارنتها بنظام وثنى ، هو نظام الامبراطورية الرومانية المقدسة ، ويزعم فى نهايته أن الإسلام كذلك دين عالمى ، كالذى كانت تدعو إليه الكنيسة منذ نشأتها . (ص ٤ - ٥) فالكاتب هنا يشبه الإسلام ، دين الله الحق بدين كفرى هو المسيحية .

ويزعم أن الخليفة ليس له سلطات كالتى كان ينعم بها البابا ، ويفصل بين الدين والسياسة ، (ص ٥) . فالمثل الأعلى للكاتب هو البابا ، الذى لا يصل الخليفة إلى مستواه ونسى أن الخلافة نظام يقوم على الإسلام .

ويزعم بأن الخليفة كان ينعم بسلطات سياسية عظيمة ، ولكن سلطاته الدينية كانت ضعيفة جدا ، ويزعم بأن هذه هى نظرة أهل السنة ، (ص ٥). والكاتب هنا ينطلق من منطلق أن الإسلام ليس نظاما سياسيا وهو بهذا يردد الفكرة الاستشراقية ، التى تفصل بين الدين والحياة ، والتى تشكك فى أن الإسلام نظام حياة شامل ، صالح لكل زمان ومكان .

ويزعم بأن الخلافة ، كان القائم بها موظفا سياسيا قبل أن يكون موظفا دينيا (ص ٦) .

ويزعم أن القرآن لم يشر إلى نظام الحكم الذى يتبعه المسلمون بعد وفاة الرسول (ص ٦) .

ويزعم أن الرسول ﷺ توفى دون أن يرسم طريقا لاختيار الخليفة [١] . (ص ٦ - ٧) .

ويزعم بأن عثمان - رضى الله عنه - غير سيرته ، وحاد عن الحق ، وأن المبدأ هو الذى حمل الثوار على قتل عثمان حين غيّر وبدل ، (ص ٩) .

ويردد مقولة المستشرقين أنه لا يوجد نظام سياسى إسلامي [٢] ، (ص ١٢ - ١٣) ، أى أن الإسلام ليس نظام حياة شامل .

ويزعم أن العرب (وليسوا المسلمين) بنوا حضارة على أنقاض أمم ذات تاريخ مجيد عريق ، فى الحضارة والمدنية والنظم السياسية ، (ص ١٨) ، ونسى أن العرب لم يكن لهم قيمة بدون الإسلام .

يزعم الكاتب أن الإسلام أقر بعض التقاليد العربية ، وأنكر البعض الآخر ، وعدّل غيرها ، بحيث تكون موافقة لروحه وتعاليمه (ص ٣٥). كأن الإسلام دين يقوم على أساس التقاليد الجاهلية .

---

(١) انظر الرد (أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، استخلاف أبى بكر الصديق .

(٢) وهو يردد ما قاله على عبد الرازق فى كتابه « الإسلام وأصول الحكم » ، ويخدم الفكرة التى نادى بها كمال أتاتورك ، وهى فصل السلطنة عن الخلافة ، فاستحق .

ويزعم أن الفقه الإسلامى تأثر بالقانون الرومانى ، (ص ٤١) ، فهل بعد هذا افتراء على دين الله من أحد أجناد المسلمين .

الزعم بأن الجهاد لم يكن لنشر الإسلام ولكن حتى لا يركن المسلمون إلى حياة الدعة والاستقرار ، (ص ٥٠) .

يتجاهل الكاتب توفيق الله للمسلمين فى غزواتهم ، ويعزى انتصاراتهم إلى إبلهم ، (ص ٥٧) .

ويقصر الكاتب الفتح الإسلامى على العرب وليس على المسلمين ، وأن الدين الإسلامى قد امتزج بالديانات الأخرى فى الأمصار المفتوحة فيقول الكاتب : « وظهر الامتزاج فى عدة صور ، فكان هناك امتزاج فى الدماء ، فى الحضارات ، وامتزاج فى اللغات ، وامتزاج فى الأديان »[١] ، (ص ٦٩) .

يزعم الكاتب أن الحضارة الإسلامية مزيج من حضارات مختلفة ... وأن المسلمين اقتبسوا من الفرس والروم ، فى جميع النواحى ، بما فى ذلك نظام الحكم ، (ص ٧١). وفى هذا القول إنكار للوحى وللرسالة ؛ فنظام الحكم فى الإسلام يقوم على كتاب الله وسنة رسوله محمد ﷺ ، ومحمد ﷺ نبى رسول يوحى إليه ، ولم يأخذ شيئا فى ذلك عن الفرس أو الروم كما زعم الكاتب ، كما أن الحضارة الإسلامية تقوم على العقيدة الإسلامية .

يزعم الكاتب أن أسباب انتشار الإسلام هو تشابه الإسلام والمسيحية فى الأصل الأساسى ، وهو الإله الواحد[٢] ، (٧٥) .

فهل المسيحيون كانوا يؤمنون بإله واحد ، ألم يقرأ قوله تعالى : ﴿ لقد كفر الذين قالوا : إن الله ثالث ثلاثة ﴾ .

---

(١) لا أدرى ما رأى علماء الإسلام فى هذا الذى يقول به أحد أبناء المسلمين ؟؟

(٢) هل يجوز للمسلم أن يقول بهذا ؟؟ وما هو حكم الإسلام فيمن يردد عن دين الله ورسوله ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم ، ما يهدف .

وزعم أن الإسلام لم يقابل عدوا قويا فلم تكن اليهودية ، أو المسيحية بالقوة التى تحول دون انتشاره ، (ص ٧٦) .

يزعم الكاتب أن الإسلام أصبح بالنسبة لسكان الأمصار مسألة اقتصادية واجتماعية أكثر منه فكرة دينية ، (ص ٧٦) .

هذا الامتزاج بين الحضارات ، جعل البعض يذكرون أن الأمة الإسلامية لم تعد أمة عربية لغتها واحدة ، ودينها واحد ، وخيالها واحد كما كان الشأن فى عصر الرسول ﷺ ، (ص ٧٧) .

اتهام المسلمين بالعصبية ، وكانت العصبية هى أهم مميزات حياة العرب فى الدولة العربية الإسلامية ، بل كانت المحور الذى تدور حوله حياتهم السياسية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية ، (ص ٨٢) .

يزعم الكاتب أن الإسلام على قدر ما حارب « العصبية القبلية » ، فإنه لم يقض عليها ولم يمحها من نفوس أصحابها ولكنها تضاءلت فى نفوسهم ، (ص ٨٣) .

يزعم الكاتب أن العرب وضعوا (يقصد المسلمين) أسس « العصبية القبلية فى نفس الوقت الذى وضعوا فيه أسس المدن الجديدة ، فقد أصبح لكل قبيلة مكان خاص بها فى المسجد ، وأصبح يمثل الروح القبلية . فأزال العرب بذلك الحكمة التى قصدها الله من الصلاة »، (ص ٨٣) .

يزعم الكاتب أن « العرب بذروا فى خلافة عمر بن الخطاب بذور العصبية القبلية فى الأمصار التى فتحوها ». (ص ٨٤) .

يزعم الكاتب أن عمر بن الخطاب – رضى الله عنه – قد ساعد على ظهور روح العصبية (ص ٨٥) . فقد كانت سياسة عمر القاضية بعدم اختلاط العرب بالشعوب الأخرى المتحضرة عاملا على احتفاظهم بالتقاليد البدوية بما فيها من تنابذ وتعصب ، (ص ٨٥) .

ويورد الكاتب مزاعم المستشرقين ، فيما يتصل بحياة أهل الذمة الاجتماعية فى الدولة العربية الإسلامية ، وبأن الفتح الإسلامى لم يكن يهدف نشر الإسلام ، بل للاستيلاء على ثروة أهل البلاد ، وأن المسلمين فرضوا الضرائب الباهظة

على أهل الذمة ، ونظروا إليهم نظرتهم إلى بقرة حلوب ، وعاملوهم كمعاملة يهود أوروبا فى العصور الوسطى ، أو روسيا ، (ص ١٠٣) .

ولا يفوتنا هنا أن نذكر أن الكاتب قد ألف كتابا ، اسمه « غروب الخلافة الإسلامية » مؤسسة المطبوعات الحديثة ، القاهرة ؛ يشكك فى أحاديث صحيحة واردة فى البخارى ومسلم [1] ، مروية عن رسول الله محمد - ﷺ - (ص ٨ ، ٩) .

٢ - الشرق الخالد ، مقدمة فى تاريخ وحضارة الشرق الأدنى منذ أقدم العصور حتى عام ٣٢٣ ق . م ، تأليف د . عبد الحميد زايد ، دار النهضة المصرية ، القاهرة .

وهذا نموذج لكتابات أحد أبناء المسلمين ، وهى تعتبر امتداد للفكر الاستشراق الذى يقوم عليه اليهود والنصارى والملحدون ، فالكاتب هنا يزعم بأن موسى عليه السلام مصرى ، وأنه تأثر بعقائد الفراعنة وأنه مؤسس دين ، وأنه تزعم ثورة ضد فرعون .

وخلال هذا العرض الذى قدمه الكاتب ضاعت ملامح النبوة والرسالة التى أكرم بهما موسى عليه السلام . يقول الكاتب نصا :

من هو موسى وكيف تمت سكنى فلسطين ؟ « لقد أجمعت آراء المؤرخين أنه كان مهذبا طيب القلب ، هو ذلك الرجل المصرى الذى عاش فى بلاط فرعون وتأثر هو وبنو إسرائيل بعقائد المصريين . فثار موسى على تعدد الآلهة وتزعم حركة الثورة على دين فرعون . وبفضل النبى موسى رغب الإسرائيليون فى الاستقرار ، ولذلك عمل على تخليصهم من حياة البداوة والترحال ووعدهم موسى أرض كنعان التى كانت ملكا للعرب والعبريين . وكان عليهم أن يدخلوا فى معارك ضد أهلها ، وطالب موسى بنى إسرائيل بالقتال معتمدا على شريعة الآباء الأولين . ثم يفكر فى الدعوة إلى إله جديد غير تلك المعبودات التى كانت

---

(١) انظر التصحيح فى كتابنا « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، استخلاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه .

سائدة عند بنى إسرائيل »[1] .

وزعم الكاتب أن داود عليه السلام كان متآمرا ، وأنه كان يهوديا ، وأنه جعل الدين اليهودى هو الديانة الرسمية لدولة إسرائيل وأنه كان موسيقيا ، وشخصية مليئة بالمتناقضات يقول الكاتب بالحرف الواحد :

« لقد قضى على داود بالسلاح الذى اتخذه ضد أعدائه ، وهو سلاح المؤامرات وأهم ما يلفت النظر فى حكم داود هو أنه جعل ديانة يهوه الديانة الرسمية فى تلك الدولة الموحدة (إسرائيل ويهوذا) » (ص ٣٨٦) .

« وقد كان داود شاعرا ، وسبق أن ذكرنا أنه كان موسيقيا . وكانت شخصيته متناقضة فهو جبار إذا ما اضطر إلى ذلك ولكنه ضعيف أمام أولاده ونسائه » .

تحدث الكاتب عن تاريخ سليمان فزعم : أنه يهودى ، وأنه كان يدين باليهودية ، فربط بينه وبين اليهود الذين يدعون انتسابهم إلى سليمان . بل وأعطى لهم الحجة بزعمه أن هيكل اليهود مكانه تحت قبة الصخرة فى بيت المقدس – لهدم المسجد الأقصى . وزعم الكاتب أن سليمان كان قاتلا ، وقتل من آخاه ، وقتل كبير الحاخامين حتى لا يقف فى وجهه إذا ما أراد أن يخالف تعاليم الدين ... الخ ما سنقرأه فى السطور التالية وهو مأخوذ نصا عن كتاب الشرق الخالد .

أراد سليمان أن يحكم البلاد حكما مطلقا لذلك سلك طرقا مألوفة فى عصره : فقتل أخاه (أدوينا) ، وكذلك قتل كبير الحاخامين حتى لا يقف فى وجهه إذا ما خالف تعاليم الدين ، ثم أطلق بعد ذلك سليمان لنفسه العنان فى تحقيق رغباته الشخصية وأراد ملكا لا ينبغى لأحد من بعده . وبينما كان داود محاربا نجد سليمان يبتعد عن الحرب ويسلك طريق المصاهرة » (ص ٣٨٧) .

---

(١) هذا قلب للحقائق ، فأبناء إسرائيل كانوا فى الأصل مسلمين موحدين ، أما الفراعنة المصريون فقد كانوا مشركين ملحدين ، كما أن نشأة موسى وحياته كانت على عين الله سبحانه وتعالى ، ثم إن تكليفه بالرسالة كان وحيا من الله الواحد القهار ، وليس من اختراع عقله البشرى . كما أن موسى رسول نبى ، وليس بزعيم ثورة ... كما عرفنا عند دراستنا لسيرة موسى عليه السلام (التصحيح ، أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، بلاد الشام) .

« كما حاول أن يسير على طريقة فرق تسد وذلك بإيجاد مشاكل تخص حدود أراضى هذه القبائل (الأسباط) فأشعل بينها نار الحقد والثورة» .

« وختم مشروعاته بإقامة هيكل وغالبا أن موقعه كان الذى تحتله قبة الصخرة حاليا . لقد سخر سليمان حوالى ثلاثين ألفا من رعاياه بالتناوب فى منشآته العمرانية » (ص ٣٨٨) أثقل سليمان كاهل الشعب بالضرائب لتحقيق مشاريعه وللإنفاق على حاشيته وجيشه .

« وفى الواقع فإن سليمان ملك تاجر ، من أجل ذلك ملئت خزائنه هو ورجاله فى بلاطه وظهرت طبقة من الحاشية وكبار الموظفين التجاريين التى كانت غارقة فى النعيم والملذات والليالى الحمراء والشعب من وراء تلك الشرذمة يتضور جوعا » .

« وكان من نتائج ذلك التذمر على سليمان ، خصوصا وأنه قد تهاون فى بعض الطقوس الدينية » (ص ٣٩٠) .

وتحدث الكاتب مرة أخرى عن شريعة موسى فزعم أنها مقتبسة من شريعة حمورابى ،؟! .

وزعم الكاتب أن كتاب العهد القديم المحرف هو شريعة موسى ، التى تلقاها عن الإله يهوه ؟ .

الشرائع الموسوية ؟ لما زحف سرجون الثانى على فلسطين فى الربع الأول من القرن الثامن قبل الميلاد انتقلت الحضارة البابلية وفى ركابها شريعة حموارابى فرضت نفسها على المجتمع الإسرائيلى . إذن فقد اقتبس موسى شريعة عربية جنوبية . هذا وإن كانت شريعة موسى قد ارتبطت بالشريعة الحمورابية فقد كان ذلك مدنيا فقط .

وقد لوحظ فى الشريعة الحموارابية طابع الإنسانية العالمية ، بينما المجتمع الإسرائيلى لم ينهض برسالة عالمية .

وكتاب العهد أقدم وثيقة جمعت الشريعة الموسوية (وهو نسخة أخرى من شريعة حمورابى . وقد تسلم موسى وحمورابى الشريعة سلطة عليا ، فقد تلقاها حمورابى من الإله شماس ، وكذلك تلقاها موسى من الإله يهوه (ص ٢٩٩) .

وتناول الكاتب قضية التوحيد والدين ، فزعم أن التوحيد من اختراع العقل البشرى ، وأنه تطور من الوثنية والتعدد إلى التوحيد وزعم أن المصريين قد وصلوا إلى التوحيد من تلقاء أنفسهم قبل إبراهيم (عليه السلام) بزمن طويل .

كما زعم الكاتب أن عبادة قرص الشمس آتون هى توحيد حقيقى فقال :

« الواقع أن ديانة آتون لم تصبح مجرد نظرية مادية تتحدث عن القوة الكامنة فى قرص الشمس ، ولكنها توحيد حقيقى » (ص ٤٠٣) .

« والاعتقاد بوجود إله أعلى دون أن يمنع وجود آلهة أخرى تعتبر مرحلة وسطى بين الاعتقاد بتعدد الآلهة وبين التوحيد » (ص ٤٠٥) .

إبراهيم بين كتب الدين وأقوال المؤرخين : ومع أن التوحيد لم يكن مجهولا قبل أيام إبراهيم . فقد عبد المصريون القدماء إلها واحدا ، كما قاموا بوزن أعمال الإنسان فى العالم الآخر الذى صوروه على صفحات جدران قبورهم وعلى البردى . وإنما كل ذلك لم يكن دعوة بنبوة ورسالة من الله ، بل كان دعوة كهان أو ملوك تخفى وراءها أشياء كثيرة . (ص ٤١٥) .

٣ - الموسوعة العربية الميسرة التى أشرف على تحريرها محمد شفيق غربال واشترك فى تحريرها من أساتذة التاريخ : د إبراهيم نصحى ، د أحمد فخرى ، د . أحمد بدوى ، د . أنيس صايغ ، وتوفيق إسكندر ، د . زينب عصمت راشد ، د . عبد الرحمن زكى ، د . عبد المنعم أبو بكر ، د . قسطنطين زريق ، د . محمد يوسف زايد ، د . وديع ، القاهرة .

تسير على نفس الخط الذى رسمناه آنفا فمثلا فى ص ١٠٠١ تورد معلومات عن سليمان عليه السلام فتقول : « ابن داود ، نبى ، وملك اليهود ، وفى عهده بنى الهيكل المقدس » .

وفى ص ١٩٨١ - ١٩٨٢ ، تورد معلومات عن نبى الله عيسى عليه السلام معتمدة على التوراة والإنجيل ، وفيها مخالفات عقـدية .

٤ – سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين فى النصف الأول من القرن العشرين ، تأليف حسن صبرى الخولى ، المجلد الأول ، دار المعارف بمصر ١٩٧٣ .

يعالج الكاتب تاريخ اليهود ارتباطا بتاريخ داود وسليمان عليهما السلام على أساس أنهما نبيين يهوديين يقول الكاتب نصا : « وقد وردت لفظة يهودية لأول مرة فى التوراة ، عندما تعرض هذا السفر الدينى للملك داود ، الذى أسس مملكة إسرائيل واستوى على عرشها ، ص ٥ .

« ويلاحظ أن الملك سليمان الذى تربع على العرش بعد وفاة والده داود من ٩٦٠ إلى ٩٣٥ ق . م أقام فى القدس الهيكل المعروف باسمه وسرعان ما غدا هذا الهيكل أكبر مركز روحى لليهود » ، ص ٦ .

« ومما هو جدير بالذكر أن اليهود كانوا ولا يزالون ينظرون بتقدير بالغ إلى مملكة داود ويعتبرون حكم داود وسليمان العصر الذهبى لتاريخ اليهود » ، ص ٦ – ٧[١] .

---

(١) وهكذا فرطنا فى الأنبياء المسلمين ، وجعلناهم يهوداً . انظر التصحيح المرجع السالف الذكر (أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ) تاريخ إبراهيم ، وذريته عليهم السلام) .

المبحث السادس

١ - تاريخ التمدن الإسلامى ، تأليف جورجى زيدان ، مراجعة د . حسين مؤنس ، القاهرة .

العرب قبل الإسلام ، نفس المؤلف .

« لا يعرف أحد من الصليبيين فى دنيا العرب عمل على تلويث التاريخ الإسلامى ، والحط من شأنه كما فعل جورجى زيدان »[١] .

« لقد عاش لهذا الغرض ، وكتب الكثير فيه وكان صاحب هوى فى كل ما كتب وألف ، وكان مهمته تلخيص أقوال الفرق الباطنية الموتورة وتجميع دسائسها ، وإخراجها تارة باسم تاريخ التمدن الإسلامى ، وأخرى باسم روايات تاريخ الإسلام » .

« وهناك شك فى نسبة هذه المؤلفات إليه ، ومبعث الشك ذلك التباين الشاسع ما بين مذكراته التى نشرها د . صلاح الدين المنجد ومؤلفاته المتداولة بين الناس .

ففى مذكراته يبدو عاميا ، ركيك الأسلوب فى حين يطل علينا فى كتبه المشهورة بأسلوب آخر ليس فيه جنف ولا ركة .

وما كنا لنهتم بكتبه ، ونقدم شيئا من الدراسة لها ، لولا أنا وجدنا أنها تلقى رواجا من عامة المسلمين ، ممن يأخذونها على أنها حقائق ، فتترك فى نفوسهم غبشا فى الرواية ، وتصورا عن الإسلام غير سليم .

وقبل أن نختار ألوانا من أباطيله وتضليله لابد أن نقدم فكرة موجزة

---

(١) تقويمنا لفكر جورجى زيدان يعتمد على فحصنا لبعض مؤلفاته فى ضوء العقيدة الإسلامية ، ويعتمد أيضا على عرض نتيجة فحص الدكتور شوقى أبى خليل لمؤلفات جورجى زيدان .

عن حياته ..... وحياته نفسها تجلو لنا كثيرا من غوامض الأمور .

حياتـه :

ولد فى بيروت عام ١٨٦١ م من عائلة أرثوذكسية . ولا يعرف أصل عائلته ، وليس لها خبر مدون . وفى عام ١٨٨٣ م هاجر من لبنان إلى مصر على باخرة إنجليزية .

وهجرته عام ١٨٨٣ م لها معنى عميق ، ففى عام ١٨٨٢ م قضى الإنجليز على ثورة عرابى ، وصار لهم الأمر فى وادى النيل ، وأخذ الإنجليز النصارى على إخوانهم نصارى بلاد الشام الذين فروا من بلادهم التى كانت ما تزال تعيش تحت ظل الخلافة الإسلامية ، واستوطنوا مصر ، فعاشوا شركاء للحكام الجدد – الإنجليز – الذين أولوهم شئون الصحافة ، والأدب والثقافة والترجمة ، وكانوا عونا للإنجليز فى تآمرهم على بلاد الشام والسودان .

وفى عام ١٨٨٤ م رافق جورجى زيدان الحملة الإنجليزية للسودان كمترجم فى سلك المخابرات البريطانية ، وقد نال على ذلك ثلاثة أوسمة منها الميدالية الإنجليزية والنجمة المصرية ... وفى عام ١٨٩١ أنشأ مجلة الهلال ، وكان ملما بالإنجليزية والفرنسية وعنده اطلاع على لغات أخرى كالألمانية واللاتينية . وكان عضوا فى الجمعية الآسيوية البريطانية ، ثم انتدبه المجمع الآسيوى الفرنسى عضوا فيه ، وتوفى عام ١٩١٤ م[(١)] .

وكان له مع المستشرقين صلات قوية ، فتحدث عنهم فى تاريخ آداب اللغة العربية ، حديثا طويلا . وأفاض فى مدحهم والإشادة بما سماه فضلهم على الإنسانية .

وذكر فى تاريخ التمدن الإسلامى اعتماده على المصادر الأجنبية ومنها :

تمدن العرب ، (جوستاف لوبون) ؛ (تاريخ الدولةالرومانية البيزنطية) ، (لبيو) ؛ (تاريخ تمدن الشرق) ؛ (فون كريمر) .. وعن صلاته مع المستشرقين قال : (حسين مؤنس) :

---

(١) المجتمع الكويتية ، ٢٤٣ ، ١٣٩٥ هـ ؛ جورجى زيدان فى الميزان ، تأليف د . شوق أبو خليل ، ط ١ ، دار الفكر ، دمشق ١٤٠١ هـ .

« كان أشبه بهمزة وصل بين الحركة العلمية العربية الناهضة ، وحركة الاستشراق المتدفقة النشاط فى أوروبا وأمريكا » . واتصلت العلاقات بينه وبين المستشرقين المعادين للإسلام مثل : تيودور نولدكه ، يوليوس فلهاوزن ، ووليام وايت ، ودنكان ، وبلاك ماكدونالد ..

وكل هؤلاء من الذين شحذوا أقلامهم فى كل مؤلفاتهم لتشويه الإسلام وتزييف تاريخ الإسلام والمسلمين .

ومن مؤلفـــاته :

- تاريخ التمدن الإسلامى ، ٥ أجـــزاء .
- العرب قبل الإسلام ، جـــزء واحد .
- تاريخ آداب اللغة العربية ، ٤ أجـــزاء .

- **من سلسلة رواياته التاريخية :**

عذراء قريش ، ١٧ رمضان ، غادة كربلاء ، الحجاج بن يوسف ، صلاح الدين الأيوبى ، الانقلاب العثمانى ، العباسة أخت الرشيد ، الأمين والمأمون ، فتاة القيروان ، استبداد المماليك .

(وجورجى زيدان صاحب هذه الحياة الكالحة هو الذى يكتب تاريخ الدعوة الإسلامية ، وحياة أعلام المسلمين ، وأمانته فى هذا كأمانة الذئب الجائع المفترس عندما ينفرد بشاة تاهت عن القطيع) .

وكتاب تاريخ التمدن الإسلامى يتبنى الاتجاه الاستشراقى المعادى للإسلام ومن ذلك :

أولا : التقليل من شأن النبوة :

(المحققون العلماء من المؤرخين والمحدثين يجمعون فى أن معجزة الإسلام كامنة بأن رسول الله - ﷺ - لبث فى قومه أربعين عاما لا يقول شيئا ثم فاجأ الناس بدعوة لم يكونوا مهيئين لها .. فأعلنوا عليها حربا لا هوادة فيها لأنها كانت تصطدم مع واقعهم وتصوراتهم) .

يأتى جورجى زيدان على هذه الحقيقة فيتجاهلها البتة ليزعم بأن الدعوة التى جاء بها الرسول ﷺ كانت لبنة فى بناء بدأ منذ عام الفيل ، ودرجة فى سلم حضارى يعود أوله إلى عصر حمورابى .

هو يتبنى هنا منهج الدين المقارن ، وهو أن الدين من اختراع العقل البشرى .

(إن عرب الجاهلية حفظوا أخبار عاد وثمود وصالح وهود قبل ذلك بقرون متطاولة ، فتكاثر الشعراء والخطباء والحكماء فى القرن الأول قبل الإسلام دفعة واحدة ، وهو ما عبرت عنه بالنهضة العربية أو الأدبية . على أنها لم تقتصر على الأدب والشعر ولكنها شملت الدين أيضا . فقد كان هناك نهضة دينية اضطربت فيها الأفكار ، واختلطت الاعتقادات ، وأصبح أهل الجاهلية لا يعرفون لمن يصلون ولا إلى من يتوسلون ، يذبح أحدهم للصنم ويدعو إلى الله .... وأصبح الناس يتوقعون الفرج من باب النبوة . وكان ذلك حديث الناس فى مجالسهم . فادعى النبوة غير واحد من قبائل مختلفة ، وهَمّ بعضهم بادعائها مما يدل على تنبه الأذهان إلى أمر الدين ، والتفكير فى عواقب الأعمال) (١) .

وعما يسمى نهضة دينية سبقت دعوة الرسول ﷺ يقول أيضا : (ومهما يكن السبب فإن بلاد العرب كانت قبل الإسلام فى نهضة أدبية تمهيدا لقبول الدعوة الإسلامية والقيام بنصرتها . ومثل هذه النهضة تتقدم الدعوات الدينية فى الغالب استعدادا لقبولها) (٢) .

ويزعم الكاتب أن غزو الأحباش لمكة - أى عام الفيل - أنتج رجالا نبغوا فى السياسة والقيادة والإدارة ، وكانوا من أهم العوامل تأثيرا فى سرعة انتشار الإسلام ، كما أنتجت الثورة الفرنسية بونابرت ورجاله . ويؤكد هذا التلازم مرة أخرى فيقول :

(إن واقعة الفيل التى سطا بها الأحباش على الكعبة كانت وراء بروز قادة

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ١ ، ص ٤٠ .
(٢) المرجع السابق ، ص ٤١ - ٤٢ .

من العرب كخالد وأبى عبيدة وأبى بكر وعمر .....)[1] .

ويسهب فى حديثه عن العصر الجاهلى لأنه جزء من واقع الجاهلية التى تناوىء الإسلام .... ويحاول أن يجعل العصر الجاهلى قمة فى التدين والحكم والحضارة ، وما الإسلام إلا خطوة بسيطة من إفراز الحضارة الرومانية والفارسية. وفى هذا يقول :

(على أننا لا ننكر أن التمدن الإسلامى قام على أنقاض التمدن اليونانى والفارسى ، لكن شأن العرب فى ذلك مثل شأن اليونان والرومان والفرس وسائر الدول العظمى .... لأن اليونان اقتبسوا أكثر عوامل تمدنهم من المصريين وزادوا فيها ووسعوا على مقتضيات مؤثرات السلطة حتى صار تمدنا معروفا بهم ، فأخذ عنهم الرومان وعدلوا فيه تعديلا طفيفا جدا . وكذلك الفرس فإن تمدنهم قام على أنقاض تمدن الآشوريين والبابليين والكلدانيين مثلهم وأخذوا أيضا عن اليونان)[2] .

وزعم الكاتب أيضا أن الحج والزواج والطلاق والذبائح قد اقتبسها العرب من اليهود[3] (ص ٣٢) . كما قارن بين الكعبة وبين ما يسميه اليهود هيكل سليمان (ص ٣٨) .

أما كتاب « العرب قبل الإسلام » ، لنفس المؤلف (جورجى زيدان) :

فإنه يعتبر تاريخ الأمة المسلمة التى سبقت بعثة محمد ﷺ فى الجزيرة العربية ، « من أسقم التواريخ »[4] (مع العلم بأن هذا التاريخ يحوى تاريخ هود

---

(١) تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ١، ص ٧٥ ؛ فهل بعد هذا تشويه وتزييف لتاريخ الإسلام ، ورجال الإسلام ؟ هل يقول عاقل بأن الهجمة الهمجية التى حاول بها الأحباش غزو مكة لهدم الكعبة ، قد أنتجت رجالا نبغوا فى السياسة ، منهم أبو بكر وعمر وخالد ؟؟ وهل يقول عاقل بشبه بين أبى بكر وعمر وخالد رضى الله عنهم وبين نابليون بونابرت؟ ولكنه الحقد على الإسلام وأهله (انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة إبراهيم ، تاريخ حرم الله الآمن) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٢٩ .

(٣) وهو يكرر ما قاله « الدعوة إلى الإسلام » تأليف توماس أرنولد .

(٤) يكرر نفس الفكرة (جواد على) فى كتابه (المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام) ، جـ ١ ، ص ١٠٨ .

وصالح وشعيب وإسلام الدولة السبأية على عهد سليمان عليه السلام ، وأصحاب الأخدود المسلمين الموحدين وتاريخ مكة المكرمة وحرم الله الآمن ، وبيته العتيق .. إلى غير ذلك) ، (ص ١٧) .

وجريا على عادة اليهود الذين يتجاهلون تاريخ هود وصالح وشعيب فى توراتهم التى كتبوها بأيديهم ، لأنهم من الأنبياء العرب وهم يحسدونهم على ذلك ، حاول زيدان أن يشكك فى وجود عاد وثمود فى الجزيرة العربية ، رغم أن القرآن الكريم قد ذكر أخبارهما . (ص ٧٢ ، ٧٥ ، ٧٦) .

ويستبعد الكاتب الوسيلة (وهى سيل العرم) التى بها حطم الله سبحانه وتعالى الحضارة السبأية جزاء كفر أهلها بالله عز وجل ، ويقول : (وذلك بعيد ، إذ لا يعقل أن تعجز الدولة فى أبان سطوتها عن اتقاء مثل هذا السيل ، وإذا تصدع السد فلا تعجز عن ترميمه)[(١)] ، (ص ١٤٠) ، والكاتب بهذا يعارض الأخبار الصحيحة التى أوردها الله عز وجل عن سبب انهيار سد مأرب ، وذلك للتشكيك فى القرآن معجزة الإسلام .

ويستبعد الكاتب القرآن الكريم والسنة المطهرة كمصادر يعتمد عليها فى كتابة تاريخ إسماعيل وهاجر عليهما السلام ، ووصولهما إلى بيت الله الحرام فيزعم أن أخبار إسماعيل وهاجر مَبْنِيَّةٌ على ما ذكرته التوراة ، (ص ٧٤). ويزعم أنهما قد أخرجا إلى برية بئر سبع (ص ٧٤) ويشكك فى كونهما قد جاءا إلى الحجاز ، (ص ٧٥) .

ويزعم الكاتب أن أبرهة الحبشى قد هزم (أى ينكر هلاكه) نتيجة إصابة الجنود بالوباء ودفاع أهل مكة عن مكة[(٢)] (ص ٢٧٩) . وبهذا ينكر الكاتب صريح القرآن : ﴿ألم تر كيف فعل ربك بأصحاب الفيل ، ألم يجعل كيدهم فى تضليل ، وأرسل عليهم طيرا أبابيل ، ترميهم بحجارة من سجيل﴾ .

---

(١) يقول بنفس الفكرة محمد مبروك نافع ، فى كتابه : عصر ما قبل الإسلام ، ص ٨٣ – ٨٤ .
(٢) تاريخ التمدن الإسلامى ، جـ ١ ، ص ٤١ .

٢ - تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، تأليف حسن إبراهيم حسن ، ط ٨ ، القاهرة ١٩٧٤ م .

د . حسن إبراهيم حسن من الذين تتلمذوا على توماس أرنولد ، صاحب كتاب الدعوة إلى الإسلام ، بل إنَّه هو الذى ترجم له ذلك الكتاب السالف الذكر . وكتاب تاريخ الإسلام وَفِّى للخط الاستشراقى فى كثير مما جاء فيه . مثال ذلك حينما عالج الكاتب تاريخ الدولة السبأية أغفل ما أورده القرآن فيما يتصل بالأسباب التى أدت إلى انهيار سد مأرب ، وذهاب حضارة سبأ ، وهو بهذا يردد آراء المستشرقين ، يقول الكاتب : (اختلف المؤرخون فى أسباب سقوط الدولة السبأية ، فيرى مؤرخو العرب أن السبب فى ذلك يرجع إلى تصدع سد مأرب ، الذى لم يكن لهم عنه غنى لرى أرضهم ريا منظما ، والذى كان السبب الأساسى فى رقى بلادهم وتقدمها ، ويذهب بعض المستشرقين إلى أن انكسار السد ، كان فى حد ذاته نتيجة إهمال من أمة كانت آخذة فى الانحطاط وأن هذا الخراب الذى حل بأهل سبأ لابد وأن يكون قد حدث تدريجيا قبل انهيار السد بزمن طويل ، لأنه لا يعقل أن تزول مدينة عظيمة دفعة واحدة)[١] .

(ويظهر أنه لما تطاولت الأزمان على هذا السد وأهمله الملوك ، تصدعت جوانبه وفاضت المياه على ماحوله من القرى والمزارع فأتلفتها) ، (ص ٢٧ - ٢٨) . إن رواية الخبر التاريخى على هذا النحو ، يوهم القارىء أن الخبر القرآنى ليس صحيحا ، أو على الأقل يشكك فيه ، وإذا شكك فى القرآن فقد شكك فى الإسلام . والكاتب هنا يردد ما قال به أعداء الإسلام فيما يتصل بأسباب تدمير الحضارة السبأية . سامح الله الكاتب ، ألم يقرأ قول الحق عز وجل ﴿ لقد كان لسبإٍ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم ، واشكروا له ، بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وَبَدَّلْنَاهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلَّا الكفور ﴾ .

---

(١) انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، استخلاف أبى بكر الصديق - رضى الله عنه - ..

ويزعم المؤلف بأن الإسلام نظام ديمقراطى ونسى أن الإسلام لايقر الديمقراطية ، فكلمة ديمقراطية مكونة من مقطعين ، ديموس وكراتوس أى حكم الشعب ، أى أن الشعب صاحب الحق فى وضع التشريع ، أى أن الحاكمية للشعب . بينما الإسلام يعتبر التشريع حق الله ﴿ إن الحكم إلّا لله ﴾[1] وفى هذا يقول الكاتب (ص ١٠٤) : (وقد ساعد الرسول على توحيد كلمة العرب ، تلك المساواة التى جاء بها الإسلام ، وتلاشى أمامها تلك الفوارق الجنسية التى مزقت شمل العرب . وليس أدل على تلك الديمقراطية من قوله تعالى :

﴿ يا أيها الناس إنَّا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا ، إنّ أكرمكم عند الله أتقاكم ﴾ .

(ومن ثم بادر الناس إلى الإسلام لما امتاز به من الديمقراطية الصحيحة والمساواة الحقة : ﴿ فطرة الله التى فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ﴾) . (ص ١٠) .

المؤلف ينكر صريح القرآن عن تدخل يد القدرة الإلهية فى غزوة الخندق ، لصالح المسلمين ، ويقول بأن الطبيعة هى التى ردت الكافرين على أعقابهم فيقول : (هذا إلى ما أبداه الرسول من المهارة فى مصابرة المسلمين ، وتشجيعهم على تحمل الجوع والعرى فى تلك الأيام ، التى عصفت الطبيعةُ بمعسكر قريش ، واضطرتهم إلى الجلاء) ، (ص ١٢٠) .

يزعم الكاتب أن مشاهدات الرسول فى بلاد الشام قبل البعثة كان لها أعظم الأثر فى التشريعات الإسلامية ، ونسى أن التشريع من عند الله ، وأن ما كان يقره رسول الله ﴿ إن هو إلّا وَحْىٌ يوحى ﴾[2] . ويفصل الكاتب بين الدين والسياسة فيزعم : (وعلى هذه الصورة أصبح الإسلام ، ولو من الوجهة النظرية على الأقل ، كما كان دائما نظاما سياسيا بقدر ما هو نظام دينى) ، (ص ١٠٣) .

يزعم الكاتب أن المذاهب والأفكار والآراء المسيحية واليهودية والفارسية ، فقد مهدت الطريق لظهور المصلح ، وهو النبى محمد ﷺ (ص ٧٤). فالكاتب يطلق اللفظة الاستشراقية « مصلح » على النبى ﷺ على اعتبار أنه مصلح كغيره

---

(١) يوسف : ٤٠ . (٢) النجم : ٤ .

من المصلحين ، وليس نبيا مرسلا من قبل الله عز وجل .

يزعم الكاتب بأن اليهودية دين سماوى وأنها تشتمل على التوحيد (١) ، (ص ٩٣) .

يزعم الكاتب أن الإسلام دين العرب فقط ، (وأن من أهم الأسباب التى من أجلها رفض الروم قبول هذا الدين ، أنه دين العرب الذين كانوا يستصغرون شأنهم) ، (ص ١٦٥) .

يزعم الكاتب أن الإسلام من تأسيس محمد فيقول : (وينكر بعض المؤرخين أن الإسلام قصد به مؤسسه فى بادىء الأمر أن يكون دينا عالميا) ، (ص ١٦٩) . (وأما القول بأن هذا الدين لم يهيأ إلا لبلاد العرب فإن ذلك لم يمنع محمدا من التفكير فى تعميم دينه)، (ص ١٧٠) .

يقول الكاتب : (ولم يعهد التاريخ مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الفضيلة ، كما فعل محمد ﷺ) ، (ص ٢٠٤) .

وزعم الكاتب أن أصحاب الأخدود كانوا مسيحيين ، ونسى أن المسيحيين غير موحدين ! ﴿ لقد كفر الذين قالوا إن الله ثالث ثلاثة ﴾ (ص ٢٩) ورغم أن القرآن والسنة يثبتان أن أصحاب الأخدود كانوا مسلمين موحدين(٢) ، (سورة البروج) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٤ ، ص ٥٢٣ – ٥٢٧) .

وعن الكعبة يردد الكاتب ما قاله ديورانت (وفيها الحجر الأسود الذى يقال : إنه سقط من السماء) ، (ص ٤٧) . وبالنسبة لمحاولة أبرهة الحبشى الأشرم هدم البيت العتيق ، ردد الكاتب بما قاله جورجى زيدان : (ولا شك أن هذه الحادثة كانت فاتحة خير على العرب عامة وقريش خاصة ... فقد مهدت السبيل لقبول الدعوة الإسلامية والقيام بنصرتها ... (ويضيف) ولما ذاع أمر

---

(١) ألم يقرأ الكاتب قول الله تعالى : ﴿ وقالت اليهود عزير بن الله ﴾ فهل هذا توحيد ؟؟، والقول بأن اليهودية دين سماوى ، فلا دليل عليه من الكتاب والسنة (انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ الرسالة الأولى) الإسلام دين الله فى السماء والأرض .

(٢) جزيرة العرب منذ أقدم الدهور ، دار الطباعة الحديثة ، القاهرة ١٣٩٨ هـ ، ص ٢٥٠ – ٢٥٩ .

أصحاب الفيل فى العرب زاد احترامهم للحرم وقالوا : أهل الله ، قاتل عنهم ، وكفاهم كيدهم) ، (ص ٥١٠) .

وفى موضع آخر يقول الكاتب : (وفى الحق كان لوجود أديان سماوية فى يثرب لها كتب منزلة من عند الله ، كاليهودية فيها ذكر للوحى ووحدانية الله) ، (٩٣) . وهذه مغالطة من الكاتب لأن اليهودية تقوم على الشرك ، ﴿ وقالت اليهود عزير بن الله ﴾ .

يردد الكاتب رأيا لمستشرق يصور محمدا بالرجل العبقرى (وليس رسولا من عند الله ؟؟) الذى نال سلطة خارقة على عقول أتباعه ، (قد ينحرف مؤرخ عن موضوعه ، ليتأمل حياة رجل نال سلطة خارقة على عقول أتباعه وأعمالهم ، ووضعت عبقريته أساس دينى سياسى ما زال يحكم الملايين من البشر من أجناس مختلفة ..... إنّ نجاح محمد كمشرع ..... لدليل على أن ذلك الرجل الخارق قد كونه مزيج نادر من كفايات ليكــورجُوس والإسكندر) (ص ١٧٣) .

ولا فارق عند الكاتب بين حماس الإنسان لوثنيته أو إسلامه ، نلاحظ هذا فى قوله : (وكان حماس العربى للإسلام وولاؤه له ، لا يقل عن حماسه لوثنيته واستبساله فى الزود عنها) (ص ١٩) .

والكاتب يعتبر توحيد الله سبحانه وتعالى اكتشافاً بشرياً ، وليس إيمان بالله الواحد الأحد ، مفطور عليه الكون والإنسان ، ودعا إليه رسل الله عليهم السلام ، ويزعم أن أديان أخرى غير الإسلام دعتا إلى الإيمان بالله الواحد الأحد :

(ولم تكن فكرة التوحيد ، والانصراف عن الآلهة المتعددة إلى إله واحد اكتشافا حديثا انفرد به الإسلام) ، (ص ١٩٧)[١] .

والكاتب هنا يصور محمدا على أنه مصلح وليس رسولا نبيا : (وصفوة القول ؟ أن الرسول ﷺ على ما وصفه ميــور (حياة محمد) امتاز بوضوح كلامه ، ويسر دينه . وقد أتم من الأعمال ما يدهش العقول ، ولم يعهد التاريخ

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة إبراهيم عليه السلام وتاريخ حرم الله الآمن . دار الوفاء

مصلحا أيقظ النفوس ، وأحيا الأخلاق ، ورفع شأن الفضيلة فى زمن قصير كما فعل محمد) ص ٢٠٤ .

والكاتب يرى أن القرآن يحوى كثيرا من تعاليم المجوسية : (والفارسى يستطيع أن يجد فى القرآن كثيرا من التعاليم الأساسية فى ديانته القديمة ، وإن كان ذلك بصورة مختلفة كثيرا) ، (وهذا ترديد لرأى توماس أرنولد فى كتابه الدعوة إلى الإسلام) ، (ص ٢٣٧ - ٢٣٨) .

وينتقل الكاتب إلى الطعن فى صحابة رسول الله :

فيورد قولة لسيد أمير عن الخليفة عثمان رضى الله عنه : (كان عثمان شيخا كبيرا ، ضعيف الإرادة ، فلم يستطع الاضطلاع بأعباء الحكم رغم نزاهته وفضائله الكثيرة ، وقد أثار بسياسة الضعف التى سار عليها وانحيازه إلى ذوى قرباه ، ومحاكاتهم ، كراهته لأهل المدينة .....) ، (ص ٢٦٩) .

ويورد رأيا لنيكلسون عن على رضى الله عنه ، فيقول : (كان على يعوزه حزم الحاكم ودهاؤه ، برغم ما كان يمتاز به من الفضائل الكثيرة .... ويمكن مقارنته بـ « مونت روز وبيار » فى شجاعته ونجدته ، وكانت تنقصه الحنكة السياسية ، وعدم التردد فى اختيار الوسائل أيا كانت لتثبيت مركزه) ، (ص ٢٧٨) .

ويورد رأيا لنيكلسون عن الخلافة فى العصر الأموى ، فيقول : (ص ٢٨٣) :

(اعتبر المسلمون انتصار بنى أمية وعلى رأسهم معاوية انتصارا للارستقراطية الوثنية !!) .

ويزعم الكاتب (ص ٣٥٢) : (أن الإسلام أحل الوحدة الدينية والقومية الإسلامية محل الشعور القبلى) [1] .

---

(١) فهل بعد ذلك افتراء على الله ودينه ورسوله ﷺ ، وصحابته رضوان الله عليهم ؟؟ والعجيب أن هذا الكتاب هو مرجع أساسى فى التاريخ الإسلامى ، فى غالب دور العلم فى بلاد المسلمين ، فماذا ينتظر ممن يتتلمذون عليه ؟؟

المبحث السابع

دراسات تاريخية من القرآن الكريم فى بلاد العرب ، تأليف الأستاذ الدكتور محمد بيومى مهران (١)

أولا : إن القارىء لهذا الكتاب يفاجأ بأن الكاتب يعتمد فى تحليلاته لأحداث تتعلق بتاريخ بعض الأنبياء والرسل ومصادر الإسلام على ما ورد فى التوراة المحرفة ، وعلى ما كتبه المستشرقون اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم ، مع أن الكتاب معنون : « دراسات تاريخية من القرآن » .

مع ملاحظة أن القرآن الكريم لا يشكل – كمصدر لدى الكاتب – إلا نسبة ضيئلة جدا من حجم الكتاب – ولذلك فالعنوان المقترح – لكى يكون معبرا عن فحواه : « دراسات تاريخية من القرآن والتوراة ومن كتابات المستشرقين اليهود والنصارى » .

والعجيب أن الكاتب فى مقدمة كتابه قد هاجم ما تسمى بالتوراة أو ما تسمى بالعهد القديم (وهذا دليل على أن أخبارها غير موثقة لدى الكاتب) ، ولكن رغم هذا فإن الكاتب يطلق عليها – أى التوراة والإنجيل – لفظة « الكتاب المقدس » (هامش ٣ ص ٣٧ ، ٤٢ ، ٤٧ ، ٥٨ ، ٦١)، فكيف يكون مقدسا وقد فقد قدسيته بسبب تحريفه ؟ باعتراف الكاتب ص ٥٣ ، ولماذا يعتبرها الكاتب مع ذلك مصدرا من مصادر معلوماته ، ولذلك لا عجب إذا جاءت كثير من المعلومات والتحليلات التى أوردها الكاتب عن الأنبياء تناقض ما ورد فى الكتاب والسنة .

الكاتب يقول : إن القرآن هو المصدر الوحيد ، ودراسات قرآنية ، ورغم هذا فإنه يعتمد على التوراة فى نفس الكتاب .

---

(١) أستاذ التاريخ القديم بكلية الآداب – جامعة الإسكندرية .

ففى الكتاب يزعم الكاتب أن قصة يوسف عليه السلام وكذلك قصة إسماعيل عليه السلام الواردة فى القرآن الكريم ، ليست من قصص الدعوة أو قصص الجهاد فى تبليغ الرسالة ... (ص ٤٠) وهنا نسأل الكاتب ، فمن أى نوع إذن هى فى رأى الأستاذ الدكتور ؟؟

أورد الكاتب كلاما يناقض ما ورد فى كتاب الله عن إسماعيل عليه السلام ، فكلنا يقرأ فى كتاب الله سبحانه وتعالى قد أمر إبراهيم - عليه السلام - بذبح ابنه إسماعيل عليه السلام : ﴿ يا بنى إنِّى أرى فى المنام أنِّى أذبحك ، فانظر ماذا ترى ، قال : يا أبت أفعل ما تؤمر . ستجدنى إن شاء الله من الصابرين ﴾(1) .

ولكن الدكتور مهران يخرج علينا بقول : (أن التجارب الإنسانية قد كتبت على إسماعيل ضريبة الفداء ، وهى فى مفترق الطرق بين الهمجية التى كانت - فى معظم مجتمعات الشرق القديم - لا تتورع عن الذبائح البشرية وبين الإنسانية المهذبة التى تأبى الفداء بالحياة ، ولكنها تتورع عن ذبح الإنسان) . (ص ٤٠) . ولا ندرى ما وجه المقارنة بين الله جل وعلا الذى أمر إبراهيم عليه السلام بذبح ابنه عليه السلام لحكمة ، وبين البشرية الهمجية التى لا تتورع عن ذبح الإنسان ؟؟

وهل فى تصور الكاتب أن أمر الله عز وجل لإبراهيم عليه السلام ، لم يصل إلى مستوى الإنسانية المهذبة ؟؟

تحدث الكتاب (ص ٤١) عن القصص القرآنى ، (قصتا إبراهيم وموسى عليهما السلام) ، ثم تحدث عن الملكية الإلهية فى مصر الفرعونية ولم يقل لنا هل هذا شرك أم لا ؟؟ ويعتبر الكاتب أن ما ورد فى القصص القرآنى ثورة ؟؟ على ضلال العقل فى العبادة جامعة لأكثر العبادات المستنكرة فى الزمن القديم . ولم يقل لنا الكاتب ، هل مستنكرة حديثا أم لا ؟

يفصل الكاتب بين التاريخ والدين فيقول : (إن هدف القرآن من قصصه ليس التأريخ لهذا القصص ، وإنما عِبَراً تفرض الاستفادة بما حل بالسابقين) . (ص ٤٣) .

---

(1) الصافات : ١٠٣ .

ومما لا شك فيه أن القرآن أورد أخبارا تاريخية ، تحقيقا لغاية وهدف ، من باب تدبر سنن الله الكونية الثابتة فى حياة الأمم والشعوب : ﴿ فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ .

يزعم الكاتب (ص ٦٢) : (وإلى الخليل يشرف بالانتساب كل أصحاب الديانات السماوية ، اليهودية والمسيحية والإسلام ، وتلك مكانة علم الله ما استطاعت التوراة أن تصل إلى شيء منها ، بالنسبة إلى الخليل عليه السلام ، ولكن القرآن كتاب الله يعطى كل ذى حق حقه) .

والكاتب هنا يعتبر أن اليهودية والنصرانية كلا منهما ديانة من عند الله عز وجل ، دعا إليها رسول . وهذا ما لم يقل به كتاب ، ولا سنة ولا أحد من علماء السلف أو الخلف !!!

ويزعم الكاتب فى هذا النص أن إبراهيم عليه السلام هو أصل اليهود والنصارى ، مع أن الله سبحانه وتعالى يقول فى القرآن الكريم : ﴿ ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ﴾ . ولا ندرى هل نصدق الكاتب أم نصدق كتاب الله عز وجل ؟؟؟ .

الشيء العجيب أن الكاتب أفرد صفحات (ص ٤٧) وما بعدها ، لإثبات أن القرآن لم يعتمد إلى حد كبير فى قصصه على التوراة والإنجيل . ولا نفهم ماذا يقصد الكاتب بمعنى إلى حد كبير ؟؟؟ هل هناك حد صغير يعتمد فيه القرآن الكريم على التوراة والإنجيل ، إن المستشرقين اليهود والنصارى يقولون : إن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل فهل هذا تأثر من الكاتب بما قاله المستشرقون ؟

ويورد الكاتب كلاما يعتبر سَباًّ فى نبى الله داود عليه السلام ، فداود يهودى (نقلا عن التوراة) دون أن يعلق تعليقا واحدا على ذلك يبين خطأ هذه المعلومات ، ففى داود أورد الكاتب : أنه يتطلع إلى حرمات الناس (ص ٦٤) ويسطو على أعراضهن ، (ص ٦٤) ، (وهو مغن) ، (يجيد الضرب على القيثارة) (وهو قاس غليظ القلب) (ص ٦٥) وهو يأخذ النساء من أزواجهن قسرا (ص ٦٦) بل ويورد الكاتب كلمة لمؤرخ أمريكى — هو

---

(١) انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى السماء وفى الأرض .

اليهودى ديورانت - : (بأن هذا وصف رجل حقيقى ، لا رجل خيالى ، اكتملت فيه عناصر الرجولة المختلفة ، ينطوى على بقايا الهمجية ، وعلى كل مقومات الحضارة) . (ص ٦٧) .

ولا ندرى لماذا يورد الكاتب هجوم التوراة على سليمان عليه السلام ، حاملا اتهامات يندى لها الجبين ، دون أن يقول : هذا غير صحيح ، أو خطأ ، (انظر : ص ٦٨ - ٦٩) .

ليس كافيا أن يورد الكاتب الوصف الذى أورده التوراة جنبا إلى جنب مع ما أخبر به عنه القرآن الكريم دون أن يعلق على الوصف التوراتى ولو بكلمة خطأ .

يسم الكاتب يوسف عليه السلام « بالعبد الدخيل » ، ويقول ما معناه ، إنه ما كان يجب عليه أن يظل فى السجن ، حينما طلب منه الملك الخروج فيقول بالنص الواحد : (فيأبى عليه ذلك العبد امتثال أمره ، إلا بعد إجراء التحقيق ، مع أنه يمكن الجمع بين امتثال أمر الملك وإجراء التحقيق ، بأن يبادر يوسف بالخروج من السجن ثم يطلب من الملك التحقيق فى القصة) (ص ٧٧ - ٧٨) . على كل نعتذر عن يوسف عليه السلام لأنه لم يخطر على فكره هذه الأفكار التى خطرت على فكر أحد أساتذة القرن العشرين ؟؟

لست أدرى ماذا يقصد الكاتب بلفظه : (حاكم مصر الوطنى على أيام موسى) ، (ص ٨١) و (حاكم مصر الأجنبى على أيام يوسف عليه السلام) ..

ذكر الكاتب (ص ٨٧) :

(تعرض الإسلام للقانون الجاهلى ، وبعبارة أخرى لعادات العرب وتقاليدهم فى الجاهلية ، وأقر بعضا ، وأنكر بعضا ، وعدّل بعضا . ومثال ما عدله الإسلام بعض شريعة الجاهلية فى الحج والزواج والطلاق والمهر والخلع والإيلاء ، وألغى نظام التبنى المعروف فى الجاهلية وغير ذلك) . (ص ٨٧) والكاتب يعتمد فى ذلك على فجر الإسلام لأحمد أمين .

فهل هنالك صلة بين ما أورده الكاتب ؟ وما أورده المستشرقون وأبناء العرب والمسلمين من أن الحج عادة عربية قديمة ، عدلّها محمد وجعلها من أركان

الإسلام (انظر : الدعوة إلى الإسلام ، لتوماس أرنولد . والعرب قبل الإسلام ، لجورجى زيدان ، وتاريخ العرب المطول ، لفيليب حتى) .

(ص ٨٨) يذكر الكاتب أننا لا نستطيع الإفادة من القرآن الكريم على الوجه الصحيح ، إلا إذا استعنا بمصدرين أساسيين ، ذكر منهما ، « تفسير القرآن الكريم » (ص ٨٨) ، وأفرد للتفسير فصلا (ص ١٠١ - ١١١) اعتبره نسفا وتشكيكا فى أصل من الأصول التى يقوم عليها فهم هذا الدين وهو تفسير القرآن الكريم . ونرد على الكاتب فنقول : إن أول تفسير معروف للإمام الطبرى كان تفسيرا بالمأثور ، نقلا عن رسول الله ﷺ - وعن صحابة رسول الله - رضوان الله عليهم . ولكن الكاتب يشكك فى هؤلاء المفسرين الحفاظ المحدثين أيضا .

- فالكاتب ينفى عن العرب كلهم فهمهم لكلام الله (ص ١٠١ ، ص ١٠٢) . ويزعم أن هناك إشارات كثيرة فى القرآن الكريم إلى أشياء فى التوراة والإنجيل والرد عليها ، وهى أمور لا يكفى فى فهمها معرفة اللغة العربية (ص ١٠٣) وهنا نسأل : هل أوجب رب العزة على المسلمين تعلم التوراة والإنجيل لفهم كتاب الله وآياته ؟ وزعم الكاتب أن الصحابة قد اختلفوا فى الفهم حسب اختلافهم فى أدوات الفهم (ص ١٠٣) ؟؟؟

- يزعم الكاتب (ص ١٠٥) : أن التفسير قد تضخم فى عهد التابعين بالإسرائيليات ، مستشهداً على ذلك بوقائع حدثت قبل بعثة محمد ﷺ ؟؟ ..

ويستشهد برحلات العرب إلى بلاد الشام حيث تسربت الثقافة اليهودية إلى العرب ؟؟ (ص ١٠٦) . وفى النهاية يقول الكاتب :

- بهذا كله التحمت الثقافة الإسرائيلية بالثقافة الإسلامية بصورة أوسع وعلى نطاق أرحب . متى ؟ فى عصر التابعين ؟ أو عصر الصحابة ؟؟

وزعم الكاتب أن سبب امتلاء كتب التفسير بالإسرائيليات : (أن العرب لم يكونوا أهل كتابة ولا علم ، وإنما غلبت عليهم البداوة والأمية ، وإذا ما تشوقوا

---

(١) انظر علوم الحديث ومصطلحاته ، تأليف د. صبحى الصالح ، دار العلم للملايين ، ص ١٤ ، ٣٢٠ .

إلى معرفة شيء مما تتشوق إليه النفوس البشرية فى أسباب المكنونات وبدء الخليقة وأسرار الوجود فإنما يسألون أهل الكتاب قبلهم ، ويستفيدون منهم ، لأنهم كما يقول ابن اسحاق : أهل العلم الأول . وكانت التوراة والتلمود من بعدها ، تشتمل على كثير مما يشتمل عليه القرآن الكريم من وقائع وأحداث تتصل بالمصطفين والأخيار ، من أنبياء الله الكرام ولكن بإسهاب وتفصيل ، قد يغوى فى كثير من الأحايين ....) (ص ١٠٧) .

وهنا نسأل الكاتب : هل هذا كان حال العرب بعد دخولهم فى الإسلام ؟؟ وهل ظلوا بدوا وأميين ؟؟ يتسولون معارفهم من أهل الكتاب ؟ وهل نسوا توجيهات نبيهم « لا تسألوا أهل الكتاب » ثم متى حدث هذا فى عهد التابعين ، أم فى عهد الرسول أم فى عهد الصحابة ؟؟ إن هذا تشكيك فى كتب التفسير ، وهذا أمر خطير .. لأن التفسير أصل من الأصول الذى يقوم عليه أمر هذا الدين .

ويقول الكاتب : (وتساهل المفسرون ، وملأوا كتب التفسير بهذه المنقولات) ، (ص ١٠٧) . ويزعم الكاتب أن المفسرين والمؤرخين قد توسعوا في الاستعانة بالإسرائيليات ، وقد جرهم ذلك إلى ضعف ملكة النقد عند معاصريهم ، (ص ١٠٨) .

– ويزعم الكاتب : أثناء عرضه ذلك ، أن الديانة اليهودية ديانة توحيد . (ص ١٠٨) ، وذلك نقلا عن مؤلف يهودى هو : إسرائيل ولفنسون .

ثم أورد الكاتب كلاما عن صحابي جليل هو عمرو بن العاص (ص ١٠٩) زعم فيه أن عمرو بن العاص – رضي الله عنه – قد أصاب زاملتين من أهل الكتاب يوم اليرموك ، فكان يحدث منهما بقدر ما فهم من حديث « حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج » دون أن يحقق هذه الرواية .

– وزعم الكاتب أن الإمام أحمد بن حنبل قال كلمة مشهورة :

(ثلاثة ليس لها أصل : التفسير والملاحم والمغازى . أى ليس لها إسناد ، لأن الغالب عليها المراسيل ، وأورد قولا لابن تيمية : والموضوعات في كتب التفسير كثيرة) . (انظر : ص ١١٠) .

ويقول الكاتب : إن ذلك كان موجودا على عهد الرسول ، ولكنه لم يكن خطيرا.. (ص ١١٠) (إلا أن عصر التابعين كان جد مختلف ، إذ كثر فيه النقل عن يهود ، ومن ثم فقد وجدت أسفار يهود وأناجيل النصارى طريقها إلى كتب التفسير ، وزاد الطين بلة أن وجد في تلك الفترة جماعة من المفسرين أرادوا أن يسدوا بما يرونه ثغرة قائمة في التفسير بما وصل إليهم من الإسرائيليات ، فجاء ما روى عنهم في التفسير مليئا بقصص كله سخف ونكارة ، كالذى نراه في كتب التفسير منسوبا إلى قتادة ومجاهد ...) .

ويستمر الكاتب في التشكيك في التفسير والمفسرين : (سواء كانت هذه هي كل الأسباب أم أن هناك أسبابا أخرى ، فالذى لا شك فيه أن كثيرا من كتب التفسير قد اتسع لما قبل ذلك وأكثر ، حتى أصبح فيها مزيجا متنوعاً من مخلفات الأديان المختلفة والمذاهب المتباينة ، التي ترامت إلى علم العرب ، وحتى حوت من الإسرائيليات كل عجيب وعجيبة ، واستوت في ذلك تفاسير المتقدمين والمتأخرين والمتساهلين والمتشددين ، على تفاوت بينهما في ذلك قلة وكثرة ، وتعقيبا عليها وسكوتا عليها) (ص ١١٠ - ١١١) .

وذكر الكاتب من هذه التفاسير : تفسير الطبرى ، جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، وتفسير القرطبي ، الجامع لأحكام القرآن ، وتفسير ابن كثير ، تفسير القرآن العظيم ، وتفسير النيسابورى [١] .... (ص ١١١) .

وهكذا شكك الكاتب في مصدر من المصادر الأساسية لفهم هذا الدين ، فأين المصدر الموثق : اليهود والنصارى ؟؟ أم المؤلف ؟؟ ..

ألم يكن الرسول يفسر آيات الله التي يغمض على المسلمين معرفة معناها ؟؟ إن المستشرقين لم يتعرضوا من قلم الكاتب لما تعرض له علماء التفسير رغم أنهم علماء أجلاء حفاظ وموثقون .

ويزعم الأستاذ الدكتور : (إن الحجر الأسود قد يكون من نوع النيازك) .

---

(١) إننى آمل أن يتصدى العلماء الشرفاء - من أبناء الأزهر لهذه الهجمة على كتب تفسير القرآن الكريم ، التى أعدها علماء حُفّاظ شرفاء أتقياء .

(ص ١٩٤) ، ونسي حديث رسول الله ﷺ : « نزل الحجر الأسود من الجنة وهو أشُد بياضاً من اللبن فسودته خطايا ابن آدم »[(١)] .

وأنكر الكاتب (ص ١٩٤) ما ثبت عن رسول الله ﷺ من أن الحجر الأسود كان ياقوتة بيضاء فأسود بذنوب العباد .

وزعم الكاتب أن المسلمين يقدسون الحجر الأسود ، (كما قال ذلك المستشرقون من قبله) ، وبرر ذلك بتخبطات لا أصل لها في الدين ، وما كان له أن يعمل فيها عقله . فعلى سبيل المثال ذكر الكاتب : (وأما تقديس الحجر الأسود فربما قد نجم من ارتباطه بشيء مقدس ، فهو إما أن يكون رمزا للعهد الذى أخذه إبراهيم على نفسه ، وذلك بجعل هذا البيت مثابة للناس وأمنا) . (ص ١٩٤) ، (من الذى جعل البيت مثابة وأمنا ؟؟ إبراهيم أم الله ؟؟) (وإما أن يكون قد أقامه إبراهيم حجة عليه وعلى ولده ، بأن هذا البيت قد انتقل من ملكهم إلى الله تعالى) (من الذى قال : إن البيت كان ملكا لإبراهيم وتنازل عنه لله تعالى ؟؟) . ويزعم الكاتب : (أن إبراهيم - عليه السلام - قد وضع الحجر فى الركن الأقرب إلى الباب ليكون أول حدود هذا البيت ، واختار له اللون الأسود لسهولة تعيينه وتحديد مكانه ؟؟ لذلك كان الحجر الأسود محترما من إبراهيم .. محترما من ولده ، مقدسا عند المسلمين إلى اليوم وإلى الغد) . (ص ١٩٤) .

والعجيب أن الكاتب - وهو أحد أبناء المسلمين - يستشهد بيهودى على قدسية الحجر الأسود فيقول : (ويذهب فلهاوزن إلى أن قدسية البيت لم تكن عند قريش بسبب ما فيه من أصنام ، وإنما بسبب هذا الحجر الأسود ، فهو إذن مقدس لذاته) . (ص ٢٢٧)، (بل إن البعض ليذهب إلى أن البيت لم يكن إلا بمثابة إطار للحجر الأسود الذى كان أهم معبود إلى قريش في الجاهلية) . - (ص ٢٢٧).

كما ذكر الكاتب (ص ١٩٦) (لعل هذه الآيات الكريمة : ﴿ إن أول

---

(١) اقرأ التصحيح فى كتابنا : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، تاريخ إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهما السلام ؛ ص ١٠٨ ؛ صحيح الجامع الصغير ، حديث رقم ٦٦٣٢ .   (١) سبأ : ١٥ - ١٧ .

بيت وضع للناس ..... ﴾ إشارة إلى أن الحج إلى البيت على المستطيع هو استمرار لعرف إلهي قديم معترف به من الناس ، وممارس من بعضهم) ؟؟ .

وعقد الكاتب فصلا في كتابه تحت عنوان : « سيل العرم » (٣١١ - ٣٥٢) :

يردد الكاتب رأيا للباحثين - كما يقول - : (ربما كان « تهدم السد » بسبب كوارث طبيعية كالزلازل والبراكين ، وليس لمجرد سقوط أمطار غزيرة) . وزعم الكاتب : (أن أقوال مفسرى القرآن لا يكاد يقدم علما يعتمد عليه ، أو أدلة قوية تساند وجهة النظر هذه أو تلك) والعجيب أن الكاتب يشكك في كتب التفسير في الوقت الذى يروى خبره اعتمادا على جلازر اليهودى وجواد علي وفيلبي ، (ص ٣٤٣ - ٣٤٤) ، على اعتبار أنهم موثقون لديه !!

صفحات تشكيك وضياع لجهد ووقت الأمة . ألا يكفي قوله تعالى : ﴿ فأرسلنا عليهم سيل العرم ، وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشيء من سدر قليل . ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور ﴾

والكاتب يورد قولا لا يمكن تفسيره إلا أنه ينكر السبب الذى من أجله أرسل الله سيل العرم لتدمير السد ، وهو ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا وهل نجازى إلا الكفور ﴾ . (ص ٣٥١) . (ولعل الأسباب التى أدت إلى تصدع السد ثم حدوث السيل إنما هو ضعف الحكومات ثم تحول الطرق التجارية ... فألهى ذلك الحكومة عن القيام بواجباتها مما أدى إلى إهمال السد ، ومن ثم فقد تصدعت جوانبه ، فكان السيل الذى أغرق مناطق واسعة من الأرض الخصبة التى ....) ص ٣٥١ .

وهكذا وصل بنا الكاتب بعد إحدى وأربعين صفحة من الكلام ، إلى ما وصل إليه المستشرقون اليهود والنصارى ومن سار على نهجهم من أبناء العرب من أن سد مأرب قد انهار نتيجة عدم صيانته . وهم بهذا يتبنون المنهج المادى لتفسير التاريخ .

وبهذا يشككون فى سبب رواه القرآن لتدمير السد : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا . وهل نجازى إلا الكفور ﴾

فإن شككوا فى القرآن معجزة الإسلام فقد شككوا فى الإسلام .

يشكك الكاتب فى رسالة هود عليه السلام ومكانها جريا على منهج المستشرقين ، فيقول : (هناك من يذهب إلى أن هودا ، قد يكون أحد الأنبياء الذين كانوا فى منطقة فلسطين وشمال الحجاز) . (ص ٢٤٩) . ونسى الكاتب أن القرآن قد ذكر هودا ورسالته بالأحقاف . وتجمع كتب التفسير وكتب اللغة على أن الأحقاف جنوب الجزيرة العربية وهود نبى عربى ، وبعث فى الجزيرة العربية وليس فى فلسطين .

وحاول الكاتب أن يشكك فى كتابات المؤرخين المسلمين (ص ٢٥٢) .

وزعم الكاتب أيضا أن المفسرين قد اختلفوا فى اسم النبى الكريم هود عليه السلام (ص ٢٥٦) كيف يختلفون فى اسمه رغم أن الذى ذكر الاسم هو القرآن ؟؟ ﴿ وإلى عاد أخاهم هودا ﴾[1] ...

وينفى الكاتب عن ثمود هلاكهم بالعذاب ، الذى أرسله الله عليهم ، ﴿ فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها ﴾[2] . وهو بهذا يدفع الخبر القرآنى بشأن تعذيب الله لثمود المكذبين . يقول الكاتب : (وهناك من يرى أن ثمود إنما أصيبوا بكارثة عظيمة ، من ثوران براكين ، أو من هزات أرضية ، معتمدا فى ذلك على ما ورد فى القرآن الكريم من كلمات « رجفة » و « صيحة » وربما كان الأمر كذلك ، فمنطقة إقامتهم إنما هى واحدة من مناطق الحرارة فى شبه الجزيرة العربية) .

مرة أخرى يسخر الكاتب من الحفاظ الفقهاء ، ابن كثير والطبرى وابن الأثير حينما زعم أنهم اختلفوا فى اسم شعيب – عليه السلام – وأنهم حولوه إلى نبى يهودى (حينما نسبوه إلى يعقوب – عليه السلام –) . ونسى الأستاذ الدكتور أن يعقوب ليس يهوديا ولكنه نبى مسلم . (ص ٢٩٦ ، ٢٩٧) .

أصحاب الأخدود :

أورد الكاتب الرأى الصحيح بشأنهم من القرآن ومن الحديث ، ثم حاول أن يورد أخبارا أخرى غير صحيحة !! ما هو القصد ؟؟ ما هى الغاية ؟

---

(١) الأعراف : ٦٥ .   (٢) الشمس : ١٤ .

(ص ٣٥٥ وما بعدها) هل للتشكيك فى القصة الصحيحة التى أوردها الكاتب ؟؟ .

وبدلا من أن يكتفى الكاتب بما أورده القرآن والسنة ، أورد لنا آراء شاذة نقلا عن اد. جيبون ، فليب حتى ، وسيدرنيوس (ص ٣٦٤) ، وفون كريمر ؛ وما ورد فى المصادر المسيحية واليونانية (ص ٣٦٧) ، يناهض ما ورد عن أصحاب الأخدود فى القرآن والسنة .

ويزعم الكاتب أن أصحاب الأخدود كانوا نصارى ، وأن اليهودية والنصرانية ديانتان سماويتان[1] لا مجال لتفضيل إحداهما على الأخرى . (ص ٣٦٥) .

وأورد الأستاذ الدكتور الذى دأب على مهاجمة المفسرين : كلاما رده إلى كتاب الله عز وجل ، وكتاب الله منه برىء . يقول الكاتب نصا (ص ٣٧٨) :

(وكانت اليهودية - كما جاء فى القرآن الكريم (سورة النمل ، آية : ٢٠ - ٤٤) - قد بدأت تأخذ طريقها إلى مملكة سبأ منذ القرن العاشر قبل الميلاد ، وعلى أيام سليمان (٩٦٠ - ٩٢٢) ق . م ، وذلك طبقا لما جاء فى القرآن الكريم على لسان ملكة سبأ فى ختام قصتها مع النبى الكريم ، حيث يقول سبحانه وتعالى : ﴿ قالت : رب إنى ظلمت نفسى وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين ﴾ . فالكاتب الكبير يعتبر سليمان يهوديا ، وإلى اليهودية دعا !! هل بعد هذا يوجد فهم صحيح لكتاب الله ؟؟؟ فالكاتب هنا يفسر كتاب الله بعقله ، لأن المفسرين ليسوا موضع الاعتبار .

وتناول الكاتب حادثة أصحاب الفيل :

فلا يخفى سعادته بالقليس التى بناها أبرهة الحبشى ، فيقول : (إنها تأثرت بالفن البيزنطى وإن جمعت كنيسة القليس بين الفن العربى القديم والفن البيزنطى النصرانى) (ص ٣٩٣) .

---

(١) التصحيح : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى السماء وفى الأرض ، دار الوفاء .

وأشار بكلمة لا تتناسب مع مقام النبوة ، ولا مع مقام حرائر النساء فأورد عبارة فيها : « قصر بلقيس صاحبة سليمان » . (ص ٣٩٣) ، كأنها كانت خليلة له ، كما صور ذلك الكُتَّابُ الذين اعتدوا على حرمة الأنبياء أمثال توفيق الحكيم فى مسرحية « سليمان الحكيم » .

وقد حاول الكاتب أن يشكك فى كل روايات المفسرين (عن أسباب التنزيل لسورة الفيل) دون أن يقدم لنا دليلا واحدا على صدقه فى النقد ، إلا أنه يعمل عقله فيما فيه وحى (ص ٣٩٧) وهذا أمر آمل أن يراجع الكاتب فيه نفسه .

وهكذا زعم الكاتب : (أن حملة أبرهة الحبشى على مكة المكرمة ، إنما كانت لأسباب سياسية واقتصادية فى الدرجة الأولى ، وربما كانت دينية فى الدرجة الثانية ، وحتى هذه فقد كانت فى خدمة العوامل السياسية والاقتصادية) (ص ٣٩٩) .

ونسى الكاتب أو لعله تناسى العقاب الربانى وهو الطير الأبابيل ﴿ طيرا أبابيل . ترميهم بحجارة من سجيل فجعلهم كعصف مأكول ﴾ فذكر الدكتور مهران (أن المرض حين تفشى فى جيش أبرهة وارتد عن مكة) أى مرض وأى ارتداد وقد صاروا كعصف مأكول ؟؟ (ص ٤٠٦) .

وزعم الكاتب أن النصر العظيم الذى أعطاه الله للعرب على أبرهة ، إنما كان إرهاصا بدعوة المصطفى . (ص ٤٠٨) ، ولا ندرى ماذا يقصد الكاتب بكلمة : « إرهاصا » .

وهكذا كانت حملة أبرهة (كما يزعم الدكتور مهران) وكما يقول براون (الشيخ ؟؟؟) فاتحة عصر جديد فى تاريخ حياة العرب القومية . (ص ٤٠٩) . هل من عاقل يقول : إن محاولة غزو مكة لهدم الكعبة يعتبر فاتحة عصر جديد فى حياة العرب القومية ؟؟ ..

ثانيا :

شبهات أخرى
حول تاريخ إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام ، وتاريخ الحرم الآمن وبيت الله العتيق ومكة المكرمة ، والرد عليها

سؤال – تحدث الدكتور محمد فى كتابه « دراسات تاريخية من القرآن الكريم » ، جـ ١ ، ص ١١٥ عن إبراهيم عليه السلام بقوله (وأول من أعطى المسلمين اسمهم) . واستند فى قوله على آية ٧٨ من سورة الحج (١) . فما رأيكم ؟

الرد – بالرجوع إلى نص الآية ، ﴿ وجاهدوا فى الله حق جهاده هو اجتباكم وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم إبراهيم ، هو سماكم المسلمين من قبل وفى هذا ليكون الرسول شهيدا عليكم وتكونوا شهداء على الناس فأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة واعتصموا بالله هو مولاكم فنعم المولى ونعم النصير ﴾ .

وعن الآية ﴿ هو سماكم المسلمين من قبل ﴾ يقول الإمام الحافظ ابن كثير « قال مجاهد ، (الله سماكم المسلمين من قبل فى الكتب المتقدمة وفى الذكر ....) وكذا قال غيره (قلت) وهذا هو الصواب » ، واستند فى ذلك على حديث لمحمد رسول الله ﷺ منه « فادعوا بدعوة الله التى سماكم بها المسلمين المؤمنين عباد الله » (٢) .

يؤكد هذا المعنى الذى ذهب إليه الإمام ابن كثير ، ما تجلى لنا واضحا من خلال دراستنا (٣) (إن الدين عند الله الإسلام) وأن الدين الإسلامى قبل آدم

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٣ ، ص ٢٣٦ .
(٢) رواه النسائى عند تفسير هذه الآية .
(٣) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى ، أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، تاريخ إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام ، وتاريخ الحرم الآمن وبيت الله العتيق ومكة المكرمة .

عليه السلام ، وأن آدم عليه السلام كان مسلما وكذلك نوح عليه السلام ، وكان هناك عشرة قرون بين آدم ونوح كانت على الإسلام ، وكل هؤلاء يسبقون إبراهيم عليه السلام بزمن لا يعلمه إلا الله ، أى أن المسلمين والإسلام كانوا موجودين قبل إبراهيم بزمن طويل لا يعلمه إلا الله ، وليس إبراهيم عليه السلام هو أول المسلمين ، وليس هو أول من أعطى المسلمين اسمهم [1] كما أورد المؤلف فى كتابه « دراسات تاريخية من القرآن الكريم » ، إنما هو الله سبحانه .

سؤال – ورد فى كتاب « دراسات تاريخية من القرآن الكريم » ، جـ ١ ، ص ١١٥ : عن إبراهيم عليه السلام : (أنَّه جاعل مكة أقدس بقاع الأرض قاطبة) [2] .

واستند فى قوله على آية ٩٦ سورة آل عمران . فما رأيكم ؟؟

الرد – يقول الله تعالى : ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ . (آل عمران : ٩٦)

ونص الآية وتفسيرها لا يعين أبدا على المعنى الذى ذهب إليه الأستاذ الدكتور لأن الله هو واهب البركة وواهب القداسة وهذا من مقتضى توحيد الربوبية . فالله هو الذى اصطفى إبراهيم عليه السلام واتخذه خليلا ، وهو الذى جعل حرما آمنا مباركا ، وليس إبراهيم [2] . (ارجع إلى تفسير القرآن العظيم جـ ١ ، ص ٣٨٣ ، وصفوة التفاسير ، جـ ١ ، ص ٢١٨ – ٢١٩) .

سؤال – ورد فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن ، جـ ١ ، ص ٢٠٧ – ٢٠٨ :

(وفى الواقع رغم وجود البيوت الحرام فى بلاد العرب كبيت الأقيصر وبيت ذى الخلصة وبيت صنعاء .... فإن واحدا من هذه البيوتات لم يجتمع له ما اجتمع لبيت مكة ، ذلك لأن مكة كانت ملتقى القوافل بين الجنوب

---

(١) وما ذهب إليه المؤلف قول ضعيف نقده قبله المفسرون (وإن كان الكاتب لا يعترف بهم) لأنه يريد إسقاط وجود الإسلام والمسلمين قبل إبراهيم عليه السلام ، وهذا باطل كما بينا .

(٢) خاصة وأن الله قد حرم مكة يوم خلق السموات والأرض كما كانت مكة الموضع الذى وضع فيه أول مسجد فى الأرض لآدم عليه السلام : ﴿ أن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركاً ﴾ .

والشمال .... ولم تكن فيها سيادة قاهرة على تلك القبائل .... فمكة إذن بمثابة عبادة وتجارة ، وليست حوزة ملك يستبد بها صاحب العرش ولا يبالى من عداه ، وهى وإن لم تكن كذلك من أقدم أزمانها ، فقد صارت إلى هذه الحالة بعد عهد جرهم والعماليق .... أضف إلى ذلك أن مكة كانت عربية لجميع العرب ، ولم تكن كسرية ، قيصرية ..... الخ) .

ما رأيكم فى هذا القول فى ضوء رسالتكم عن مكة والحرم الآمن ؟؟

الرد ــ أولا ــ التحريم والتحليل بأمر الله سبحانه وتعالى ﴿ ألا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالـمين ﴾ (الأعراف : ٥٤) .

ثانيا – إن الله سبحانه وتعالى لم يحرم سوى مكة المكرمة ، والرسول محمد ﷺ حرم المدينة بأمر الله ، لأن الرسول ﷺ ﴿ وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ﴾ . (النجم : ٣ – ٥)

ثالثا – عدم جواز تحريم مناطق لم يجعلها الله حراما ،ويدخل فى ذلك عدم جواز القول بالحرمَ الإبراهيمى* أو الحرم الجامعى .

رابعا – إن مكة وحرم الله الآمن وبيته العتيق قد حرمها الله سبحانه وتعالى يوم خلق السموات والأرض[1] . بل ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ .(آل عمران : ٩٦)

خامسا – إن مكة ليست للعرب خاصة ولكنها لجميع المسلمين هكذا كانت وهكذا ستكون إن شاء الله ، وإن كانت هنالك فترات كان يتردد عليها ويعيش فيها المشركون . وإنما هى ليست لهم فى الأصل .

سادسا – يجب على الكاتب أن يصحح العبارات الواردة فى كتابه ، والتى تتعارض مع الحق الذى بينه الله عز وجل .

---

* فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ، طبعة الرباط ، ج ٢٦ ، ص ١١٧

(١) بدليل حديث الرسول محمد ﷺ الوارد فى الصحيحين ، إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض فهو حرام بحرمة الله إلى يوم القيامة . (انظر السيرة النبوية ، ج ١ ، دار المعرفة لبنان ١٣٩٦ هـ ص ٢٧١ . تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٣٥٤) .

سؤال – ورد فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن (ص ٢٠٩) ما يأتى :

(وقد عملت قريش على توفير الأمن فى منطقة مكة .... ولعل هذا هو السبب فى أن تسن قريش الأشهر الحرم فى موسم الحج ، حتى يأمن الناس) . أفيدونا أفادكم الله فى ضوء دراستكم عن هذا الموضوع ؟

الرد– أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهرا فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم وقاتلوا المشركين كافة كما يقاتلونكم كافة ، واعلموا أن الله مع المتقين ﴾ (١) .

أورد الإمام الحافظ ابن كثير فى تفسير القرآن العظيم التفسير (٢) التالى :

(قال الإمام أحمد : حدثنا إسماعيل أخبرنا أيوب أخبرنا محمد بن سيرين عن أبى بكرة أن النبى ﷺ خطب فى حجته فقال « ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض ، السنة اثناعشر شهرا منها أربعة حرم ثلاثة متواليات ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مُـضَرْ الذى بين جمادى وشعبان ثم قال : (أى يوم هذا ؟ قلنا : الله ورسوله أعلم فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه ، قال : « أليس يوم النحر ؟ » قلنا : بلى . ثم قال : « أى شهر هذا ؟ » قلنا : الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : « أليس ذا الحجة ؟ » قلنا : بلى ، ثم قال : « أى بلد هذا ؟ » قلنا الله ورسوله أعلم ، فسكت حتى ظننا أنه سيسميه بغير اسمه . قال : « أليست البلدة ؟ » قلنا : بلى ، قال : فإن دماءكم وأموالكم – وأحسبه قال – وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا فى شهركم هذا فى بلدكم هذا . وستلقون ربكم فيسألكم عن أعمالكم ، ألا لا ترجعوا بعدى ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض ، ألا هل بلغت ؟ ألا فليبلغ الشاهد منكم الغائب ، فلعل من يبلغه يكون

---

(١) التوبة : ٢٦ .

(٢) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

أوعى له من بعض من سمعه » . ورواه البخارى فى التفسير وغيره . ومسلم من حديث أيوب .....(إلخ) وذلك يعنى أن تحريم الأشهر الأربع وتحديدها أمر توقيفى من الله عز وجل ، وليس من وضع قريش ، ولذلك نرى أن يحذف الكاتب هذه العبارة ويبدلها برأى الشارع العظيم الذى يملك حق التحليل والتحريم .

سؤال : ورد فى كتاب « دراسات تاريخية من القرآن » ، جـ ١ ، ص ١٩٨ - ١٩٩ ، كلام ، فيما يراه الكاتب مشكلة تحديد الأشهر الحرم .

ناقش الكاتب (ما يراه مشكلة تحديد الأشهر الحرم فى ضوء ما قاله المستشرق اليهودى فلهاوزن ووصل إلى أن : (الأشهر ذو القعدة وذو الحجة والمحرم هى أشهر الحج فيما قبل الإسلام ، أما رجب ، فقد كان المكيون فيما يرى البعض يحتفلون فيه بعيد دينى ، ربما كان خاصا بقبائل مضر أو قبائل الحجاز أو بعضها ، وربما كان هذا أصل حرمته ، حتى يتمكن القوم من الذهاب والإياب ، وأداء المناسك فى ظل هدنة دينية مقدسة) انتهى كلام الكاتب أفيدونا أفادكم الله ؟

الـرد : هل الكاتب هنا يريد أن يذهب إلى ما ذهب إليه غيره من المستشرقين اليهود والنصارى من أن محمدا ﷺ جاء فوجد العرب ، عرب الجاهلية ، قد اتفقوا فيما بينهم على تحريم هذه الأشهر الأربع ، فأقرهم على ذلك ؟ فإذا كان يقصد ذلك ، فالأمر جد خطير ، لأن ذلك يعنى أن الرسول محمد ﷺ فد أقر أمرا من أمور الجاهلية وجعله من الشرع فى الإسلام ، أى أن الإسلام من اختراع محمد ﷺ . ولا أظن أن الكاتب يقصد ذلك ، إذن يلزم الدكتور محمد مهران تغيير النص ليقرر الحقائق التالية ، كما تبين لنا من خلال القرآن الكريم وحديث الرسول محمد ﷺ وأقوال المفسرين :

١ - إن الله سبحانه وتعالى قد جعل أربعة أشهر حرما ، منذ خلق السموات والأرض ، وليس قبل الإسلام (١) .

---

(١) هذه العبارة خاطئة لأن الإسلام مفطور عليه الكون وبه أرسل جميع الرسل عليهم السلام ، أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى .

٢ - إن الرسول محمدا ﷺ الذى ما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى قد حدد هذه الأشهر الحرم « ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب « .

٣ - تحذف الفقرة : (أما رجب ، فقد كان المكيون فيما يرى البعض - يحتفلون فيه بعيد دينى ، ربما كان خاصا بقبائل مضر أو قبائل الحجاز أو بعضها ، وربما كان هذا أصل حرمته) . لأن الفقرة تعنى أن جعل هذا الشهر حراما هو من اختراع عقل المكيين . بينما هذا أمر توقيفى شرعى من الله عز وجل ، فالله هو الذى حرَّمها[1] .

٤ - حذف ما يراه الكاتب مشكلة تحديد الأشهر الحرم فى ضوء ما قاله فلهاوزن ، لأنه لا يجوز لمسلم أن يطلب من يهودى تفسيرا لمشكلة صورها له الخيال فى دين الله عز وجل .

سؤال : ورد فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن ، ص ٢٠٠ - ٢٠١ كلاما بمناسبة - إحضار عمرو بن لحى لصنم من بلاد الشام إلى مكة ووضعه عند الكعبة - (فربما كانت تلك وسيلة من وسائل عمرو هذا ، لتعظيم شأن الكعبة عند أهل الشمال ، وإيناسهم بها كلما دخلوا إلى الحجاز وتقريب ما بينهم وبين شعائر البيت الحرام ، وهم جميعا حريصون على تقريب هذه الشقة ، وحماية روادها من كل قبيل ....) الخ ما أورده الكاتب ، فما رأيكم ؟؟

الـــرد : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم ﴿ إنَّما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه ﴾ . ولذلك فإن أول ما فعله الرسول ﷺ يوم فتح مكة هو تحطيم أصنام الكعبة . قال البخارى : حدثنا صدقة بن الفضل ، حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبى نجيح ، عن مجاهد ، عن أبى معمر ، عن عبد الله هو ابن مسعود - قال : دخل رسول الله مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود فى يده ويقول : « جاء الحق وزهق الباطل . جاء الحق وما يبدىء الباطل وما يعيد » . وقد رواه مسلم[2] .

---

(١) الدليل قوله تعالى : ﴿ إن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً فى كتاب الله يوم خلق السموات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم ﴾ التوبة ٣٦ ، تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٣٥٣ .

(٢) السيرة النبوية ، جـ ٣ ، ص ٥٧١ .

وعمرو بن لحى من أصحاب النّار كما أخبر بذلك نبينا محمد ﷺ (١) ، لأنه ما قام به عمل من أعمال الشرك بالله عز وجل* .

ونأمل أن يقوم الكاتب ببيان أن هذا العمل من جانب عمرو هو انحراف عن دين إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، بدلا من سوق المبررات للشرك الذى كان عليه الرجل .

سؤال : ورد فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن ، ص ٢١٠ ، العبارات التالية ، فما رأيكم فى ضوء دراستكم عن هذا الموضوع ؟؟ :

(وخطت قريش خطوة أخرى فى اجتذاب القبائل العربية إلى مكة ، فنصبت أصنام جميع القبائل عند الكعبة ..... إلى غير ذلك) .

(وهكذا تمضى الأيام وتزداد مكانة الكعبة عند العرب حتى تصبح آخر الأمر المفخرة القومية والحرم الإلهى عندهم ، ثم تغدو بعد حين من الدهر ، الحوار الوحيد الذى يشعر العرب عنده بشعور العروبة الموحدة عالية الرأس ، غير مستكينة لأجنبى كائنا من كان ..... ولكنهم هنا - فى مكة - عند بيت الله ، فى حرم الله ، يقدسونه جميعا ، لأنه لهم جميعا ، يضمهم إليه كما يضم أوثانهم وأصنامهم وأربابهم يلوذون به ويأوون إليه ، فكلهم من معبود وعابد فى حمى الكعبة ، لأنهم فى بيت الله ، وشعورهم هنا ، بأنهم عرب لم يماثله شعور قط فى أنحاء الجزيرة العربية (١) .

الــرد : تحوى هذه العبارات عدة مسائل زعمها الكاتب :

أولا : « أن نصب أصنام القبائل عند الكعبة ، جذب القبائل العربية إلى مكة » .

ثانيا : « الكعبة تصبح - آخر الأمر - المفخرة القومية للعرب » .

ثالثا : « الكعبة هى الجوار الوحيد الذى يشعر العرب عنده بشعور العربية الموحدة » .

رابعا : « إن العرب عند بيت الله فى حرم الله ، يقدسونه جميعا ، لأنه لهم جميعا ،

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ١٨٧ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، يقول محمد ﷺ : « رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر قصبه فى النار ، كان أول من سيب السوائب » رواه البخارى ومسلم .

* وفى الحديث : « أول من غير دين إبراهيم عمرو بن لحى بن قمعه بن خندق أبوخزاعة » صحيح الجامع الصغير ، رقم ٢٥٧٧ .

يضمهم إليه كما يضم أوثانهم وأصنامهم وأربابهم ..... فكلهم من معبود وعابد فى حمى الكعبة ، لأنهم فى بيت الله » .

انتهى كلام المؤلف وردنا . وبالله التوفيق .

إن قلوب العباد ومن بينهم العرب وأفئدتهم منجذبة بطبيعة خلقها وتكوينها إلى بيت الله الحرام ﴿ ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوى إليهم ﴾ (إبراهيم ٣٧) . ويقول ابن قيم الجوزية فى فضل مكة (وقد ظهر سر هذا التفضيل والاختصاص فى انجذاب الأفئدة وهوى القلوب وانعطافها ومجيئها لهذا البلد الأمين ، فجذبه للقلوب أعظم من جذب المغناطيس للحديد)[1] .

وهذا طبيعى بالنسبة للأنبياء عموما ، والمسلم على وجه الخصوص ، لأن كل مولود مفطور على الإسلام ، كما أن المشرك لا يحرم من لحظات يتطلع إلى بارئه وخالقه ، فالعرب بطبيعة تكوينهم مفطورين على الإسلام ، وهو دين آبائهم وأجدادهم ، من عهد إبراهيم وإسماعيل ، كما أن قلوبهم متعلقة بالبيت الذى رفع قواعده إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام . وهذا الذى كان يغيظ أبرهة الحبشى المسيحى ، إذ إن تعلق العرب رغم شركهم بقبلة أبيهم إبراهيم ، هو الذى دفعه إلى محاولة غزو مكة وهدم الكعبة تصورا منه أنه بهدم قبلة المسلمين يسهل القضاء على وحدتهم .

إذن فانجذاب القلوب يرجع لهذا السبب الإلهى وليس لأن قريشا نصبت أصنام العرب فى الكعبة ، وكلام الكاتب يحتاج منه أن يبدله ويغيره طبقا لما ورد فى شريعة الله . أما ما أورده الكاتب أن الكعبة أصبحت فى آخر الأمر المفخرة القومية . فالكعبة هى الحرم الإلهى منذ خلق الله السموات والأرض ، وهى منذ البداية وضعت للناس بداية بآدم عليه السلام ﴿ إن أول بيت وضع للناس للذى ببكة مباركا وهدى للعالمين ﴾ .

أما كونها المفخرة القومية للعرب فهذا مالم يرد به شرع أو حتى قول مأثور ، فالكعبة هى قبلة للمسلمين جميعا سواء كانوا عربا أو عجما أو غيرهم . وليس لأى جنس الحق فى ادعاء أنه صاحب الفضل فى ذلك ، فلله المنة والفضل

(١) زاد المعاد فى هدى خير العباد ، جـ ١ ، ص ٩ .

والإحسان . كما أنها محرمة على المشركين سواء كانوا عربا أو عجما ﴿ إنَّما المشركون نَجَسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا ﴾ ولا يمكن السماح لمشرك أن تطأ قدمه أرض الحرم حتى لو كان عربيا .

إن هذه الكلمة « المفخرة القومية » (١) معالجة تاريخية من وجهة النظر القومية ، إنها إحياء للنعرة العصبية التى أماتها الإسلام وحذر من إحيائها أو عودتها « دعوها فإنها منتنة » . بل إن رسول الله ﷺ قد تبرأ ممن يدعو إلى القومية فقال « ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية ، أو مات على عصبية » .

– قبل أن نتناول النقطة الثالثة بالرد أود أن أوكد ، أن العرب هم مادة الإسلام ، ومحمد من أشرف القبائل العربية نسبا ، والقرآن نزل باللغة العربية ، والعربية لغة أهل الجنة ، والذى يبغض العرب يبغض محمداً ﷺ ، – ولكن أن تتحول العروبة إلى قومية وعصبية تلهى الناس بعيدا عن إسلامهم ، وتضع إلها جديدا يؤلهه الناس ، فهذا ما يرفضه الشارع الحكيم كما بينا .

ومن الذى يقول بأن الكعبة هى الحوار الوحيد الذى يشعر العرب عنده بشعور العروبة الموحدة عالية الرأس ؟؟؟ أين الإسلام ؟؟ فهو الذى ألف الله به قلوب بنى البشر جميعا الذين أسلموا سواء أكانوا سمرا أم بيضا ، عربا أم عجما ، كون أن الإنسان المسلم يحس بعبوديته الكاملة لله وهو فى بيته العتيق كون أن المسلمين يشعرون بوحدتهم وحقيقة الآصرة التى تربط الإفريقى بالأوروبى ، والأمريكى بالآسيوى ، فهذا لأن الله ألف بين قلوبهم ، ولأنهم مسلمون أولا وآخرا . قال تعالى : ﴿ وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما فى الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم ﴾ (الأنفال ٦٣) .

وعلى الجانب الآخر حينما تقول العرب ، فالعرب لفظة تجمع تحتها العربى اليهودى والعربى النصرانى ، والعربى الدرزى والعربى النصيرى .... إلى غير ذلك .

وليس لهؤلاء جميعا أن يتواجدوا فى بيت الله الحرام أو دخوله ، إنما الذين يحق لهم ذلك هم المسلمون .

---

(١) أورد الدكتور بيومى مهران ، ص ١١٥ بأن إبراهيم أبو العرب ، وهذا تعصب قومى فإبراهيم ليس أبا للعرب كلهم ، وليس أخا للعرب وحدهم ، والقرآن ينص على أبوته للمؤمنين بعده ﴿ ملة أبيكم إبراهيم ﴾ ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبى والذين آمنوا ﴾ آل عمران ٦٨ .

– الفقرة الأخيرة فيها مخالفات عقدية ، منها –

« إن الأصنام والأوثان والأرباب وعبادها فى حِمَى الكعبة لأنهم يلوذون ببيت الله الحرام ، ويأوون إليه ، لأنه لهم جميعا » .

وهذا ما لم يقل به الشارع الحكيم ، وهو مخالف لشرع الله عز وجل ، وعلى الكاتب أن يسرع بحذف هذه الفقرة من الكتاب .

سؤال – ورد فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٥٦ ، ١٥٧ ، ١٥٩ العبارات التالية ، فما رأيكم فيها :

(ولعل السبب المباشر فى انتقال إسماعيل وأمه هاجر إلى الحجاز ، وسكناهم هناك ، يرجع إلى القصة المشهورة عن سارة التى أرادت أن تبعد إسماعيل عن أبيه)

وفى موضع آخر (ذلك أن العداوة بين المرأتين بدأت حتى قبل أن ترزق هاجر بوليدها ، وذلك يرجع حين أذلتها سارة ، فهربت منها إلى الصحراء المقفرة ، ولم تعد إليها إلا بأمر ملاك الرب الذى بشرها بأنها ستلد ابنا تدعوه إسماعيل) (١) .

ويعتمد الكاتب هنا على سفر التكوين من التوراة

ويذكر الكاتب أن من بين أسباب رحلة إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام إلى الحجاز هى رغبة إبراهيم أن « يربط ولده وبكره بما ارتبط به هو من قبل (أى بعشيرته من العرب) .

ويذكر أيضا (وأما إسماعيل – عليه السلام – فقد كان نصف مصرى ، نصف عراقى ، وإسماعيل قد ولد فى الشام وعاش فى الحجاز ، وتزوج من يمنية أو مصرية – طبقا لرواية التوراة – ، وتخريجا من هذا ، فإن إسماعيل رمز العروبة كلها ، رمز لعروبة العراق ، ورمز لعروبة الشام ، ورمز لعروبة الجزيرة العربية ، ولعل هذا ما يميزه على أخيه إسحاق ، الذى اقتصرت حياته ومماته على جزء من الشام فحسب ، ولم يتصل بقرابة من دم ، أو صلة من نسب ، بغير عشيرة أمه) (٢) انتهى كلام د . محمد مهران .

---

(١) نفس المرجع ، ص ١٥٧ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٥٩ .

الـرد : ونستعين بالله فنقول :

١ – ليس لنا رأى فى هذه المسائل ، إلا ما تراه توجيهات للشارع الحكيم فى هذا الشأن ، لا ندرى كيف سمح الأستاذ الدكتور محمد مهران لنفسه الاعتماد على التوراة فيما يرويه من أخبار ، رغم علمه بأنها محرفة وغير موثوقة المتون ؟؟؟ ولذلك فقد عنون كتابه – دراسات، تاريخية من القرآن الكريم – فإذا رأى الكاتب أنه لابد من الاعتماد على التوراة المحرفة كما فعل فقد كان من الواجب عليه أن يكتب « ومن التوراة » حتى ينطبق العنوان على فحوى الكتاب .

٢ – لماذا معالجة أحداث تاريخ إبراهيم وإسماعيل من وجهة النظر القومية ؟؟

ماذا يعنى إسماعيل – نصف مصرى ، نصف عراق .... الخ ، وماذا يعنى رمزا لعروبة الجزيرة العربية ؟ ولعل هذا ما يميزه على إسحاق ؟؟ ... ما هذا ؟؟

إن الله سبحانه وتعالى ينأى بإبراهيم عليه السلام وذريته أن يكونوا قوميين ، لقد نعتهم الله بصفة الإسلام ، وحول هذا المعنى كانت حركة إبراهيم وإسماعيل – عليهما السلام – ﴿ ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة مسلمة لك ﴾ . لم يقولا أمة عربية أو عجمية ؟؟ . بل إن حركة إبراهيم وإسماعيل برمتها فيها معنى القضاء على الفواصل الإقليمية والقبلية ، فالله لم يجعل إبراهيم إماما للأمة المسلمة إلا لأنه كان مسلما وليس لأنه كان عربيا .

وإذا رددنا الأمر للأصول الكلية فى التصور الإسلامى نجد أن الإسلام يؤكد على معان أساسية ورئيسية يجب على المسلم أن يظهرها ويحرص عليها ، ويتحرك بها ولها : من هذه المعانى –

وحدة الأصل البشرى ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذى خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ، واتقوا الله الذى تساءلون به والأرحام ، إن الله كان عليكم رقيبا ﴾ . (النساء : ١)

ويقول محمد ﷺ « كلكم لآدم وآدم من تراب » ، « لا فضل لعربى على عجمى ولا لأبيض على أسود إلا بالتقوى » .

ويحذر النبى ﷺ من إثارة النعرة العصبية فيقول « ليس منا من دعا إلى عصبية أو قاتل على عصبية أو مات على عصبية » ، « دعوها فإنها منتنة » .

وبالإضافة إلى ما سبق فإن الإسلام قد آخى بين محمد العربى وسلمان الفارسى وصهيب الرومى وبلال الحبشى ، وكان ﷺ يقول (سلمان منا آل البيت) .

وعلى الجانب المقابل نجد أن الإسلام قد قطع الوشيجة ، وشيجة النسب ، التى تربط بين محمد العربى وعمه أبى لهب العربى الكافر .

بل ونزل القرآن من السماء يتوعد أبا لهب العربى بالنار ﴿ تبت يدا أبى لهب وتب ، ما أغنى عنه ماله وما كسب ، سيصلى نارا ذات لهب ، وامرأته حمالة الحطب ، فى جيدها حبل من مسد ﴾ . (سورة المسد)

إن الإسلام يرفض أيّة وشيجة تربط بين الناس إذا انقطعت وشيجة العقيدة ، فها هو يقطع العلاقة بين نوح المسلم وابنه الكافر بها - لأنه عمل غير صالح ، ﴿ يا نوح إنه ليس من أهلك ، إنه عمل غير صالح ﴾ .(هود : ٤٦)

ويقطع العلاقة بين امرأة نوح ونوح المسلم ، وامرأة لوط ولوط النبى المسلم ﴿ وضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما فلم يغنيا عنهما من الله شيئا وقيل ادخلا النار مع الداخلين ﴾ .(التحريم : ١٠)

وذلك لانقطاع رباط العقيدة بين نوح وزوجه ، ولوط وزوجه .

وتنقطع العلاقة بين زوجة فرعون المسلمة وفرعون ، لانقطاع وشيجة العقيدة .

﴿ وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون إذ قالت رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة ونجنى من فرعون وعمله ﴾ . (التحريم : ١١)

بل إن العلاقة قد انقطعت بين إبراهيم المسلم ووالده ﴿ فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم ﴾ (التوبة ١١٤)(١)

---

(١) وفى الحديث عن رسول الله ﷺ : « إنتسب رجلان على عهد موسى . فقال أحدهما : أنا فلان بن فلان حتى عدّ تسعة ، فمن أنت لا أمّ لك ؟ . قال : أنا فلان بن فلان ابن الإسلام ، فأوحى الله إلى موسى أن قل لهذين المنتسبين ، أما أنت أيها المنتسب إلى تسعة فى النار فأنت عاشرهم ، وأما أنت أيها المنتسب إلى أثنين فى الجنة فأنت ثالثهما فى الجنة » (رواه أحمد والنسائى والبيهقى) .

إن دراسة وكتابة التاريخ وخاصة تاريخ الأنبياء المسلمين يجب أن تبتعد عن إحياء النعرة العصبية والنعرة القبلية والشعوبية ، لأنها مدمرة « دعوها فإنها منتنة » .

هكذا وجهنا نبينا محمد ﷺ كما أن معيار المفاضلة عند الله عز وجل « هو التقوى » ، وليست العنصرية أو القبلية ، إن الله لا يفضل جنسا على جنس ، ولكن المفاضلة على أساس التقوى ﴿ يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم إن الله عليم خبير ﴾ (١) .

أما المفاضلة بين نبيين أخوين مسلمين على أساس العرق فهذا ما لم يشرع الله سبحانه وتعالى . بل هو مرفوض شرعا -

لقد تحدث الله سبحانه وتعالى عن إسحاق - عليه السلام - فنعته بأنه ﴿ نبيا من الصالحين ﴾(٢) ، وعن إسماعيل عليه السلام بأنه ﴿ كان صادق الوعد وكان رسولا نبيا ﴾(٣) .

وهذه شهادة من الله عز وجل وغيرها كثير مبسوط فى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ لهذين النبيين الكريمين حتى « ولو لم يتصل أى منهما بقرابة من دم ، أو صلة نسب بغير عشيرة أمه »(٤) .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن رحلة إبراهيم عليه السلام لم يرد نص شرعى أو خبر مأثور عن رسول الله ﷺ يشير إلى أنها كانت لربط ولده وبكره بعشيرته

---

(١) الحجرات ١٣ .

(٢) ﴿ وبشرناه بإسحاق نبيا من الصالحين ﴾ الصافات ١١٢) .

(٣) مريم : ٥٤ .

(٤) ثم نتساءل هل لدى الكاتب بيان بنسب إسحاق عليه السلام يؤكد زعمه ، والإجابة مؤكده أنه لا يملك دليلا إلا أن يكون من التوراة المحرفة ، فكيف يجزم إذن بأن إسحاق لم يتصل بعشيرة أمه .

من العرب ؟؟ وزَعْمُ المؤلف هذا فيما يتصل بالسبب يعتبر من باب التفسير المادى للتاريخ : فهجرة إبراهيم وزوجه وابنه لم تكن تهدف إلى إيجاد رباط قومى عشيرى ، إنما الحقيقة أن رحلة إسماعيل وإبراهيم كانت موجهة من الله عز وجل إلى مكة المكرمة وحرم الله الآمن ، لإقامة القواعد من بيت الله العتيق ، والأذان فى الناس بالحج ، وإمامة المسلمين إلى آخر ما بينا فى رسالتنا* هذه .

سؤال : ورد فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن الفقرة التالية –

(ولعل فى تفكير إبراهيم فى إسكان زوجته المصرية وابنه إسماعيل منها فى منطقة مكة المكرمة هربا من ضرتها العجوز سارة ، لم يكن على الأرجح بمحض الصدفة ، ذلك لأن الصدفة لم يكن لها محل فى تنظيم مثل هذه الخلافات العائلية عند رؤساء العشائر الأقدمين ، وإذا كان إبراهيم قد اختار هذه المنطقة فمما لا شك فيه أنه هو شخصيا كانت له صلات قرابة وصلات حلف وذمة مع سكانها وإلا لما اختار هذا المكان القفر البعيد مأوى لزوجته وابنه) .

ويعتمد الأستاذ الدكتور محمد مهران فى تفسيره هذا على كتاب « حسن ظاظا ، الصهيونية العالمية وإسرائيل » (١) فما رأيكم فى ضوء دراستكم ؟

الــرد : ولنا على ما أورده الكتاب ملاحظات

أولا كان بودنا أن يكون الاعتماد لهذه التفسيرات على القرآن الكريم ، وأقوال النبى محمد ﷺ ، نظرا لأنهما المصدرين الوحيدين الموثقين عن إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام ، كما أن الدكتور عنون كتابه بدراسات تاريخية من القرآن ، فكان من الواجب عليه الاعتماد على تفسير القرآن الكريم والسنة النبوية وحدهما ففيهما البيان الشافى الكافى ، بدلا من الاعتماد على التوراة .

ثانيا : لقد تبين لنا من دراستنا عن هذه المسألة اعتمادا على القرآن والسنة(٢) :

---

* أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ص ٣٦ ، ٢٥٥ ، ٢٥٦ .

(١) دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٢٢ .

(٢) جامع البيان ، جـ ١٤ ، ص ٢٢٩ – ٢٣٥ ، صحيح أبى عبد الله البخارى ، جـ ٤ ، ص ١٧٢ .

(أ) إن إبراهيم قد أسكن زوجته هاجر المسلمة وابنه إسماعيل المسلم بجوار الحرم بتوجيه من الله عز وجل . وإن إبراهيم قد ترك ابنه وزوجه عليهما السلام بجوار البيت و « لم يكن به إنس ولا شيء » . ومعهما جراب من تمر وجراب من ماء . أى أنه لم يكن هنالك سكان ولا صلات ولا حلف ولا ذمة لأن الجراهمة جاءوا إلى الوادى بعد تفجر زمزم بالماء بأمر الله عز وجل ، وطلبوا من هاجر السماح لهم بالنزول إلى جوارها فسمحت لهم على ألا يكون لهم حق فى الماء . وقد بينا ذلك بيانا شافيا ، فى بحثنا عن سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام .

(ب) إن الحديث عن الأنبياء وأزواجهم وأبنائهم يجب أن يكون بأسلوب يتناسب مع كمال النبوة .

(ج) إن إبراهيم عليه السلام لم يختر جوار البيت الحرام ليكون مأوى لزوجته وابنه ولكنه اختيار الله سبحانه وتعالى ﴿ وربك يخلق ما يشاء ويختار ﴾ .

(د) إن ذلك المكان « القفر البعيد » كما يصفه الكاتب الذى وجه الله إليه إبراهيم وزوجه وإسماعيل ، يجاور بيت الله العتيق الذى كان يبدو ساعة وصول إبراهيم عليه السلام وزوجه وابنه ، كالرابية تأتيه السيول فتأخذ عن يمينه وشماله .

وبهذا يتضح خطأ ما أورده الكتاب من أن إبراهيم قد اختار هذه المنطقة « مكة المكرمة لأنه كانت له صلات قرابة وصلات حلف وذمة مع سكانها ، وإلا لما اختار هذا المكان القفر البعيد مأوى لزوجته » وعلى الكاتب أن يحذف هذه الفقرة لأنها تعارض الخبر الصحيح الوارد فى السنة والقرآن الكريم .

سؤال : إن دراسات تاريخية من القرآن الكريم تحدثت -

عن موطن الخليل وعصره وهجراته وتستعرض ما كتبه المؤرخون اليهود والنصارى ، وما أوردته التوراة المحرفة ، ص ١٢٤ ، ١٢٦ ، ١٢٨ ، ١٣٤ ، ١٣٥ ، ٧. فما هو رأيكم فى ضوء دراستكم ؟

الــرد : بالرجوع إلى الكتاب نجد أن الكاتب قد ذكر :.

أن « إبراهيم عليه السلام قد ترك ميزوبوتاميا فى عصر الغزو الأمورى والعيلامى ، وأن الاضطرابات التى حدثت هى التى اضطرته إلى الرحيل من موطنه الأصلى » (١) .

« وهكذا ترجع هجرة إبراهيم الخليل إلى الأسباب السياسية والأقتصادية فى نفس الوقت » (٢) .

ويستند د. محمد مهران فى هذا على رأى الدكتور رشيد الناضورى فى كتابه « المدخل فى التطور التاريخى للفكر الدينى » ص ١٧٣ - ١٧٤ .

وإن كان الأستاذ الدكتور محمد مهران قد خلص فى النهاية إلى القول : « فالرأى عندى أن هجرة إبراهيم لم تكن لأسباب سياسية أو اقتصادية فى الدرجة الأولى ، وإنما كانت دينية » (٣) .

وسياق المعنى كما عرض الكاتب الموضوع يأبى إلا أن تكون الأسباب السياسية والاقتصادية وراء هجرة إبراهيم عليه السلام من بلاد العراق ، وإن كان الكاتب قد جعلها من الأسباب التى قد تكون فى المرتبة الثانية أو الثانوية ؟؟

وهذا تفسير مادى لأحداث التاريخ وترديد لما أورده الكاتب نفسه على لسان الكتاب غير المسلمين .

بالإضافة إلى ذلك أن كتاب التطور التاريخى للفكر الدينى ، يتبنى منهج مقارنة الأديان الذى بينا فساده سابقا فى رسالتنا الأولى .

وأخيرا فإن الأستاذ الدكتور يذكر « الكتب المقدسة مصادرنا الأصلية عن الخليل عليه السلام » (٤) . فلا أدرى هل التوراة والإنجيل والتلمود من بينها ؟؟ . وإذا كان ذلك محتملا لدى الكاتب ، فلنا أن نتساءل أليست هذه

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٢٤ .
(٢) نفس المرجع ، ص ١٢٨ .
(٣) نفس المرجع ، ص ١٢٨ .
(٤) المصدر السابق ، ص ١٢٦ .

دراسات تاريخية من القرآن حسب عنوان مؤلفه ؟ ألم يكن من الأولى أن يقتصر الكاتب على الأخذ عن القرآن وحده وخاصة فيما يتصل بأخبار النبى الكريم ؟ ثم كيف سمح الكاتب لنفسه أن يطلق لفظة مقدسة على كتب غير القرآن ؟؟

* * *

وفى موضع آخر قدم لنا الأستاذ محمد مهران أخبارا عن رحلة إبراهيم عليه السلام من العراق إلى أرض الشام اعتمادا على التوراة رغم أن الكتاب الذى ألفه يحمل عنوان « دراسات تاريخية من القرآن » وينعى فيه على الباحثين عدم اعتمادهم على القرآن ، واعتمادهم على التوراة رغم أنها غير موثقة السند[1] .

فقد أورد الكاتب بالنص[2] « وعلى أى حال ، فإن إبراهيم الخليل قد اختار - كما تشير التوراة - فى زيارتـه الأولى لأرض كنعان ، الطريق الشاق والموحش ، إذ كان متجولا فوق التلال نحو الجنوب .... وعندما أراد الخليل أن يستقر فى بادىء الأمر ، فضل ذلك أن يكون فوق هضبة ، ذلك لأنه - بأقواسه ومقاليعه - لم يكن فى حالة تمكنه من أن يخاطر بالصدام مع الكنعانيين ، الذين كانوا بسيوفهم وحرابهم - أكبر من ند له ، ولم يكن إبراهيم بعد مستعدا للمغامرة بعيدا عن الهضاب . وأيا ما كان الأمر ، فقد نزل إبراهيم عند شكيم فى مكان بلوطة موره ، بين جبل عيبال وجرزيم ، وهناك بنى مذبحا للرب ، وربما قد تحرش به الكنعانيون » .

« ويقيم الخليل ما شاء الله له أن يقيم فى أرض كنعان ثم يرحل عنها صوب أرض النيل الطيبة ، بسبب مجاعة حلت بأرض كنعان ، ومصر كانت دائما وأبدا ، للبدو الكنعانيين - وبخاصة فى أوقات القحط - ملاذهم ، وغالبا منقذهم الوحيد فحيثما كانت الأرض تجف فى أوطانهم ، كانت أرض الكنانة الطيبة تقدم له المأوى والمرعى ، وكان النيل بفيضانه المنتظم يتعهد بذلك » .

---

(١) المصدر السابق ، ص ٧ .

(٢) المصدر السابق ، ص ١٣٤ - ١٣٥ .

وبالإضافة إلى اعتماد الكاتب على التوراة ، فقد اعتمد على كتابي : الإنجيل كتاريخ W.keller, The Bible as History; unger's Bible Dictionary قاموس الإنجيل لاونجر .

ولنا على ما أورده الأستاذ الدكتور عدة ملاحظات :

أولا : هنالك أسباب شرعية تمنعنا عن الأخذ عن التوراة ، (انظر رسالتنا الأولى أخطاء يجب أن تصحح في التاريخ ، وأيضا كتابنا جزيرة العرب منذ أقدم العصور ، ص ٥٦ ، ٣٢ ، وأيضا تاريخ وحضارة مصر والعراق وبلاد الشام وتركيا وإيران ، ص ١٢ ، ١٩ الخ). لأنه لا يجوز للمسلم شرعا الاعتماد على التوراة المحرفة فيما يتصل بتاريخ الأنبياء ، والرسول محمد[1] ﷺ : قد نهانا عن ذلك (صحيح أبى عبدالله البخارى ، ج ٩ ، ص ١٣٦) .

ثانيا : إن الخبر الذى أورده الكاتب نقلا عن التوراة يغص بكلام يتعارض وعقيدة المسلم ، كما أنه ينتقص من قدر نبى كريم هو من أولى العزم :

" إن التوراة تذكر أن « الرب » الذى بنى له إبراهيم مذبحا هو يهوه ؟؟ .."

وهنا نتساءل هل بنى إبراهيم عليه السلام مذبحا لإله اليهود ؟؟ .. وهل كان إبراهيم يهوديا ؟؟ .. الحمد لله لقد بينا ذلك بيانا شافيا . إن إبراهيم كان مسلما موحدا وأقام وابنه إسماعيل عليهما السلام القواعد من بيت الله الحرام . أما كونه أقام مذبحا للإله يهوه فهذا ما لم يروه خبر صحيح .

ثم نتساءل من الرزاق ؟؟ الله ؟؟ أم الأمم ؟؟ .. من الذى ينقذ ؟؟ الله ؟؟ أم غيره ؟؟ .. من الذى يقدم المأوى والمرعى الله ؟؟ أم غيره ؟؟ .. ومن الذى ينزل الماء ؟؟ النيل ؟؟ أم الله ؟؟ .. إنه الله رب العالمين . ﴿ أفرأيتم الماء الذى تشربون ؟؟ أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون ؟؟ لو نشاء جعلناه أجاجا فلولا تشكرون ﴾ ﴿ وفى السماء رزقكم وما توعدون . فورب السماء والأرض إنه

(١) روى البخارى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : « كيف تسألون أهل الكتاب عن شيء وكتابكم الذى أنزل على رسول الله ﷺ أحدث تقرؤونه محضا لم يشب ، وقد حدثكم أن أهل الكتاب بدلوا كتاب الله وغيروه وكتبوا بأيديهم الكتاب وقالوا هو من عند الله ليشتروا به ثمنا قليلا ، ألا ينهاكم ما جاءكم من العلم عن مسألتهم ، لا والله ما رأينا منهم رجلا ليسألكم عن الذى أنزل إليكم » .

لحق مثل ما أنكم تنطقون ﴾

ثم هل كان إبراهيم جبانا ؟ « فهو لم يكن مستعدا للمغامرة كما زعم الكاتب » . لأنه لا يملك إلا الأقواس والمقاليع فى مواجهة السيوف والحراب . سبحان الله لو كان ما أوردته التوراة صحيحا ، هل نسى كتابها موقف إبراهيم بمفرده فى مواجهة قومه الذين يملكون كل مقومات القوة المادية وقد حطم أصنامهم وسفه أحلامهم ، من الذى نجاه من كيد القوم ؟؟ من الذى نجاه من النار ؟؟ من الذى نجاه إلى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين ؟؟ ..

إنه الله رب العالمين ﴿ أليس الله بكاف عبده ؟؟ ﴾ .

* * *

ثالثا : ما أهمية هذه المعلومة التى أوردتها التوراة وخاض فيها الكتاب غير المسلمين ؟؟ .. ما هو العمل الذى يترتب عليها ؟؟ .. وخاصة أن الله قد أغنانا بكتابه وسنة نبيه عن أن نتسول أخبار رسلنا وأنبيائنا على موائد اليهود والنصارى .

وفى موضع آخر يستمر الأستاذ الدكتور فى سرد أخبار إبراهيم فيقول : « وهكذا اعتزم إبراهيم الهجرة إلى مصر - كما يقول يوسف بن متى - ليصيب من خيراتها ، **ويسمع ما يقوله أحبارها فى أمر الله** ، **وفى نفسه إذا علم من كلامهم ما هو خير مما عنده أن يتقبله . أو يرى فى عقيدته خيراً مما عندهم فيدعوهم**[1] **إليها** » انتهى كلام الكاتب .

ولنا على هذا الزعم ملاحظة ، أن الكاتب هنا يجعل إبراهيم عليه السلام النبى المسلم الذى كان من الموقنين بسلامة دينه وعقيدته - كما هو واضح من أخباره المبسوطة فى كتاب الله - متشككا فى إسلامه وعقيدته[2] . (انظر العبارة المخطط تحتها) . وهذا افتراء على نبى الله ، ويتعارض مع الخبر الصحيح عن سلامة دين وعقيدة إبراهيم عليه السلام ﴿ إذ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين ﴾ .

* * *

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٣٥ .
(٢) دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٣٥ .

ويستمر « كتاب دراسات تاريخية » فى عرضه لأخبار إبراهيم عليه السلام ورحلته إلى مصر ، ويكفى أن نشير إلى ما يأتى . إن الكتاب وهو يعالج قصة محاولة الاعتداء على سارة زوج إبراهيم عليه السلام ردّد أخبارا غير صحيحة تعارض الأخبار الواردة فى صحيح البخارى عن رسول الله ﷺ ، وهذا أمر يجب أن يراجع الكاتب نفسه فيه ، وأن يصدر نشرة يرجع فيه عما كتبه فى هذا الشأن . لأنه بعرضه يكذب أخبارا واردة فى صحيح البخارى .

فالكاتب يقول ، ص ١٣٧ من كتابه « إن التاريخ ما حدثنا أن الفراعين كانوا يأخذون النساء من أهليهم غصْباً » .

وهذا الكلام يدحضه حديث محمد ﷺ الوارد فى صحيح البخارى ، جـ ٤ ، ص ١٧٠ ، جـ ٩ ، ص ٢٨ (انظر ، جزيرة العرب منذ أقدم العصور ، ص ٢٤٧) .

وإذا كانت سارة قد أخذت إلى جبار مصر ، فهل ذلك يعنى فى تصور الكاتب أنها قد ذهبت برجليها ؟ وهى العفيفة الطاهرة المسلمة التقية زوجة النبى المسلم ، إن المسلم يجب أن يغضب لله ، ولا يغضب لفرعونيته على حساب إسلامه .

والدكتور محمد مهران يصور رحلة إبراهيم وسارة إلى أرض مصر حينما كانت سارة عجوزا . وهذا يدحضه ويدفعه حديث رسول الله ﷺ الذى يقول فيه « .... إذ أتى على جبار من الجبابرة ، فقيل له إن ها هنا رجل معه امرأة من أحسن الناس » . فسارة كما أورد الحديث كانت امرأة من أحسن الناس » (١) .

والكاتب يقول أيضا . « على أن الأمر الذى يدعو إلى العجب حقا ، ادعاء الرواة أن إبراهيم قال عن سارة أنها أخته ، لأنه لا يوجد على ظهر الأرض غيرهما من المؤمنين ، والأعجب من ذلك أن تأتى الرواية من كبار المفسرين ، والقرآن الكريم لا يشير إلى ذلك ...... الخ ما أورده الكاتب ، ص ١٣٧ – ١٣٨ (انتهى كلام الكاتب) .

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ص ٢٥٣ .

والـرد : لا ندرى هل يقر الكاتب معنا أن الحديث والسنة النبوية هى المصدر الثانى لهذا الدين ، وأنها مكملة لأن النبى محمدا ﷺ ﴿ وما ينطق عن الهوى ، إن هو إلا وحى يوحى ، علمه شديد القوى ﴾ وإذا أقررنا الكاتب على ذلك ، فلماذا يدفع ويرفض أخبارا حقيقية وردت فى صحيح البخارى ، وحاول أن ينال من المؤرخين والمفسرين المسلمين لأنهم قالوا بها واعتمدوا عليها ؟؟ .. ونسى أن الأخبار التى أوردها البخارى فى هذا الشأن صحيحة مائة فى المائة . بإجماع أهل العلم وفيها أن إبراهيم عليه السلام قال عن سارة أنها أخته ، أى أخته فى الله . وبهذا قال المفسرون المسلمون ، فما رأى الكاتب الدكتور مهران ؟؟ إن إنكار أخبار صحيحة واردة فى السنة أمرٌ خطير .

ولقد كان ورود هذه الأسئلة إلينا دافعا لقراءة ما أورده كتاب « دراسات تاريخية من القرآن الكريم » وقد لاحظنا ما يأتى :

- وعن رحلة إبراهيم عليه السلام إلى بلاد الحجاز ، أورد الكتاب كلاما عجيبا ، بعضه نقلا عن كتاب العقاد « إبراهيم أبو الأنبياء » وكتاب « إسرائيل » للمؤلف (١) . عن هذا الكلام .
- « إن إبراهيم عليه السلام قد توجه إلى الحجاز لأنه لم يكن صاحب وطن عند بيت المقدس ، سواء أكان وطن السكن أو وطن الدعوة أو وطن المرعى » يقول الكاتب :
- « المتواتر من روايات التوراة » لا أدرى هل هناك روايات متواترة للتوراة ؟؟؟ « إنه لم يجد هناك مدفنا لزوجه فاشتراه من عفرون » .
- « أما الدعوة الدينية فقد كانت الرئاسة فيها لأحبار « ايل عليون » وكان إبراهيم يقدم العشر أيضاً لأولئك الأحبار » وهل كان إبراهيم يهوديا ؟ .... وهل يعقل أن إبراهيم الحنيف المسلم يقدم عشورا لأحبار اليهود ؟ ما هذا ؟؟ » .
- « هناك أسباب دينية غير الأسباب الدنيوية توحى إليه أن يجرب المسير إلى الجنوب ، حيث يستطيع أن يبنى لعبادة الله هيكلا » هل هذا يعقل ؟؟ .. ألم يكن توجه إبراهيم عليه السلام إلى الحجاز بتوجيه من الله عز وجل ؟؟ » .

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٣٩ - ١٤٠ ، تأليف أ. د. محمد بيومى مهران .

– إن الأهمية الدينية لبيت المقدس جاءت متأخرة بعد عصر إبراهيم وموسى بزمن طويل ، حتى استولى داود (١٠٠٠ – ٩٦٠ ق . م) على المدينة المقدسة فى العام الثامن من حكمه ثم اتخذها عاصمة له ثم جاء من بعده ولده سليمان (٩٦٠ – ٩٢٢ ق . م) فأقام فيها هيكله المشهور .

وهذا الكلام الذى زعم الكاتب لا أصل له فى المصادر الإسلامية الموثقة فالقرآن الكريم قد أكد لنا أن الله قد نجى إبراهيم : ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ وهى بيت المقدس ، أى أنها كانت مباركة قبل عهد إبراهيم وموسى عليهما السلام .

ولا ندرى عن أى هيكل يتحدث الكاتب ، هل الهيكل الذى تزعم التوراة أن سليمان النبى اليهودى ؟؟ قد بناه لإله اليهود يهوه ؟؟ وهو أسفل المسجد الأقصى ؟؟ وهذا ما لم يرد به قرآن أو سنة أو نص تاريخى صحيح فداود نبى مسلم وسليمان نبى مسلم (١) عليهما السلام ، ولم يقوما ببناء ليهوه ، وإنما قد جددا بناء المسجد الأقصى ، كما أنه من الثابت شرعا أن داود عليه السلام حينما دخل بيت المقدس ومكنه الله له لم يكن ملكا ، وإنما كان جنديا من جنود المسلمين ، فلما فتح الله على يديه ، مكن له وآتاه الملك والحكمة . ﴿ فهزموهم بإذن الله وقتل داود جالوت وآتاه الله الملك والحكمة وعلمه مما يشاء ﴾(٢) .

إن القول ببناء الهيكل على يد سليمان ، لا يخدم الآن إلا قضية اليهود الذين يريدون أن يهدموا المسجد الأقصى ويقيمون على أنقاضه هيكلهم المزعوم ، وساعتها سينهض من بين صفوف المسلمين من يقول دعوهم فإن كتب التاريخ قد علمتنا أن لهم هيكلا تحت المسجد الأقصى (٣) .

* * *

---

(١) ﴿ إنه من سليمان وإنه بسم الله الرحمن الرحيم ، ألا تعلوا على وأتونى مسلمين ﴾ .

(٢) البقرة ، ص ٢٥١ ؛ أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليه السلام وبيت المقدس دار الوفاء للطباعة .

(٣) ارجع إلى كتاب قصة الحضارة ، جـ ٢ ، المجلد الأول ، ط ٣ ، ص ٣٣٤ – ٣٣٥ .

شبهات أخرى وردت فى كتاب دراسات تاريخية من القرآن

الشبهة الأولى : (فإبراهيم الذى خرج من العراق فارا من أهله إلى فلسطين) [1] .

الـــرد : وهنا نتساءل من الذى ألقى فى النار ؟؟ .. أليس هو إبراهيم عليه السلام أم غيره ؟؟ .. ومن الذى نجاه إلى أرض الإسراء ؟؟ الله ؟؟ أم أنه الفرار ؟؟ .. كثير أن يتحدث عن نبى من أولى العزم بهذه الطريقة . فالله يقول ﴿ ونجيناه ولوطا إلى الأرض التى باركنا فيها للعالمين ﴾ . أى أنه لم يكن فرارا .

الشبهة الثانية : (بل إن التراث الدينى اليهودى ليزخر بأدلة لا تقبل الشك ، على أن اليهود الذين رافقوا موسى إلى سيناء ، لم يكونوا كفؤا لعبء حمل التوحيد وفلسفته التجريدية [2] .... الخ) . ولم يجدوا فيما تقدمه الديانة الجديدة ما يشبع حاجتهم إلى الاعتبارات المادية .

الـــرد : إن اليهودية كفر ، وموسى لم يكن يهوديا ولكن كان حنيفا مسلما . والذين آمنوا معه كانوا مسلمين ﴿ وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين ﴾ [3] .

وقد لقى السحرة الذين أسلموا مع موسى ربهم شهداء بعد أن أسلموا بين يدى الفرعون ﴿ آمنا برب العالمين ، رب موسى وهارون ﴾ [4] .

ولا ندرى ماذا يقصد الكاتب بالفلسفة التجريدية للتوحيد ؟؟ .. الإسلام ليس فيه فلسفة ، لأن الاشتغال بالفلسفة اليونانية يناهض عقيدة المسلم وقد حرمها علماء السلف [5] .

---

(١) دراسات تاريخية من القرآن ، ص ١٤١ .

(٢) نفس المرجع ، ص ١٤٢ .

(٣) يونس : ٨٩ .

(٤) الأعراف : ١٢١ – ١٢٢ ، تفسير القرآن العظيم ، ج ٢ ، ص ٢٣٧ .

(٥) الفتاوي الكبرى ، ج ٤ ، ص ٢٧ . منهج الاعتدال للذهبى ، شرح العقيدة الطحاوية للإمام أبى العز الحنفى ، تهافت الفلاسفة لأبى حامد الغزالى ، تلبيس إبليس لابن الجوزى ، ص ٤٥ .

وإذا كان من الثابت شرعا أن أتباع موسى كانوا – مسلمين – فهل يمكن القول بأن الإسلام لم يشبع حاجتهم إلى الاعتبارات المادية ؟؟ .. نأمل أن يراجع الكاتب ما كتب ويقوم بحذف هذه العبارات طاعة لله ورسوله لأنها تتعارض والاعتقاد الصحيح .

* * *

الشبهة الثالثة : يتحدث الكتاب عن بنى إسرائيل فيقول لدرجة أنهم ما كانوا يستطيعون الإيمان بدعوة موسى ، إما خوفا من فرعون ، وإما خوفا من شيوخ بنى إسرائيل ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم ﴿ فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم أن يفتنهم ﴾ ، باعتبار الضمير فى « وملئهم » راجعا إلى قوم موسى .

الــرد : والآية إنما تؤكد أن هناك أشخاصا « قوما » آمنوا بدعوة موسى عليه السلام كما يقول ابن كثير ، لأنه أراد بالذرية الأحداث والشباب وأنهم من بنى إسرائيل فالمعروف أن بنى إسرائيل كلهم آمنوا بموسى عليه السلام [١] . وذلك عكس ما ذهب إليه الكاتب من تفسير آية من كتاب الله عز وجل ، على غير مراد الشارع الحكيم ، والأصل الرجوع إلى كتب التفسير ، أم أن المفسرين مشكوك فى كلامهم ؟ كما أشار الكاتب إلى ذلك صراحة فى كتابه ص ١٣٧ – ١٣٨) .

الشبهة الرابعة : وهكذا بقى بنو إسرائيل – كالعرب تماما – يعبدون الأصنام إلى ما بعد إبراهيم بمئات السنين ، ومن هنا فإن عبادة الأوثان لا تدل على انتماء العرب أو اليهود إلى إبراهيم [٢] .

الــرد : إن الذين يعبدون الأوثان لا ينتمون بيقين ، من قريب أو من بعيد إلى إبراهيم عليه السلام ، سواء كانوا يهودا أو عربا ، فالوشيجة التى

---

(١) تفسير القرآن العظيم ، جـ ٢ ، ص ٤٢٨ .

(٢) دراسات تاريخية من القرآن الكريم ، ص ١٤٤ .

بينهم وبينه قد انقطعت بمجرد مروقهم عن دين الله عز وجل وهو الإسلام ﴿ إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه ، وهذا النبى والذين آمنوا ﴾ .

الشبهة الخامسة : ولا ندرى ما السبب الذى دفع الأستاذ الدكتور محمد إلى إفراد فصل تحت عنوان « قصة الذبيح والتضحية البشرية » (*) .

« وبعد أن يبين أن التضحية البشرية كانت عادة لدى شعوب الشرق الأدنى القديم ، يعلق قائلا « وهنا - فيما يبدو لى - تظهر أهمية قصة الذبيح عليه السلام ، فى التاريخ الإنسانى ، إذ كتبت عليه ضريبة الفداء ، وهى فى مفترق الطرق بين الهمجية التى كانت لا تتورع عن الذبائح البشرية ، وبين الإنسانية المهذبة التى لا تأبى الفداء بالحياة ، ولكنها تتورع عن ذبح الإنسان ، ولما كان الأنبياء هم الأسوة الحسنة التى يحتذى حذوها كافة الناس وخاصتهم ، فإن الله جلت قدرته أراد أن يجعل من خليله قدوة حسنة ومثلا أعلى ، لأرفع صور الإيمان وأجلها فى تاريخ الإنسانية . وفى الوقت ذاته ، فإنه - جل وعلا - قد أعطى الإنسانية نفسها ، مثلا حيا فى إبراهيم وابنه إسماعيل ، تمهيدا لمنع هذه العادة البربرية ، فيأمره بذبح ولده ، ثم يفتديه ، بكبش عظيم ، ومن هنا كان ارتباط هذا الحادث ارتباطا وثيقا بظاهرة التضحية البشرية التى كانت تمارس فى بعض مجتمعات الشرق الأدنى القديم ، والحث على استبدال ذلك التقليد بالتضحية الحيوانية » .

ومن عجب أن ذرية إبراهيم من إسحاق ، لم يكونوا على مستوى الدعوة ، فبقيت فيهم عادة التضحية البشرية إلى ما بعد أيام موسى » .

الــرد : ما هو وجه المقارنة والصلة بين الهمجية التى كانت لا تتورع عن الذبائح البشرية ، وبين ابتلاء الله سبحانه وتعالى لإبراهيم عليه السلام بذبح ولده وفلذة كبده ؟؟

وهل لو فرض وذبح إبراهيم عليه السلام ابنه امتثالا لأمر ربه واستسلاما ، فهل هذا يعتبر همجية أو ضريبة فداء ؟؟ .

وهل نحن أعلم أم الله وهل حينما أمر الله سبحانه وتعالى إبراهيم عليه السلام

(*) دراسات تاريخية فى القرآن ، ص ١٧٧ ، ١٧٨ ، ١٧٩ .

بذبح ابنه ، كان أدنى - وحاشا لله أن يكون كذلك - أدنى وأقل مرتبة من الإنسانية المهذبة التى تتورع عن ذبح الإنسان ؟؟؟

وهل كان الله سبحانه وتعالى بضرب هذا المثل يعلم البشرية ألا تبخل بشىء عن الله عز وجل ، وأن لا تستبقى شيئا عن الله حتى لو كانت النفس أو الولد أو المال ؟ أم أن قصد الشارع العظيم منع هذه العادة البربرية كما يزعم كتاب دراسات تاريخية ؟؟ وهنا نرى - وبالله التوفيق - :

أولا : ما كان للكاتب أن يعقد هذه المقارنة مطلقا ، لأنها تخالف الشرع ، فلا وجه للمقارنة بين أمر الشارع الحكيم لإبراهيم بذبح ابنه ، وبين الإنسانية الهمجية التى لا تتورع عن الذبائح البشرية .

ثانيا : ﴿ إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون فى سبيل الله فيقتلون ويقتلون وعدا عليه حقا فى التوراة والإنجيل والقرآن ، ومن أوفى بعده من الله ﴾ ومن هنا فالمؤمن قد باع نفسه وماله لله وأمضى العقد مع الله ، فحينما يندبه الله عز وجل أن يجاهد فى سبيله أو يقاتل فليس عليه إلا أن يطيع .

والإسلام يعنى الاستسلام لله عز وجل ، فى جميع جنبات الحياة ، فحينما يطلب الله عز وجل من إنسان أن يفعل شيئا لا يملك أن يتردد . وإبراهيم عليه السلام ﴿ قال له ربه أسلم ، قال أسلمت لرب العالمين ﴾ . لقد أسلم حقيقة ، ولكنه كان لابد وأن يبرهن على صدق إسلامه فكان الاختبار فى أعز شيء لديه كما بينا[1] .

ثالثا : إن ما وقع من استسلام إبراهيم وابنه لأمر الله يؤكد أن الهدف الربانى قد تحقق ﴿ فلما أسلما وتله للجبين ﴾ . أى أنه لم يبق إلا إراقة الدم ، والله غنى عن إراقة دماء عباده ، والدم يسد مسده أى دم حتى ولو كان دم كبش .

رابعا : إن الشارع الحكيم بهذا المثل وبهذا الإسلام يعلمنا كيفية الاستسلام لله عز وجل ، ويريد أن يبتلى نبيه ليرفع درجته .

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ص ٦٩ .

خامسا : إن الله قد حرم قتل النفس البشرية فقال ﴿ ومن قتل نفسا بغير نفس أو فساد فى الأرض فكأنما قتل الناس جميعا ﴾ .

كما أن أحد أبناء آدم عليه كفل من كل نفس بشرية تقتل لأنه كان أول من سن القتل كما ورد بذلك الحديث الصحيح [(١)] .

سؤال : ورد فى دائرة معارف القرن العشرين ، تأليف محمد فريد وجدى « العبارات التالية » عن إبراهيم عليه السلام فما رأيكم فى ضوء دراستكم ؟؟ .

« هذا ما نقلناه عن الكتب القديمة ، ويظهر لنا أن فى مثل هذه الروايات ضعفا بل إن أكثر أمثال هذه الروايات مخلوطة بالخرافات ، فلا يعقل أن نبيا جليلا من أولى العزم كإبراهيم يلقى بامرأته وابنه فى واد قاحل لا زرع فيه ولا ماء ، ويلوح لنا أن إبراهيم لم يطوح بامرأته وولده إلى هذا الحد بل انتقل بامرأته الثانية إلى جهات مكة لغرض من الأغراض بدليل أنه كان زار بلاد العرب مراراً »[(٢)] .

الرد : إن الخبر الصحيح الوارد فى صحيح البخارى[(٣)] عن رسول الله ﷺ الذى ما ينطق عن الهوى ، يؤكد أن إبراهيم عليه السلام قد أمر من الله سبحانه وتعالى أن ينزل زوجه هاجر وطفله إسماعيل بذلك الوادى القاحل « ثم جاء بها إبراهيم وبابنها إسماعيل ، وهى ترضعه ، حتى وضعهما عند البيت عند دوحة فوق زمزم فى أعلى المسجد ، وليس بمكة يومئذ أحد ، وليس بها ماء ، فوضعهما هنالك ، ووضع عندهما جرابا فيه تمر ، وسقاء فيه ماء »[(٣)] . فهل بعد ذلك يمكن لأحد أن يزعم أن هذه الرواية مخلوطة بالخرافات ؟؟ .. وأنها ضعيفة ؟

أرى أن يراجع الكاتب نفسه وكتابه لأنه يشكك فى السنة ، والتشكيك في السنة يعتبر تشكيكا فى الدين الإسلامى ، والذى يشكك فى الدين الإسلامى

---

(١) البداية والنهاية ، جـ ٢ ، ص ٤١ - ٤٦ .

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ، المجلد الأول ، ص ٣٤٣ ، وص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

(٣) صحيح البخارى ، جـ ٤ ، ص ١٧٢ - ١٧٥ ، جزيرة العرب منذ أقدم العصور ، جـ ١ ، ص ٢٤٩ ؛ أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، ص ٣٦ ومابعدها .

يجب أن يراجع نفسه ويصحح عقيدته . إن المسئول عن طبع دائرة معارف القرن العشرين يجب عليه أن يحذف هذه الفقرة أو يصححها طبقا للحديث النبوى الشريف .

* * *

المبحث الثامن

١ - حضارة مصر والشرق القديم تأليف د . إبراهيم رزقانه ، د . محمد أنور شكرى ، د . عبد المنعم أبو بكر ، د . حسنى أحمد محمود ، د . عبد النعيم محمد حسنين ، القاهرة

تحدث فصل من الكتاب عن حياة اليهود فزعم أن داود (عليه السلام) : « قد وضع أساس معبد الإله اليهودى فى عاصمته وبذلك أصبحت اليهودية دين الدولة الرسمى » (ص ٣٦١) .

وتحدث الكاتب عن القدس على أساس أنها عاصمة اليهود ، وأنها كانت مقر البلاط الملكى لسليمان الذى كان « يحيا فى بلاطه عيشة ملك شرقى مقبل على اللذات غارق فيها » (ص ٣٦٣)

وزعم الكاتب أن سليمان قد بنى هيكلا ليهوه فى مدينة القدس[١] (ص ٣٦٢) .

كما زعم الكاتب أن أخبار سليمان هى أسطورة وخرافة ، فقال بالنص :

لهذا لا تعجب إذا كانت الأسطورة والخرافة قد تناقلت سيرة سليمان عبر الأجيال كملك جمع بين القوة والحكم والعظمة وسيطر على الجن ، وكان بلاطه وشهرته ، سببا فى أن جذب إليه ملكة عربية معاصرة هى بلقيس ملكة سبأ (ص ٣٦٣) .

وذلك يعنى فى زعم الكاتب ، أن بلقيس لم تأت إلى سليمان لتعلن إسلامها لله رب العالمين ؛ وفى هذا تجاهل لقضية الدعوة وحقيقة العلاقة بين سليمان وبين ملكة سبأ التى كان محورها الإسلام .

---

(١) انظر التصحيح (أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، ذرية إبراهيم عليهم السلام وبيت المقدس .

واستمر الكاتب فى تجنيه على نبى الله سليمان فزعم أنه كان مترفا ، وكان يوالى أعداء الله من الكافرين لضمان استمرار ملكه ، وأنه كان يسخر شعبه ويفرض عليهم الضرائب الباهظة .. إلى غير ذلك من الافتراءات التى تقرؤها نصا فى الكتاب :

« رغم هذه الصورة البهيجة ورغم هذا الترف وهذا البذخ إلا أن آخر العهد بسليمان شهد اضمحلال هذا الملك الشامخ الذى وضع أساسه شاءول وأتمَّه داود فقد أغرق سليمان فى سياسة المسالمة وتهافت على الحياة المترفة الناعمة فلم ينتبه للأفكار التى كانت تزعزع أركان ملكه .. وأصبحت مصر تهدد ملك سليمان إذ أخذ الفرعون ينشر نفوذه فيها واستولى على قلعة جزر الكنعانية وبات يهدد دولة سليمان الذى لم يجد مفرا من أن يصاهر ملك مصر ليفوز برضاه وليأمن على نفسه وعلى ملكه . وقد سخط العبرانيون على ملكهم بسبب تسخيره العمال فى مشروعاته البنائية . هذا إلى أن الإنفاق على الهيكل والقصر يتطلب فرض ضرائب باهظة أثقلت على الناس وأدت آخر الأمر إلى انقسام الملك » (ص ٣٦٣) .

« إن سليمان كانت حاجته إلى المال أكثر ورغبته فى جمعه أشد ، لذلك كان أول من فرض الضرائب من ملوك العبرانيين ، وفرض على كل قسم من أقسام البلاد الاثنى عشر أن يتكفل بنفقات البلاط شهرا . وقد فرضت ضريبة على المراعى وضريبة أخرى لسد نفقات الملك »[١] (ص ٣٦٦) .

٢ - خلافة بنى أمية ، تأليف الدكتور نبيه عاقل :

يلاحظ القارىء لكتاب الدكتور نبيه عاقل ، « خلافة بنى أمية » ، أن المؤلف قد جانب الصواب فى كلامه عن تاريخنا الإسلامى ، وقد ملأ الكتاب بالأخطاء التاريخية ، بل نستطيع القول أنه استعمل الدس الصريح والطعن المباشر للرسول ﷺ وللصحابة رضوان الله عليهم مما يقوى احتمال وجود هذا الاتجاه عند الدكتور ، وليس هو فقط خطأ وقع فيه[٢] .

---

(١) وهكذا نرى أبناء المسلمين يرددون هذا التاريخ الإسلامى المشوه الذى كتبه المستشرقون .

(٢) المجتمع الكويتيه .

ونستطيع حصر الأخطاء ومواطن الطعن فى الكتاب فى الأمور التالية :

١ - اعتماد المؤلف على التفسير الشيوعى الماركسى فى تفسير أحداث التاريخ الإسلامى .

٢ - الطعن بالرسول ﷺ وبالمنهج الذى جاء به .

٣ - الطعن بآل بيت الرسول ﷺ ، وتشويه صورتهم ومواقفهم .

٤ - تشويه التاريخ الإسلامى ، واختيار الفترات المظلمة لتدريسها .

٥ - اعتماد المؤلف على مراجع سيئة مغرضة بعيدة كل البعد عن النزاهة العلمية .

وسنتناول كل فقرة من هذه الفقرات بالشرح والنقل من كتابه .

١ - السمة البارزة للكتاب .... هى كونه محاولة يائسة لتفسير تاريخنا الإسلامى بالتفسير الشيوعى الماركسى ... فالتاريخ الإسلامى عند المؤلف هو تاريخ الصراع بين الطبقات ، طبقة الأغنياء وطبقة الفقراء .... والصحابة رضوان الله عليهم هم فئتان ، فئة الأغنياء الموسرين والذين بيدهم المال والسلطة والجاه ، وفئة الفقراء والضعفاء والذين ليس بيدهم شيء .... وهذا كله يؤكد صحة الأنباء القائلة بأن الدكتور من عتاة الشيوعيين فى بلده .... يقول المؤلف :

(إن الارستقراطية القرشية القديمة ممثلة ببعض رجالاتها الكبار الذين كان لهم باع طويل فى ميدان التجارة المالى للدولة الجديدة من الحجاز إلى الأمصار ليعاودوا نشاطهم الاقتصادى القديم ، وليثروا ثراء وصل إلى حد الفحش .... الأمر الذى أدى إلى قيام فوارق طبقية ضخمة فتحت عيون المحرومين ، وجعلتهم يجأرون بالشكوى ....) (ص ١٠) .

ويقدم على كلامه هذا مثالين من الصحابة رضوان الله عليهم ، هما الزبير ابن العوام ، وطلحة بن عبيد الله ، وينقل عن بعض المصادر كلاما عن حجم أموالهم ومقدارها ثم يقول : (ورغم ما قد يكون فى هذه الأرقام من مبالغات وبعد عن الدقة ، فإنّها تظهر تكدس ثروات طائلة فى يد هذه الفئة من القرشيين الذين كانوا موضع ريبة قديمة بالنسبة إلى رجالات القبائل ..... يضاف إلى هذا ما قام به عثمان من توزيع الأراضى والأموال على أهل بيته وأقربائه ، الأمر الذى زاد فى عدد الأصوات الثائرة ، وأضاف إلى النقمة والشعور بالفوارق الطبقية عوامل جديدة تبررها) .. (ص ١٢) .

ويقول : (وأخذت جماعات منهم تشترك فى التحريض على عثمان الذى ساعدت سياسته المالية على إقامة فوارق طبقية في مجتمع كانت الدعوة إلى المساواة أساسا متينا من أسسه) ، (ص ١٢) .

ويتكلم عن موقف الزبير بن العوام وطلحة من بيعة علي ، وتغير موقفهما منه ، ويرجع ذلك لسبب سبق ذكره وهو تكديسهما للمال ، ويقول : (وكنا قد ضربنا مثلا بما حصل عليه كل من طلحة والزبير من أموال ومتاع وعقار وعبيد جعلتهما من كبار رجال رأس المال الذين يهمهم جدا أن تكون أمور الدولة بيد رجل يقبل أن تسير الأمور على هواهما ووفق مصالحهما . وعلى رجل جد واستقامة ودين ، ويعرفان سلفا أنه قد يقف حجر عثرة فى طريق مصالحهما المادية) . (ص ٢٣) .

ويقول : (إن طلحة والزبير ، كما أسلفنا فى فترة سابقة ، كانا من رجال الارستقراطية القرشية الذين استفادوا من عصر الفتوح فائدة ضخمة ، وكدسوا أموالا وثروات طائلة ساهم حكم عثمان المتسامح فى تسهيل الحصول عليها ، وإتاحة الفرص الواسعة لرجال رأس المال والأعمال لاستغلال نفوذهم السياسى ومواهبهم التجارية فى سبيل إثراء اعتبره رجال القبائل غير مشروع لاسيما بعد أن توقفت الفتوحات ....) . (ص ٢٧) .

ويقول : (والموالى أصحاب البلاد من قبل ثاروا لأنهم أصبحوا الطبقة الدنيا فى المجتمع ، يعملون فى الأرض ويكدحون لغيرهم من أبناء الطبقة العليا ، ولا يحصلون إلا على المعاملة السيئة والاحتقار .....) . (ص ٥٣) .

ويقول : (وفى العراق اتخذت النقمة الاقتصادية شكلا دينيا) . (ص ٥٣) .

فإذن التاريخ الإسلامى عند المؤلف هو تاريخ صراع بين الطبقات .... والصحابة رضوان الله عليهم لم يجاهدوا فى سبيل الله ، وينفقوا من أجل مرضاته ... وإنما كان ذلك صراع من أجل المادة .... وصراع بين الطبقات الفقيرة الكادحة ، والطبقات الغنية الرأسمالية .... وأى تجن وافتراء على سلفنا الصالح أكثر من ذلك .... وأى تشويه أكبر من هذا التشويه .... والذى يؤكد هذا الاتجاه عند المؤلف هو اعتماده بشكل كبير على كتاب اسمه « تاريخ الخلفاء »

وهذا الكتاب مؤلفه مجهول بإقرار الدكتور نفسه ، عدا عن أنه مطبوع فى موسكو عام ١٩٦٧ م ، وأشرف على طبعه وكتب مقدمته رجل اسمه « بطرس غرياز نيويج » فأى كلام يرجى من كتاب مؤلفه مجهول .... ومطبوع فى موسكو عام ١٩٦٧ !! ..

٢ - والسمة الثانية لهذا الكتاب .... هو الطعن الواضح بالرسول ﷺ وبالمنهج الذى جاء به .... فهو يصف الرسول ﷺ بالفشل ويقول :

(وهكذا يمكننا أن نقول إن ما سعى إليه الرسول الكريم من تكوين جماعة واحدة تجمع شتات العرب على اختلاف عصبياتهم قد فشل ...) (ص ١٥٩) .

فأى كلام أقبح من هذا الكلام .... وهل قال مثل هذا حتى المستشرقون وأعداء الإسلام .. ؟

ولا يكتفى بهذا ، بل ويطعن بالمنهج الذى جاء به رسول الله ﷺ ، ويقول : (والحقيقة التى لابد من الإشارة إليها فى مجال الحديث عن الجانب الاقتصادى من الأزمة التى أطلت برأسها زمن عثمان وحركت القبائل للعمل ضد الخليفة ونظام حكمه هى أن عثمان برأ من هذا النظام ، وأن الذى بدأه هو عمر بن الخطاب ، الذى انتزع الفيء من الجيش وجعله للدولة ، ولم يكن فى عمل عمر بن الخطاب هذا بدعة أو مخالفة للأحكام التى وردت فى القرآن الكريم والتى كانت تقضى بتوزيع الفيء على النحو التالى ﴿ ما أفاء الله على رسوله من أهل القرى فلله وللرسول ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل كى لا يكون دولة بين الأغنياء منكم ..... ﴾ .. فكان عمر فى ذلك إذن يقتفى خط الرسول الذى جعل لبيت المال ما يقع فى يد المسلمين من غير حرب) ، (ص ١٤) .

٣ - ولقد حظى آل بيت رسول الله ﷺ الذين وصفهم الله بالطهارة فى كتابه الكريم بالأوصاف البذيئة والتهم الرخيصة . فالإمام زين العابدين على بن الحسين بن على بن أبى طالب رضى الله عنه وهو الإمام الذى أطبقت الدنيا على تزكيته والثناء عليه ، وهو إمام عند أهل السنة مقدم .. يقول مؤلف الكتاب عن هذا الإمام (وتوجهت جموع الأمويين الذين كانوا محاصرين نحو الشام ،

ويقال : إن علياً ابن صريع كربلاء ، كان من الذين اعتزلوا الفتنة ولما رآها تشتد خرج إلى الطائف وأخذ معه حرم مروان بن الحكم بسبب صداقة قديمة كانت تربط الاثنين) ، (ص ١١٠) . ولم يفصح المؤلف عن هذه الصداقة التى تربط بين رجل وامرأة غريبين عن بعضهما .... وهل يليق مثل هذا الكلام بمثل هذا الإمام الجليل ....

ويطعن فى بنى هاشم ، وذلك بربطه بينهم وبين الداعية اليهودى للفتنة عبد الله بن سبأ فيقول : (وقد وجد بنو هاشم لهم داعية جريئا فى شخص عبد الله بن سبأ الملقب بابن السوداء ....) (ص ٦) .

ويتكلم عن الحسن بن على رضى الله عنهما ، سبط الرسول ﷺ وعن تنازله عن الخلافة لمعاوية ويقول : (وصدف فى هذه الفترة أن تعرض الحسن لطعنة من بعض خصومه كادت تودى بحياته ، فازداد بغضه لأنصاره من العراقيين ، وعدم ثقته بهم وكاتب معاوية فى الشروط التى يشترطها للتنازل عن العرش ، ومن بينها مبلغ كبير من المال ....) (ص ٥٠) .

ويورد رواية أخرى تقول : (إن الحسن اشترط أن يأخذ ما فى بيت مال الكونة من أموال تبلغ خمسة آلاف ألف درهم ، وأن يمتنع الشوام عن لعن على ، فقبل معاوية وتنازل الحسن) . (ص ٥١) .

فأى سواد أشد من هذا ... ؟ وأى فحش أشنع من هذا ؟؟ ..

ولم يسلم ترجمان القرآن عبد الله بن عباس من تشويشه فيقول : (على أن الملاحظة التى لابد منها فى هذا المقام ، هى أن الجزء المتعلق بلحاق عبد الله بن عباس بمعاوية وتركه جانب الحسن ، وقبضه الأموال من معاوية كما يرويه الزهرى أمر يسيء إلى العباسيين ، ويظهر جدهم بمظهر لا يشرف الأسرة العباسية عدوة الأمويين ....) ويورد أقوال بعض المؤرخين أن الذى فعل ذلك هو عبيد الله بن عباس أخوه ، ويقول : (وقد سهل هذا التزوير للحقيقة التشابه فى الاسم بين الأخين عبدالله ، وعبيد الله) (ص ٥٢) .

ويتهم الكاتب المؤرخين فى العصر العباسى بأنهم وراء محاولة محو « العار »!! .. الذى لحق بعبد الله بن عباس ... (ص ٥٢) .

ويصف بنى هاشم بالرجوع إلى روح الجاهلية فى خلافهم مع بنى أمية وإلى انتكاء جراحاتهم القديمة فيقول : (ويرجع عداء بنى هاشم لعثمان ، للخلاف فى الجاهلية بين بنى أمية وبنى هاشم ، الذين كانوا أقل منزلة من سابقيهم وعندما نزلت فيهم الرسالة شعروا بالفخر عليهم ....) ، (ولما جاء عثمان الآن ليعيد التسلط الأموى القديم ويسلم أهله وجماعته ، لا لكفاءة أو فضل ، مقاليد الأمور من جديد ، ثارت ثائرة بنى هاشم وانتكأت جراحاتهم القديمة) ، (ص ٦) .

٤ – ولقد نال صحابة رسول الله ﷺ القسط الأكبر من هذا السباب والشتم ، ولا يكاد يسلم صحابى من ذلك ، وقد جاء القدر الأكبر من هذا السباب على عثمان بن عفان الخليفة الراشد رضى الله عنه ، فهو يقول عنه : (فقد عتب المدنيون على عثمان مثلا بذخه وترفه وأكله لين الطعام وشده أسنانه بالذهب ، وقارنوا كل ذلك بما كان يفعل عمر) . (ص ٧) .

ويقول عنه أيضا : (ولم يقتصر الأمر على بذخ عثمان وترفه وقلة حرصه على أموال بيت المال ، بل تعداه إلى تسلط أهله وأقربائه على شئون المسلمين وتوزيعه الأعمال والإمارات بين أهل بيته وأنسبائه مما أثار الخواطر ، وزاد فى حدة النقد ....) (ص ٧) .

ويتهمه بأنه وزع الأراضى والأموال على أهل بيته وأقربائه ... (ص ١٢) .

ولا يتردد فى الافتراء على كبار الصحابة من المهاجرين والأنصار الذين اجتمعوا على بيعة عثمان والولاء له فيقول :

(وهكذا اجتمع على بغض عثمان والكيد له أهل الأمصار ووجوه أهل المدينة وكبار صحابة رسول الله من أنصار ومهاجرين ... وكان على بن أبى طالب وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام على رأس الناقمين على عثمان ، ولكنهم لم يشاؤوا أن يسفروا فى عدائهم للخليفة أو أن يكتلوا أهل المدينة فى ثورة ضده ، بل أرادوا أن تنبع الثورة من الأمصار التى كانت مركز الثقل الحربى والمادى للدولة) (ص ١٤) .

ونراه يثنى على الثورة على عثمان والكيد له والظهور عليه ، وينفى ما يكاد يجمع عليه المؤرخون من أن الثائرين على عثمان إنما هم من الغوغاء والعبيد والأعراب ، ويقول : (وهذا الوصف للثائرين على جانب كونه وصفا غير صحيح ، لأنه كان من بين الثائرين على عثمان أشراف وسادة وأبناء صحابة ورجال فضل ودين ، هذا فضلا عن عامة رجال القبائل فى الأمصار وبعض أهل المدينة ، فإنه يمثل فى رأينا تشويها مقصودا لطبيعة الثورة والقائمين بها ، ومحاولة لصبغها بصباغ اللا شرعية) (ص ٢٧) .

وأما سعد بن أبى وقاص وسعيد بن العاص وهما من أفاضل الصحابة ومقدميهم ، فهم عند المؤلف لا يزنون شيئا ، ولا يملكون من المؤهلات للولاية سوى قرابتهم من عثمان ، ويقول : (هذا فضلا عن سعد بن أبي وقاص والوليد ابن عتبة وسعيد بن العاص ، وكلهم من أقربائه وقد ولاهم الكوفة على التوالى ، وكان معظم هؤلاء لا يملكون من مؤهلات الولاية سوى قرابتهم للخليفة) ، (ص ٥) .

وطلحة بن عبيد الله ، فيصفهما بأنهما من الارستقراطيين القرشيين الذين استغلوا فرصة الفتوح ليثروا ثراء فاحشا على حساب الطبقات الكادحة من المسلمين ، (ص ١٠) .

ويتهمهما بأنهما كانا موضع ريبة وذلك لتكديسهما الثروات الطائلة ، (ص ١٢) .

ويتهمهما ببغض عثمان والكيد له والظهور عليه ، (ص ١٤) .

ويفسر ظهورهما على علىٍّ بن أبى طالب بأن سبب ذلك هو مصالحهما المادية ، فهم يريدون أن يتولى شخص يسير الأمور وفق « هواهما ومصالحهما » ، (ص ٢٣) ويكرر ذلك فى (ص ٢٧) .

ويتهم عبد الله بن الزبير بأنه هو المحرض للحسين بن على بالخروج من الحجاز ، ويقول : (وفى هذا الوصف اتهام واضح لابن الزبير فى سلامة نواياه تجاه الحسين من جهة وفى مطامعه بالخلافة من جهة أخرى ، إذ إن الحسين منافس خطير لابن الزبير ، وفى الخلاص منه خلاص من أقوى مرشح لمنصب الخلافة) (ص ١٠٣)

ويتهم معاوية بن أبي سفيان بأنه اشترى الذمم من أجل محاربة أعدائه ويقول : (ولم يكن المال وشراء الذمم الوسيلة الوحيدة التي اتبعها معاوية في سبيل استقطاب الأنصار في العراق ، فقد كان هناك فريق دفعه الخوف من بطش الخليفة إلى بيعته) (ص ٦٦) .

كما يتهم معاوية بأنه تعاون مع ابن أثال النصراني لقتل عبد الرحمن بن خالد ابن الوليد لأنه اشتهر بقتال الروم ، وخشي من شهرته ومنافسته له .... وكافأ ابن أثال على تآمره معه ، بأن ولاه خراج حمص) (ص ٨٥) .

٥ - والأمر الآخر الذي يؤخذ على الكتاب أنه محاولة يائسة لتشويه التاريخ الإسلامي وإظهاره بصورة قاتمة أمام الأجيال الناشئة ... فالكتاب بجملته يورد تفسيرا جديدا للتاريخ الإسلامي يعتمد على أسس العقيدة الشيوعية الماركسية ، ثم هو بعد ذلك مملوء بالطعن والانتقاص من الرسول ﷺ والمنهج الذي جاء به ومن الصحابة رضوان الله عليهم ... وذلك لتدريسها وجعلها منهجا لطلاب الجامعة .... ولا يمكن افتراض حسن النية بهذه التصرفات كلها ... ولابد أن وراء ذلك دوافع ونوايا سيئة .

والمؤلف يسعى بكل جهده لتصيد الروايات الضعيفة والمنكرة ...... وذلك من أجل تشويه الصورة المضيئة للمسلمين الأولين الذين حملوا إلينا الإسلام .... ولا يتورع المؤلف من وصف المجاهدين المسلمين بأنهم : (نهبوا بيوت المال) ، ويقول : (فزعموا أن المال الذي يجتمع من الخراج ، إنما هو لهم وليس للدولة ، وقالوا : إنه مال المسلمين وليس مال الله ، وتمسكوا بدعوى أن أموال الفيء يجب أن تقسم ، وفي بعض الأحيان نهبوا بيوت المال في الأمصار ....) (ص ١٠) .

٦ - والأمر الأخير وهو مصادر الكتاب ومراجعه .... فنرى المؤلف يعتمد اعتمادا كليا على هذه الأنواع من المصادر :

(أ) كتب المستشرقين الذين شوهوا التاريخ الإسلامي من أمثال « تريتون » في كتابه « الخلفاء ورعاياهم في الإسلام » .. و « فازيليف » في كتابه « العرب والروم » ، و « فان فلوتن » في كتابه « السيادة العربية والشيعة والإسرائيليات في عهد بني أمية » ، و « يوليوس فلهاوزن » في كتابه

« تاريخ الدولة العربية » ، و « كلود كاهن » فى كتابه « تاريخ العرب والشعوب الإسلامية » ، و « لوسترانج » فى كتابه « بلاد الخلافة الشرقية » ، و « جورج مارسيية » فى كتابه « الفن الإسلامى » .

(ب) تلاميذ المستشرقين من أمثال « فيليب حتى » فى كتابه « تاريخ العرب » .

(ج) كتب مجهول مؤلفوها من أمثال « كتاب تاريخ الخلفاء » ، والذى طبع فى « موسكو » .

(د) كتب مطعون بعقيدة مؤلفيها وأمانتهم ونزاهتهم العلمية مثل اليعقوبى الشيعى المتعصب ، والأصبهانى صاحب كتاب « الأغانى » ، والذى ملأه بالروايات والأشعار الساقطة والرديئة ...

وإذا اعتمد على مرجع تاريخى كتبه مؤلف موثوق ، نراه يختار من هذا المرجع ما يوافق هواه ومعتقده من الروايات الضعيفة والمرذولة [1] ...

٣ - فجر الإسلام ، تأليف أحمد أمين :

علل أحمد أمين ظاهرة الغناء فى الحجاز فى كتابه بقوله : (وقد يكون السبب أن الحجاز كان به ارستقراطية العرب ، وهم العنصر الفاتح ، وقد نال هؤلاء الارستقراطيون خير الجوارى ، وأرفعهن نسبا ، وأكثرهن تأدبا ، ومنهن من تربى ببيت الملوك والأمراء وتأدب بآداب الحضارة ، فنقلن ذلك إلى الحجاز ، وصبغنه بالصبغة العربية ، وكان لهن الفضل فى تأسيس مدرسة الغناء فى الحجاز . ويكون العلة أن البدو إذا تحضروا وبُسط لهم فى العيش أسرفوا فى اللهو شأن كثير من غنى بعد الحرمان ..... فانصرف فتيان الحجاز بما لهم من مال وفير ، وجاه عزيز عن الإمارة والخلافة والسياسة إلى اللهو ، فكان الظرف والغناء ، وكان الشراب وكان المجون) .

ونحن لا نعترض على صحة التعليل من عدمها ، ولا ندافع على المنحرفين

---

(١) هذه صورة من صور النفوس التى تنتمى إلى أمة العرب ، تنزف حقداً على الإسلام وأهله ، والعجيب أن كاتب الكتاب المفروض أنه أستاذ جامعى يحمل أعلى الدرجات العلمية ، وكنت أتمنى أن يغار أستاذ مسلم على دين الله ، ورسول الله ، وصحابة رسول الله ، ويرد على هذه الترهات التى تجد من ينشرها ويقررها على طلاب الجامعة .

ومن هنا يتضح ضرورة تبنى المنهج الإسلامى لكتابة ودراسة ، وتدريس التاريخ ، لأنه ضرورة شرعية ، وسنقوم بتفنيد هذه الأباطيل فى رسائل قادمة بإذن الله .

إذا صح ما ذكر ، لكن تصوير المجتمع فى قاعدة الإسلام الأولى وموطن كبار الصحابة وأبناؤهم بهذه الصورة من المجون والشراب والطرب ، من أجل بعض الشواذ من العبيد والجوارى أمر لا يعقل ، بل إن المؤلف جعل للغناء مدرسة فى الحجاز (على اعتبار أن هذه مراكز حضارته ؟؟) .

وكل أخباره فى هذا الموضوع نقلها الكاتب عن كتاب الأغانى ، وهو كتاب حكايات وسمر ، ومؤلفه ليس بعدل ولا ثقة . وقد ذهب هذا المذهب من تضخيم دور المنحرفين فى مجتمع الحجاز الدكتور « شوقى ضيف » فى كتابه الذى سماه « الشعر والغناء فى المدينة ومكة لعصر بنى أمية » .

كما أن كتاب فجر الإسلام يحوى هجوما على السنة النبوية والشريعة ، وقد تصدى له الدكتور مصطفى السباعى فى كتابه « السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى » بقوله : (وهذا لون من ألوان الهجوم على السنة ، يقوم به فريق من المسلمين الذين تتلمذوا على المستشرقين . وهو هجوم لا يبدو سافرا واضحا ، كما بدت آراء المستشرقين من قبل ، بل مقنعا بستار العلم والبحث ، متجنبا المصارحة فضلا عن المخاتلة حتى لا يثير صاحبه عليه ثائرة الجمهور ، وسنرى أن هذا اللون أخبث أثرا ، وأسوأ نتيجة ، وأقوى سلاحا ، والله المستعان ، وهو حسبنا ونعم الوكيل) ، (ص ٢٣٦) .

وقد أفرد « أحمد أمين » فى كتابه « فجر الإسلام » فصلا خاصا بالحديث استغرق نحوا من عشرين صفحة ، حاول فيه أن يؤرخ للسنة وتدوينها ..... إلى أن ذكر) ما يؤخذ على علماء الحديث من أنهم لم يعنوا بالمتن ما عنوا بنقد السند ، ثم تكلم عن أكثر الصحابة حديثا ، فذكر أبا هريرة ، وقال عنه : (إنه لم يكن يكتب ، بل كان يحدث من ذاكرته ، وأنَّه كان يحدث بما لم يسمعه هو مباشرة من النبى ﷺ ، وأن بعض الصحابة شكوا فى حديثه ، وبالغوا فى نقده) (ص ٢٣٦) .

ويزعم صاحب « فجر الإسلام » (ص ٢٥٨) أن وضع الأحاديث بدأ فى عهد الرسول محمد ﷺ (وهذا ما لا سند له فى التاريخ الثابت ، (ارجع إلى السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى ، ص ٢٣٦ - ٣١٩) .

كما اتهم « فجر الإسلام » عبد الله بن المبارك أنه كان يأخذ عمن أقبل وأدبر .

وزعم الكاتب أن سبب وضع الأحاديث هى الخصومة السياسية بين على وأبى بكر ، وبين على ومعاوية ؛ وزعم الكاتب أن المسلمين قد تغالوا فى الاعتماد على السنة ، (ص ٢٦٣) .

وفى (ص ٢٦٥) يشكك الكاتب فى عدالة صحابة رسول الله ؛ كما زعم (ص ٢٦٦) أن العلماء المسلمين قد اختلفوا فى الجرح والتعديل ، كما حاول الكاتب نقد أحاديث واردة فى صحيح البخارى .

٤ - قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، تأليف د . السيد عبد العزيز سالم ، جـ ٢ ، بيروت ١٩٧٢ م .

يصور الكاتب الغزوة الصليبية للأندلس وإخراجهم للمسلمين منها على أنها حركة استرداد يقوم بها الأسبان لبلادهم : (تتبع نهاية حركة الاسترداد الأسبانية وسقوط دولة الإسلام بالأندلس) ، (ص ٢٠) : اشتراك الفرنجة فى حروب الاسترداد ضد المسلمين فى الأندلس (ص ٣٨) .

والكاتب يسمى فتح المسلمين للأندلس « احتلالها » :

(احتل جسم المجتمع المسيحى فى أوربا الغربية أثر الكارثة السياسية والثقافية التى أثارها دمار الامبراطورية الرومانية ، وهكذا كان الاحتلال باعثا على انتشار نفوذ الفن الإسلامى ، حتى إذا ما تحللت الروح المستعرة وتلاشت بمضى الزمن) ، (ص ٣٨) .

والكاتب يتهم أبا بكر وعمر بالتشدد والتضييق على المسلمين ، ويزعم أن رسول الله ﷺ لم يحرم الغناء (١) ولم ينه عنه :

(١) انظر إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان ، تأليف الإمام الحافظ أبى عبد الله محمد بن أبى بكر الشهير بابن قيم الجوزية ، مكتبة مصطفى الحلبى ، القاهرة ١٣٨١ هـ ، جـ ١ ، ص ٢٤٢ - وكان بودنا أن يتحدث الكاتب عن صحابة رسول الله ﷺ ، بالطريقة التى علّمنا إياها رسول الله ﷺ ، وأن لايفتى فى دين الله قبل الرجوع إلى كتب الفقه الإسلامى ليعرف حكم الله فى هذا الشأن (انظر أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ استخلاف أبى بكر الصديق رضى الله عنه)

(ولما ظهر الإسلام أباح من الغناء والموسيقى ما يستخدم للتعبير عن المشاعر البريئة ، وحظر الغناء الذى فيه تبذل وجاهلية وتخنس . ولكن أبا بكر وعمر - رضى الله عنهما - تشددا مع الملهين وقيان الحانات ، فأسهما بهذا التشدد فيما أشيع عن كراهية الإسلام للغناء والموسيقى وإن كان النبى (ﷺ) لم يحرمه ولم ينه عنه ، ولم يجد فى سماع الغناء والموسيقى ما يتعارض مع الإسلام . ثم أدت سياسة اللين والتساهل التى اتبعها الخليفة الراشد عثمان بعد تشدد الشيخين وتضييقهما على المسلمين ، وإبرار منه فى إدرار القطائع ...... إلى شيوع لون من الترف والرقة يذكر بما كان شائعا فى الحواضر التجارية فى الجاهلية . (ص ٧١ - ٧٢) .

الجـزء الثالث

تمهيـد

فحص وتقويم مواد الدراسات التاريخية المعاصـرة

وهى المعتمدة فى دور العلم فى بلاد المسلمين ومن قبل فى دور العلم الغربية ، لكى يدرْك القارىء الأثر الخطير الذى جرته الحركة الاستشراقية على الدراسات التاريخية المعاصرة .

مناهج ما يسمى بالتاريخ القديم ، والتى منها :

١ – ما يسمى بتاريخ العرب قبل الإسلام ، وهو يعالج تاريخ الجزيرة العربية منذ أقدم الدهـــور .

٢ – ما يسمى بتاريخ الشرق الأدنى القديم ، وهو يعالج تاريخ مصر والعراق وبلاد الشام (ســورية وفلسطين) وتركيا وإيران منذ أقدم الدهور .

٣ – وتاريخ اليونانْ والروم منذ بداية تاريخ البشرية وحتى القرن الخامس الميـــلادى .

أى أن مجموع هذه المناهج يعالج تاريخ تلك الأمم على مدار فترة زمنية تمتد لآلاف السنين ، ومناهج ما يسمى بالتاريخ القديم هى القاسم المشترك بين كل دور العلم فى العالم – الإسلامى وغير الإسلامى وكليات العلوم الشرعية وهذه المناهج بفقراتها العديدة ومراجعها ومصادرها لا تخدم فكرة إسلامية واحدة ، بل إنها بوضعها الراهن تحرص على هدم التصور الدينى عموماً والمعتقد الإسلامى على وجه الخصوص عن الحياة والكون والإنسان . وقبل كل ذلك عن رب العالمـــين ..

لذلك وهنالك أسـباب عديـدة تدعو الأمة المسلمة إلى ضرورة وضع مناهج بديلة للمناهج السـالفة الذكر تعتمد على مصـادر موثقـة ومراجـع قد خضعت فى رواياتها للجرح والتعديل ، وتعالج تاريخ تلك الأمم من وجهة النظر

الإسلامية لتحقيق الأهداف التى شرعها الله عز وجل من وراء الدراسات التاريخيـــــة .

الأسباب التى تدعو الأمة المسلمة إلى ضرورة وضع مناهج بديلة تعتمد على مصادر ومراجع موثقة لتاريخ جزيرة العرب ومصر والعراق وبلاد الشام وتركيا وإيران وبلاد اليونان والروم منذ أقدم الدهور هى مايلى :

أولا : أسباب تاريخية .

ثانيا : أسباب تتعلق بالتسمية التى سميت بها هذه المناهج .

ثالثا : أسباب تتعلق بالذين كتبوا المراجع التى يعتمد عليها فى تطبيق هذه المناهج (١) .

رابعا : أسباب تتعلق بالمصادر والمراجع التى يعتمد عليها فى دراسة وكتابة ومعرفة تاريخ تلك الأمـم .

خامسا : أسباب تتعلق بالمنطلقات الفكرية التى انطلق وينطلق منها من كتبوا ومن يكتبون فى تاريخ تلك الأمم .

سادسا : أسباب تتعلق بالمنهج المستخدم فى دراسة وكتابة ومعرفة تاريخ تلك الأمم (وهو منهج غير إسلامى) .

سابعا : أسباب تتعلق بالنتائج التى أسفرت عنها دراسة وكتابة ومعرفة تواريخ تلك الأمم من خلال المناهج والمراجع الحالية التى أعدت بمعرفة الكتاب المحدثين .

ثامنـــا : أسباب تتعلق بمفهوم العلم وضوابطه ومنهج تلقيه .

وسنقتصر هنا على الحديث عن مجموعة الأسباب الأولى ، والثانية والخامسة ، مع تأجيل الحديث عن مجموعة الأسباب السادسة والسابعة والثامنة إلى ما بعد فحص المناهج وتقويمها(١) .

---

(١) أما مجموعة الأسباب الثالثة والرابعة فقد تم نشرها فى كتابنا « أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى » ، الإسلام دين الله فى السماء والأرض

المبحث الأول
الأسباب التاريخية

أولا : الأسباب التاريخية :

بدأ الاهتمام بدراسة ما يسمى التاريخ القديم ، مع حرص وتخطيط الاستعمار الغربى على تفتيت وحدة العالم الإسلامى ، وتقسيمه إلى أوطان صغيرة تسيطر عليها النزعة الإقليمية الطائفية تحقيقا لأهدافه ، وقد تحقق للاستعمار هذا الهدف بعد ما قضى على آخر مظهر من مظاهر وحدة المسلمين وهى الخلافة العثمانية[1]

ففى عام ١٩٠٨ م أقصى السلطان عبدالحميد عن منصب الخلافة بأيدى عملاء للاستعمار الغربى الذى يقوم على أكتاف اليهودية والصليبية العالمية . هؤلاء العملاء يتمثلون فى حزب « الاتحاد والترقى » بزعامة أتاتورك الذى استخدم كمخلب قط لتمزيق الوطن الإسلامى من داخله وبأيدى أبنائه ، فأطلق شعار « تركيا للأتراك » ، وأنه على تركيا أن تهتم بنفسها ، وأن تبحث لها عن انتماء آخر غير انتمائها إلى العالم الإسلامى ، وهنا نشطت الأبحاث الأثرية ، وبدأ بعث تاريخ تركيا الجاهلى ، وخرج المهتمون بهذه الأبحاث الأثرية والتاريخية القديمة بنتيجة ملخصها أن شعب تركيا ينتمى إلى الجنس الآرى (الأوربى)[2] ،

---

(١) هذا المبحث مأخوذ بتصرف من الاتجاهات الأدبية . جـ٢ ، ص ٩٩ - ١٠٢ ، ١٣٦ - ١٤٢ مع إضافات فى مصادر أخرى نذكرها فى مواضعها .

(٢) بسقوط السلطان عبد الحميد انتهت السياسة الإسلامية فى الدولة العثمانية ، وبرزت العصبية القومية التى حاربها عبد الحميد بكل جهده أيام حكمه واتجهت سياسة الاتحاديين إلى تغذية العصبية الطورانية ، بإحياء تاريخ أجدادهم السابق على الإسلام ، وتمجيد الغزاة والفاتحين من أسلافهم الوثنيين . بعد أن ظل الترك العثمانيون حتى منتصف القرن التاسع عشر لا يكادون يعرفون شيئا عن ماضيهم وتاريخهم وأصلهم ونسبهم . وبعد أن كانوا بمعزل عن تصفح تاريخ بلادهم وصحف أجدادهم ، إذ كانت تلاوة الكتب =

وأن تركيا لا صلة تربطها بالعرب أو بغيرهم ، وعلى هذا الأساس قام الزعيم أتاتورك باتخاذ سلسلة من الإجراءات لقطع كل صلة تربط تركيا بإسلامها أو ببلاد العالم الإسلامى وخاصة العالم العربى .

من هذه الإجراءات :

- فصل الخلافة عن السلطة السياسية (فصل الدين عن الدولة) فى عام ١٩٢٢ م ، وإلغاء منصب الخلافة فى ٤ مارس عام ١٩٢٤ م .
- إلغاء وزارة الأوقاف والشئون الدينية .
- إدخال تعديل على الدستور الجمهورى فى إبريل ١٩٢٨ م ، المادة الثانية : « تحذف العبارة التى تنص على أن دين الدولة التركية هو الإسلام » .
- فى فبراير عام ١٩٣٧ م أضيفت إلى المادة الثانية من الدستور : أن الدولة التركية هى دولة جمهورية وطنية شعبية علمانية .
- إلغاء نظام تعدد الزوجات .

= الدينية والسيرة النبوية وتاريخ أبطال الإسلام تلذ لهم أكثر من تلاوة تاريخ أجدادهم الوثنى وفتوحاتهم ، واندفع الاتحاديون فى سياسة التتريك التى تهدف إلى طبع الدولة كلها بطابع تركى ، وسلخ العرب من لغتهم ، ومن طابعهم الحضارى . (الاتجاهات الأدبية ، جـ ٢ ، ص ١٠١ - ١٠٢) .

فهيجت هذه السياسة الطائشة حمية العرب ولا سيما ما يتصل منها بلغتهم .

وهكذا ظهرت الروح القومية فى العرب فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر كأثر من آثار عنجهية الترك الحاكمين . كان العرب والترك يلتقون عند الإسلام الذى يوحد بينهم ويسوى بين أفرادهم ، والذى يتلاشى عنده الأحساب والأنساب . فلما صاح الترك مفاخرين بطورانيتهم استيقظ فى العرب فخرهم بمجدهم القديم ، فبدأ العرب - وهم الأمة التى ظهرت فيها الرسالة الإسلامية ، ونزل كتابها بلسانهم - يستنكفون من حكم الأتراك الذى بسط عليهم نفوذه منذ القرن السادس عشر ، فظلوا ينتهزون كل فرصة للثورة ، يعلنون تمردهم فى أعقاب كل حرب أوروبية يخرج منها الترك مهزومين . وكان الشام هى أسرع أجزاء الوطن العربى تأثرا بالفكرة القومية الجديدة التى سادت التفكير الأوروبى وقتذاك ، لأنها أشد أجزاء الدولة العثمانية تعرضا لتلقى الروح الغربية والمؤثرات الأوروبية . وكان زعماء هذه الحركة القومية ينادون بتحطيم النير التركى وإنشاء مملكة عربية تنتظم أقطارها المستقلة فى اتحاد يرأسه زعيم دينى كبير ، وكان شريف مكة وقتذاك من أكثر زعماء العرب طموحا إلى هذه الزعامة الدينية (حاضر العالم الإسلامى ، جـ ٢ ، ص ٨٨ - ٩٦ ، ١٣٧ - ١٤٨ . جزيرة العرب فى القرن العشرين ، ص ١٦٩ - ١٧٦ . الاتجاهات الأدبية ، جـ ٢ ، ص ٩٩ - ١٠٢) .

- كما أصبح من حق التركية أن تتزوج رجلا مسيحيا أو يهوديا (وذلك محرم فى شريعة الإسلام) .
- تخويل كل شخص بالغ الحق فى تغيير عقيدته الدينية حسب رغبته (وهذه ردة فى شريعة الإسلام) .
- وفرض أجهزة مدنية كافية لمواجهة مهمة تسجيل الزواج بعد أن أصبح مدنيا ، كى يصبح زواجا قانونيا لا تعترف الدولة بسواه وتعترف الدولة بنتائجه ، من ثبوت حقوق الإرث وما إلى ذلك .
- شهروا حربا على الحجاب بالنسبة للسيدات وعلى الأزياء القديمة بالنسبة للرجال الذين كان عليهم أن يرتدوا الملابس الأوروبية والقبعات .
- تحويل عدد كبير من المساجد الكبرى والصغرى عن أغراضها الدينية إلى أغراض مدنية ، ومن الأمثلة الصارخة التى تساق فى هذا الصدد ، المسجد الجامع ، فحولوه إلى متحف وطنى : ﴿ ومن أظلم ممن منع مساجد الله أن يذكر فيها اسمه وسعى فى خرابها أولئك ما كان لهم أن يدخلوها إلا خائفين ﴾ .
- جعل الإجازة الرسمية فى وزارات الحكومة ومصالحها يوم الأحد .
- إبطال كتابة اللغة التركية بالحروف العربية واتخذوا لها حروفا لاتينية ليسهل نطقها باللغة التركية .
- كما ألغى الكماليون منصب شيخ الإسلام ووزارة الأوقاف والمؤسسات الخيرية وأنشئوا إدارتين جديدتين إحداهما للشئون الدينية ألحقت بمكتب رئيس الوزراء فى أنقرة ، وأخرى للمؤسسات الخيرية .
- وألغوا التعليم الدينى فى جميع مراحل التعليم .

وقد وصف الأستاذ غربال هذه الإجراءات بأنها عملية هدم عنيف .

كما عمل الكماليون على تتريك العبادة :

- فأذان الصلاة يجب أن يكون باللغة التركية من مآذن المساجد .
- وأن يتلى القرآن الكريم باللغة التركية ، وأمروا بترجمته إلى اللغة التركية ، ترجمة رسمية معتمدة من الحكومة ، وكذلك الأحاديث النبوية الشريفة .

- وأن تكون الصلاة باللغة التركية .
- وأن يرتدى الأئمة فى المساجد قبعة من نوع الطاقية ، كما منعوهم من ارتداء العباءة خارج المسجد (١) .

ومع ظهور النعرة القومية الطورانية ، وخاصة من البلد الذى كان فى موقع القيادة والصدارة ، للعالم الإسلامى كان الاستعمار الغربى يُغَذِّى النعرة الإقليمية العربية ؟؟!! ووجد الانجليز بغيتهم فى الشريف الحسين بن على ، شريف الحجاز فى ذلك الوقت ، فاوهموه بضرورة أن يعمل - ويساعدوه - على استقلال العرب عن - ما أسموه بالاستعمار التركى - وأن تكون الخلافة للعرب على أساس أنهم الأشراف - وينتسبون إلى البيت النبوى الشريف - فكانت مراسلات هنرى مكماهون ، والشريف الحسين لهذا الغرض .

. وصدق الشريف الحسين هذه الأوهام وأعطى أعداء الإسلام - الإنجليز - قياده وصفقة يده للقضاء على ما تبقى من ملامح الخلافة الإسلامية ، وهنا ارتفعت الأصوات ، أصوات الفتنة تدعو إلى تمجيد القومية العربية ، العنصرية ، الإقليمية ، وتتحدث عن الوطن العربى الذى عانى من الاستعمار التركى .

ونجح أعداء الله ... وما كان لهم أن ينجحوا لو كان الإسلام حيا فى قلوب أبنائه ، فى إذكاء نار الفتنة ، فإذا بالمسلم العربى يقوده اليهودى والنصرانى ، الإنجليزى والفرنسى ، أمثال لورنس واللنبى وغورو ، يقاتل أخاه المسلم التركى ، وأريقت دماء المسلمين الأتراك بأيدى المسلمين العرب .... وما كان لذلك أن يحدث لو كان الإسلام حيا فى قلوب أبنائه .

وانجلت المعارك عن خسارة فادحة ، أخطرها تقطيع أواصر الأخوة بين أبناء الوطن الإسلامى ، والتى حل محلها قوميات يُكِنّ البعض لبعضها البغض والحقد المرير .... وانجلت المعارك على أرض المسلمين ، عن استعمار انجليزى ، واستعمار فرنسى ، ووجود يهودى يسيطر على الأرض الإسلامية ويفتك بالشباب المسلم ، وينتهك العرض الإسلامى ويستغل ثروات المسلمين ، ويحرص على أن لا يلتئم شمل المسلمين مرة أخرى .

---

(١) الدولة العثمانية ، ١٠٢٠ - ١٠٢٢ .

وواصل المستعمر ، مؤامرته لتفتيت وحدة العالم العربى عن طريق إذكاء النعرات الإقليمية والقبلية داخل الوطن العربى ، بعد ما أذكوها داخل الوطن الإسلامى . وجاء ذلك فى أعقاب احتلال بلاد المسلمين بعد تقطيع أوصالها ، بمعرفة الإنجليز والفرنسيين .

وتحت وطأة الاحتلال الإنجليزى تنادى المسلمون إلى ضرورة التخلص من الاستعمار الإنجليزى والفرنسى ، وتوحيد الأمة المسلمة ، وقد استطاع الاستعمار وأعوانه أن يحولوا مشاعر الأمة الإسلامية إلى مشاعر قومية ، تهدف فقط إلى الاستقلال وإجلاء المستعمر .

ورغم هذا القهر فقد تنادت الشعوب إلى إنشاء جامعة عربية ، ولم يكن طريق الدعوة إلى الجامعة العربية ميسرا ولا ممهدا ، فقد كانت تعترضه عقبات كثيرة . ولم يكن الاحتلال الأجنبى الذى قطع أوصال بلاد العرب هو شر هذه العقبات وأخطرها . ولكن الخطر الحقيقى على الجامعة العربية كان يأتى من اشتداد النزعات الإقليمية الانفصالية فى داخل البلاد العربية نفسها . فبعد أن كانت ثورة الحجاز والشام والعراق يطلق عليها جميعا اسم الثورة العربية قبل الحرب . أصبحت كل واحدة من هذه البلاد تستقل بنفسها فى جهادها ، وحل محل الوطنية وطنيات جديدة تتلاءم مع الظروف السياسية الجديدة التى جزأت الوطن العربى ، والتى تمادت فى التجزئة حتى جعلت الشام أربع دول ، وأخذت تمهد لإنشاء دولة خامسة جديدة من اليهود ، بل لقد جزأت سوريا وحدها

وهى جزء من الشام فى بدء الاحتلال الفرنسى إلى خمس دويلات ، تدير كل واحدة منها وزارة مستقلة بإقليمها ، وأصبح مطلوبا من كل مواطن أن يمنح كل إخلاصه وجهده للقطعة الصغيرة التى حددها له الاحتلال الأوروبى وسماها دولة ؛ لم يكن الخطر الحقيقى الذى يهدد الجامعة العربية هو الاحتلال ، وما أقامه من خطوط وهمية ، اختلقها سيكس الإنجليزى وبيكو الفرنسى فى المعاهدة السرية التى اتفقا فيها على اقتسام الغنائم بين دولتيهما فى أوائل الحرب والتى عرفت من بعد باسميهما . لم تكن هذه الخطوط الوهمية هى مصدر الخطر الحقيقى ، فالشعوب تهزم وتنتصر ، والله سبحانه وتعالى يداول الأيام بين الناس ، والمحتل يعيش على أمل الحرية ثم لا يلبث المهزوم أن ينتصر ، ولا يلبث المحزون

أن يبتسم . ولكن مصدر الخطر الحقيقى هو إيمان العرب أنفسهم بهذه الخطوط الوهمية وتقديسهم لها . فلقد نشأ جيل من الناس لا يعرف إلا هذه الظروف الجديدة . وكان الاحتلال الأجنبي المتحكم فى التعليم يحول بينه وبين معرفة تاريخ كفاحه القريب فى سبيل القضية الإسلامية المشتركة التي أريقت فى سبيلها دماء أبنائه فى الحرب . أما الشيوخ والكهول الذين شهدوا المأساه ، والذين يعرفون حقيقة القداسة المزعومة لهذه الأوطان الجديدة . فقد أصبح كثير منهم من العقلاء الواقعيين كما يحلو لهم أن يسموا أنفسهم فى كل مكان - فجاروا الواقع الجديد ، بعد أن أصبح كثير من مكافحى الأمس هم يد الأجنبى التى يبطش بها ، فى مراكزهم الكبيرة التى يحتلونها . ولم تبق إلا قلة من المؤمنين تجاهد ولا تمل الجهاد ، تنبه الغافلين وتعرِّفْ الذين لا يعرفون ، وتثير حمية الذين ركنوا إلى الأمن والدعة ممن يعرفون .

وأعانَتِ الدولُ المحتلة - كل فى منطقة نفوذه - على تدعيم قداسة هذه الأوطان الجديدة فى نفوس الناس بأسلوب علمى منظم ، وذلك بمساعدتها على إحياء التاريخ القديم لكل قطر من هذه الأقطار ونشط الحفر للبحث عن آثار الحضارات القديمة السابقة على الإسلام فى كل من العراق وسوريا ولبنان وفلسطين وشرق الأردن ومصر ، لتوهين عرى الجامعة العربية ، ولتشتيت القلوب التى ألف بينها الإسلام ، وجمعها على لغة واحدة ، فاستيقظت العصبيات الجاهلية ، وراح كل بلد يفاخر البلاد الأخرى بمجده العريق ، وشغلت الصحف بالكلام عن الكشوف الأثرية الجديدة وما تدل عليه من حضارات البابليين والأشوريين والكلدانيين والحيثيين والفينيقيين والفراعنة (١) . وكانت أصابع

---

(١) راجع أمثلة لاشتغال الصحف بمثل هذه البحوث فى المقتطف والهلال ، وراجع على سبيل المثال (المقتطف) فى أعداد : أغسطس ١٩٢٠ م ، ص ١٢٤ - ١٢٧ « ماضى سوريا ومستقبلها » ص ١٢٨ - ١٣٦ « سكان سوريا الساميون » سلسلة مقالات عن الحيثيين لجبر ضومط تبدأ من عدد يناير ١٩٢٨ م ، سلسلة عن (الصناعات فى سوريا ولبنان) تبدأ من مارس ١٩٢٢ م ، ص ٢٦٠ - ٢٦٧ ، (خرائب بيسان) عدد أبريل ١٩٢٢ م ، ومن أكثر هذه البحوث اصطباغا بالنعرة الفينيقية المعادية للعروبة والإسلام مقال لوليم كاتسفليس - وهو من أدباء المهجر - عن (روح الشرق فى نهضة الغرب) - أثر نصارى الشرق فى التمدن الإسلامى ، عدد يونيه ١٩٢٥ ، ص ٢٧ - ٣٣ . وراجع كذلك نموذجاً مما كان يقال فى تدعيم الوطنية اللبنانية : خطبة سعيد شقير باشا فى الاحتفال السنوى بالجامعة =

الغربيين واضحة فى هذه الجهود . فقد عاش المسلمون دهورا وهم غافلون عن هذه الآثار القديمة ، لا يعيرونها التفاتا ، ولا يتحدثون عنها حين يتحدثون إلا كما يتحدثون عن قوم غرباء من الكفرة أو العتاة لا يثير الحديث عنهم شيئا من الحماس أو الزهو فى نفوسهم . ظل المسلمون على هذه الحال حتى بدأ الغربيون بالكشف عن كنوزها ، ولفت أنظارهم إليها منذ اتجهت مطامعهم إلى بلادهم . وللأوربيين فى ذلك أسلوب خبيث ماكر ، فهم يبدأون التنقيب ببعوث من علماء الآثار الغربيين ، حتى إذا ما حققوا ما يهدفون إليه من اهتمام كل بلد من هذه البلاد بتراثه القديم وتحمسه له وغيرته عليه ، ورأوا أن هذه الغيرة تدفعه إلى منافسة الأجانب فى هذا الميدان الذى يعتبر نفسه أولى به وأحق ، بوصفه وارث هذه الحضارة ، عند ذلك يتخلون عن مهمتهم ويتركونها فى رعايتهم ، مطمئنين إلى أنه سيوالى السير فى الخطوط التى رسموها له . والأدلة على هذا الأسلوب الخبيث كثيرة لا تعوز الباحث . فقد بلغ من اهتمام الأوروبيين بنبش هذا التاريخ القديم واتخاذه أساسا لتدعيم التجزئة الجديدة للوطن العربى ، إن عصبة الأمم قد نصت فى صك انتداب بريطانيا إلى فلسطين على الاهتمام بالحفريات ، وذلك فى المادة ٢١ التى تنص على (أن تضع الدولة المنتدبة وتنفذ فى السنة الأولى من تاريخ تنفيذ هذا الانتداب قانونا خاصا بالآثار والعاديات ينطوى على الأحكام التالية .... الخ) (١) . وكذلك كان شأن الفرنسيين فى سوريا ولبنان ، فقد كان أول ما اهتم به الفرنسيون أن ألفوا فى خلال الحرب العالمية الأولى لجانا فى دمشق وبيروت ولبنان لكتابة تاريخ الشام ، فكتبوا منه بعض تاريخ لبنان وأهملوا تاريخ سوريا ، ثم لم يلبث الآباء اليسوعيون فى بيروت أن كلفوا ثلاثة من رهبانهم الفرنسيين سنة ١٩٢٠ م بكتابة هذا التاريخ بعد أن قسموه إلى ثلاثة عصور ، العصر الآرامى والفينيقى، والعصر اليونانى والرومانى ، والعصر العربى (٢) . ومما لا تخفى دلالته فى هذا الصدد أن الثرى الأمريكى

= الأمريكية ببيروت سنة ١٩٢٥ م ، وهى منشورة فى مجلة المقتطف فى عددى يوليو وأغسطس سنة ١٩٢٥ م (منقولة نصا عن الاتجاهات الوطنية) .

(١) الثورة العربية الكبرى ٣ : ٧٢ .

(٢) راجع مقال عيسى اسكندر المعلوف عن (أحسن تاريخ لسوريا) فى المقتطف - عدد يونيو سنة ١٩٢٥ م ص ٨٠ - ٨٤ .

اليهودى الأصل روكفلر (ابن روكفلر الكبير) صاحب الملايين ، قد أعلن سنة ١٩٢٦ م عن تبرعه بعشرة ملايين ريال أمريكى (وهو ما يعادل مليونين من الجنيهات المصرية وقتذاك) لإنشاء متحف للآثار الفرعونية فى مصر يلحق به معهد لتخريج المتخصصين فى هذا الفن واشترط لمنح هذه الهبة أن يوضع المتحف والمعهد تحت إشراف لجنة مكونة من ثمانية أعضاء ليس فيها إلا عضوان مصريان فقط ، على أن تظل هذه اللجنة هى المسئولة عن إدارة المتحف والمعهد لمدة ثلاث وثلاثين سنة . وقد استرد الثرى الصهيونى الأمريكى هبته وقتذاك ، بعد أن أرسل مندوبا يمثله من علماء الآثار الأمريكيين المعروفين – وهو الأستاذ برستد – ومعه أحد محاميه ، وذلك لرفض الحكومة شرط إشراف الأجانب الفنى على المعهد . وقد كان واضحا من تحديد صاحب الملايين مدة الإشراف بثلاث وثلاثين سنة أنه يهدف إلى خلق جيل من المتعصبين للفرعونية ثقافيا وسياسيا . ومصلحة الصهيونية فى ذلك ظاهرة . لأنها إذا نجحت فى سلخ الدول العربية من عروبتها ومن إسلامها أمن اليهود كل معارضة لاستقرارهم فى فلسطين ، وعاشوا مع جيرانهم فى هدوء يمكن لهم من الإعداد لوثبة جديدة يأكلون فيها جيرانهم النائمين ، لأن معارضة الدول العربية لمطامع اليهود فى فلسطين إنما تستند إلى الإسلام والعروبة ، فإذا انسلخ المصريون مثلا من الإسلام والعروبة ، ولبسوا ثوب الفرعونية مات الحافز الذى يدفعهم إلى مجاهدة اليهود ومعارضة دولتهم فى فلسطين ، إذ يصبح اليهود والعرب لديهم عند ذلك سواء .

والواقع أن اهتمام الدول الغربية بتفتيت الوحدة العربية كان ظاهرا لا يخفى . ولم يجمع خبراء الغربيين فى الشئون الإسلامية والعربية على شيء مثل إجماعهم على توقع الخطر من جانب الشعوب الإسلامية ، التى يرون مظاهر اتحادها وطلائع تكتلها حقيقة واقعة يصعب تجنبها . يجد القارىء هذا الإحساس واضحا فى كتاب (حاضر العالم الإسلامى) الذى ألفه لوثروب ستودارد ، العالم الأمريكى ، كما يجده فى مقال الوزير الفرنسى المشهور هانوتو الذى رد عليه محمد عبده فى مطلع القرن العشرين [١] ولكنه يجده أصرح ما يكون فى كتاب (إلى أين

(١) راجع الجزء الأول من كتاب الاتجاهات الوطنية ، ص ٣٤٧ وما بعدها .

يتجه الإسلام Whither Islam ، الذى أشرف على نشره وجمع مواده المستشرق الانجليزى هـ . أ . جب سنة ١٩٣٢ م ، والذى اشترك فى تحريره أساتذة متخصصون فى الدراسات الإسلامية والشرقية من جامعات فرنسا وألمانيا وهولندا وإنجلترا ، إذ يصرح جب فى تقديمه لهذه البحوث بأن اهتمام الإنجليز بدراسة الإسلام ناشيء عما يعرفونه من سيطرة تعاليمه على المسلمين ، مما يجعل له مكانا بارزا فى أى تخطيط لاتجاهات العالم الإسلامى ، (ص ١٢) . ويلفت النظر إلى أن هذا العالم الإسلامى ، المترامى الأطراف يحيط بأوروبا إحاطة محكمة تعزلها عن العالم (ص ١٥) ، ملاحظا أن وحدة الحضارة الإسلامية تمحو من الأذهان حيثما حلت كل ما يتصل بالتاريخ القومى ، لتحل محله الاعتزاز بالتاريخ الإسلامى والتقاليد الإسلامية (ص ١٨ ، ٢١) . وهو لا ينسى حين يتكلم عن الحركات القومية التى دعمتها دعايات الحلفاء القوية خلال الحرب العالمية الأولى ، أن ينبه إلى أن هذا النصر الذى حققته الاتجاهات القومية لا ينبغى أن يصرف الغرب عن الانتباه إلى تيار المعارضة الإسلامية الخفى ، الذى يعارض فى تفتيت الوحدة الإسلامية إلى قوميات لا دينية مبينا أن هذه المعارضة الإسلامية هى أشد قوة فى البلاد العربية (ص ٧٢ - ٨٤) . ويبرز الأستاذ الألمانى « كامفماير » فى بحثه عن مصر وغرب آسيا فى الفصل الثالث أربع حقائق لا يمكن إنكارها أو تجاهلها . ويسجل فى إحداها أن فى الشرق العربى حركة بعث إسلامى قوية فى النواحى الدينية والخلقية والاجتماعية . ويقرر أن العرب يتخذون هذا البعث الإسلامى أساسا لنهضتهم الوطنية الجديدة (ص ١٦٤) [1] . ثم إن جب يقول فى الفصل السادس والأخير من هذا الكتاب فى صراحة كاملة « وقد كان من أهم مظاهر فرنجة [2] العالم الإسلامى تنمية الاهتمام ببعث الحضارات القديمة ، التى

---

(١) زار هذا الأستاذ مصر سنة ١٩٢٨ م ، وكان يتردد على دار جمعية الشبان المسلمين - كما يقول - يوميا خلال مدة إقامته ، فى شهرى مارس وأبريل . وتتبع كل ما تكتبه الصحف عنها . كما راجع كل مطبوعاتها وأعداد مجلتها . وخصها بحيز كبير من بحثه فى هذا الفصل . وراجع كذلك برامج التعليم فى مصر ليتبين مدى اتصالها بالشرع الإسلامى ، ومبلغ اهتمامها به (راجع ص ١١٠ من الكتاب المذكور) .

(٢) الفرنجة ترجمة لما يسميه المؤلف وترجمته الحرفية « تغريب » أى صبغ حياة المجتمع الإسلامي في جميع جوانبها بالصبغة الغربية فمثلا تحل البنوك الربوية محل البنوك الإسلامية ، وتحل العقائد الفاسدة محل العقيدة الإسلامية ، وتُعرَّى المرأة بعد نزع حجابها اقتداء بالمرأة الغربية .

ازدهرت فى البلاد المختلفة التي يشغلها المسلمون الآن . فمثل هذا الاهتمام موجود فى تركيا ، وفى مصر ، وفى أندونيسيا ، وفى العراق ، وفى فارس . وقد تكون أهميته محصورة الآن فى تقوية شعور العداء لأوروبا ، ولكن من الممكن أن يلعب فى المستقبل دورا مهما فى تقوية الوطنية الشعوبية وتدعيم مقوماتها - ص ٣٤٢ » . وهذا التصريح الأخير يعلل لنا عطف حكومات الاحتلال الغربية على كل مشاريع الحكومات الوطنية فى الشرق الإسلامى - والعربى منه خاصة - التى من شأنها تقوية الشعوبية فيها ، وتعميق الخطوط التى تفرق بين هذه الأوطان الجديدة ، مثل الاهتمام بتدريس التاريخ القديم لتلاميذ المدارس ، وأخذهم بتقديسه [1] ، والاستعانة على ذلك بالأناشيد ، ومثل خلق أعياد محلية غير الأعياد الدينية التى تلتقى قلوب المسلمين ومشاعرهم على الاحتفال بها . ومثل العناية بتمييز كل من هذه البلاد بزى خاص - ولا سيما غطاء الرأس - مما يترتب عليه تمييز كل منها بطابع خاص ، بعد أن كانت تشترك فى كثير من مظاهره

وتحقق الهدف الذى كان يسعى إليه أعداء الإسلام وجاء الوقت الذى أصبحت دراسة التاريخ القديم وآثار العصور الوثنية من بين مناهج التعليم فى غالب دور العلم فى بلاد المسلمين . بدلا من دراسة بضعة آلاف عام من تاريخ الأمة المسلمة .

(١) راجع محاضرة لمرقص سميكة سنة ١٩٢٦ م ، يشكر فيها وزارة المعارف لعنايتها بتدريس تاريخ الفراعنة لتلاميذ المدارس بعد أن كان مهملا . (المقتطف) عدد مارس ١٩٢٦ م .

المبحـــث الثانى

الأسباب التى تتعلق بتسمية المواد

(١) مادة « عرب قبل الإسلام »

تعالج مفردات هذه المادة تاريخ الأمم والشعوب التى سكنت جزيرة العرب منذ أقدم الدهور وحتى قبيل بعثة الرسول محمد ﷺ - أى أنها تعالج تاريخ الجزيرة العربية على مدار بضعة آلاف عام . وقد اعتاد الذين يعالجون تاريخ هذه الفترة على تسميته بتاريخ « العرب قبل الإسلام » أو تاريخ الجاهلية . وتلك التسميات مجافية للصواب ، لأن تلك الحقبة التاريخية بعث فيها رسل دعوا إلى دين الإسلام . ومن هؤلاء الرسل كان هود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل .

وانقسمت الشعوب والأمم التى سكنت جزيرة العرب قسمان إزاء دعوة كل رسول ، قسم أسلم لله رب العالمين ، وقسم رفض دعوة الرسول .

فإذا أطلقت تسمية « تاريخ عرب قبل الإسلام » على تاريخ الأمم والشعوب التى كان فيها المسلم والكافر ، فذلك يعنى إسقاط لكل الرسالات السماوية التى وقعت فى جزيرة العرب ، ودعت كلها إلى الإسلام . وبالتالى إسقاط بضعة آلاف عام من تاريخ الأمة المسلمة التى سكنت جزيرة العرب . إن المراجع التى عرضت لتاريخ الجزيرة العربية قبل بعثة محمد ﷺ على أنه « تاريخ عرب قبل الإسلام » قد وقعت فى أخطاء فادحة[١] منها :

(أ) تجاهل بضعة آلاف عام من عمر تاريخ الإسلام .

(ب) تجاهل البداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى ، وتاريخ الأمة المسلمة الواقع التطبيقى لهذا الدين .

---

(١) انظر التصحيح : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، جزيرة العرب ، ج ١ ، جزيرة العرب ، ج ٢ ، سيرة إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام ، دار الوفاء .

(ج) إن التاريخ الإسلامى يبدأ فقط برسالة محمد ﷺ ، وأنه لا وجود للإسلام فى حياة جزيرة العرب قبل رسالة محمد ﷺ .

(د) تصوير تاريخ الأمم التى سكنت الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور على أنه تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه لدعوة الرسل عليهم السلام .

(هـ) تصوير تاريخ هود وصالح عليهما السلام على أساس أنه تاريخ أسطورى يسبق التاريخ الحقيقى للجزيرة العربية .

ومن هنا تأتى ضرورة وضع منهج بديل عن هذا المنهج ، مع وضع مفردات مادة تعالج تاريخ الأمم والشعوب التى سكنت الجزيرة العربية قبل بعثة محمد ﷺ على أنه جزء من تاريخ الأمة المسلمة ، مع تغيير مسمى المادة إلى « الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور » .. مثلا . لكى تنطبق انطباقا حقيقيا على فحوى المادة الجديدة .

(٢) مادة مصر والشرق الأدنى القديم :

وهى تعالج تاريخ مصر والعراق وبلاد الشام وإيران منذ أقدم الدهور ، وتسمية « الشرق الأدنى » تسمية أطلقها المستشرقون على البلاد التى تقع إلى الشرق من أوروبا على اعتبار أن أوروبا هى المحور الذى يجب أن يتحرك من حوله العالم . فما يقع شرق أوروبا فهو شرق ، وما يقع غربها فهو غرب . وترك التسمية هكذا يشعر المسلم بتبعيته للفكر الغربى غير الإسلامى ، يؤكد ذلك أن مفردات المادة وتسميتها ليست من وضع المسلمين . وإنما هى من وضع المستشرقين اليهود والنصارى ، وعنهم ترجم أبناء العرب والمسلمين .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن مفردات هذه المادة قد أعدت بصورة لا تخدم فكرة إسلامية واحدة .

ومن هنا تأتى ضرورة وضع منهج بديل عن هذا المنهج ، مع وضع مفردات بديلة ، تعالج تاريخ مصر والشرق الأدنى قبل بعثة محمد ﷺ على أساس أنه جزء من تاريخ الأمة المسلمة ، مع تغيير مسمى المادة إلى « تاريخ مصر ، وبلاد الرافدين ، وتاريخ بلاد الشام » وإيران وتركيا ، منذ أقدم الدهور .

وذلك يعنى أنه لابد من التعرف على تاريخ الأمم والشعوب التى سكنت

تاريخ مصر وارض الرافدين وبلاد الشام وإيران وتركيا ، من وجهة النظر الإسلامية ، وبالمنهج الإسلامى ، وذلك يستلزم أيضا التعرف على الدراسات الاستشراقية التى تمت عن تاريخ تلك البلاد مع بيان الأسباب التى تجعل هذه الدراسات التى يقوم عليها المنهج الحالى تعادى التصور الإسلامى ، بل وتسعى إلى تقويضه من الأساس . وذلك حتى يكون لدى الدارس نوعا من الحصانة الفكرية ضد الإنتاج الاستشراقي [1] فى هذا المجال ، وخاصة أنه يشكل الأساس الذى تقوم عليه المناهج فى جميع جامعات العالم ضمن ما يسمى بالتاريخ القديم .

---

(١) انظر فحص المراجع فى كتابنا هذا

المبحث الثالث

الأسباب التى تتعلق بالمنطلقات الفكرية

أسباب تتعلق بالمنطلقات الفكرية التى انطلق وينطلق منها من كتبوا ويكتبون فى تاريخ تلك الأمم

إن غالب الذين كتبوا ويكتبون فى تاريخ تلك الأمم ينطلقون من منطلقات فكرية معينة معادية للاتجاه الدينى عموما ، والاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص .

المنطلق الأول : هدم التصور الدينى عموما والتصور الإسلامى على وجه الخصوص . ولتحقيق الهدف نراهم يتبنون عدة منطلقات فرعية هى :

(أ) **حيوانية الإنسان** :

فمعظم الذين كتبوا ويكتبون تاريخ البشرية ينظرون إلى البشر الذين يؤدون دورا على وجه الأرض وسطحها على أنهم من نسل قردة مذنبين فبداية الخلق الإنسانى عند هؤلاء ، هى الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات ، والتى تطورت عبر ملايين السنين مرورا بجد مشترك للقردة والإنسان ونهاية بالإنسان الحالى .

وبمعنى آخر ، إن تاريخ البشرية عند غير المسلمين لايبدأ بآدم ، لأن آدم أسطورة وخرافة ، ورب آدم رب العالمين ، لا وجود له ، أى أن الحكمة من خلق آدم وبنيه قد إنتفت ، وأن التكليف الربانى لآدم وزوجه وذريته قد انتفى ، أى أنه لا رادع لحركة الإنسان ، فى التاريخ ، من دين أو خلق ، أو حلال أو حرام ،

---

(١) انظر ص ٢٦ ومابعدها من بحثنا هذا .

مثال ذلك ما أورده « رالف لنتون » فى كتابه « شجرة الحضارة » (١) .

(١) ص ٣٦ — ٣٨ ، الذى ترجمه الأستاذ الدكتور : أحمد فخرى ، ونشرته مكتبة الانجلو المصرية عام ١٩٥٥ ؛ تحت عنوان « نحو الإنسان العاقل » ، ص ٢٧ : « ولكن يحسن بنا أن نقول شيئا قليلا عن أصول وصفات الحيوان المسئول عن ذلك السلوك الغريب ... لقد انتهت المعركة التى كانت بين الأنثروبولوجى وبين غير المؤمنين بنظرية التطور . لقد انتهت المعركة بفوز الأنثروبولوجى منذ وقت طويل . وعلى أى حال لم يكن خصمه يقاتل إلا مقاتلة مورية ، أو بعبارة أخرى كانت أشبه بمعركة « ملاكم مع ظله » » .

« فليس هناك من يشك فى أننا من نسل نوع من أنواع الحيوان . والمشكلتان الكبيرتان هما تحديد نوع الحيوان .... فمن المؤكد أن الإنسان لم يتناسل من أى نوع من أنواع القردة العليا التى ما زالت باقية حتى الآن . فهذه القردة ليست أجدادنا ، ولكنها أبناء عمومتنا » .

ويستمر المؤلف رالف لنتون فى افترائه ، ص ٢٩ ، ٣٠ ، فيقول : « ويتضح من جميع ما وقفنا عليه من معلومات حتى الآن أن أجدادنا البعيدين كانوا قردة صورية . ويستطيع من يغضبهم هذا القول أن يجدوا بعض العزاء ، إذا أكدنا لهم بأن مؤسسى فروع عائلتنا البشرية قد تلقوا تعليمهم أعلى فروع الأشجار وكانوا فى الغالب حيوانات صغيرة الحجم تتراكض فوق فروع الأشجار على قوائمها الأربع ، كما تفعل القردة الحديثة ، وبالرغم من أنه يرجح أنها كانت ذات ذنب ، فإنها لم تستخدمه فى أرجحة نفسها » .

والعجيب أن الدكتور محمد السيد غلاب والدكتور يسرى الجوهرى فى كتابهما الجغرافيا التاريخية — عصر ما قبل التاريخ وفجره والذى يصدرانه بآية من سورة العنكبوت ﴿ ألم يروا كيف يبدىء الله الخلق ثم يعيده ، إن ذلك على الله يسير ﴾ . يتبنون النظرية التى تقول بأن الإنسان أصله حيوان (ص ١٩٧) تحت عنوان « الإنسان القرد » ، وهما يدعوان بذلك لنظرية داروين التى ظهرت فى كتابه عن « أصل الأنواع » سنة ١٨٥٩ تحت عنوان « تطور الإنسان » .

بل وذهب بعض هؤلاء المؤرخين إلى أبعد من هذا ، فجعل سلوك الحيوان هو النموذج الذى احتذاه الإنسان وأدى به فى النهاية إلى اختراع الدين . ونرى نموذجا واضحا لذلك فيما كتبه « أدولف أرمان » وعربه الدكتور عبد المنعم أبو بكر والدكتور محمد أنور شكرى تحت عنوان « ديانة مصر القديمة » .

«ولقداستطاع الإنسان أن يميز نفسه عن الحيوان بصفات عدة استمدها فى أول الأمر مما يحيط بالحيوان من انفعالات : فصراخ الحيوان ومناداة الذكر للأنثى ، تطورتا عند الإنسان ، وجعل منها لغة التخاطب . كما أن غريزة التجمع عند الحيوان فى قطيع هى التى دفعت الإنسان إلى إنشاء الأسرة ، ومنها تكونت الدولة . أما ذلك الدافع المبهم عند الحيوان للإبقاء على النسل ، فهو الذى أنمى العاطفة ودفع الإنسان إلى الزواج ، وكذلك إن الشعور الغريزى بالخوف والفزع عند الحيوان فى كل ما عرف سببا دفع الإنسان إلى احترام كل القوى التى تؤثر فى حياته دون أن يتعرف كنهها ، ومن هذا الشعور بعينه نشأت الديانة التى لم تكن إلا الاعتقاد المسيطر على ذهن الإنسان من أن هناك قوى تحيط بالإنسان وتؤثر فيه » (ص ٤) .

(ب) التجاهل والتجهيل بالبداية الحقيقية للتاريخ الإسلامى ، فهم يسقطون فى كتاباتهم ، ومن اعتبارهم ، بضعة آلاف عام من التاريخ الإسلامى .

(جـ) تبنى ما يسمى بمنهج علم مقارنة الأديان ، وجعلوه علما . وهذا المنهج يزعم أصحابه ، أن الدين من اختراع العقل البشرى وأنه تطور من الوثنية والتعدد إلى التثنية ثم التوحيد (والتوحيد فى تصورهم : عبارة عن جعل الأوثان وثنا واحدا) . وذلك لكى يضللوا البشرية ، ويوهموها بأنه لا إله ولا دين ولا نبوة ولا وحى ولا رسالات سماوية ، وإنما الأنبياء رجال إصلاح اخترعوا ما جاءوا به من أديان ، وأن اللاحق كان يستعين بالسابق ويأخذ عنه . وأصحاب هذا المنهج يزعمون أن محمداً ﷺ مؤسس دين ، وأنه قد ألفه من اليهودية والنصرانية والعقائد الجاهلية .

(د) إنكار أية رواية تاريخية تعتمد على مصدرى القرآن الكريم والسنة المطهرة . فمثلا الخبر التاريخى الذى يتعلق بوصول إبراهيم عليه السلام إلى جوار بيت الله الحرام ، وتركه لزوجه هاجر وابنه إسماعيل عليه السلام جوار بيت الله الحرام ، حيث لا زرع ولا ماء ، والذى أورده القرآن وكتب التفسير وكتب الحديث خبر غير معقول ، وبعضهم قال أسطورة .

(هـ) الحرص على التجاهل والتجهيل بتاريخ الأنبياء والرسل – صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين – بل وذهب الأمر إلى حد اعتبار وجودهم أسطورة وخرافة ....

(و) تقويم أحداث التاريخ من وجهة النظر القومية التى تحرص على إحياء النعرة العصبية بهدف ضرب وحدة المسلمين وتفكيك آصرة العقيدة التى تجمعهم .

(ز) الحرص على طمس خط توحيد الله عز وجل فى حياة البشرية ، فكلما أسفرت الأبحاث الأثرية والتاريخية عن قرائن جديدة تؤكد أن البشرية منذ أقدم عصورها ، والله يهديها بالرسل يعرفونها بربها الحق ، ودينها الحق ، كان هنالك حرص من قبل الذين يدعون البحث العلمى على طمس هذه القرائن ، وذلك حتى لا تفيء البشرية إلى خالقها وربها[1] .

---

(١) انظر ص ٣٨ من بحثنا الذى بين يديك .

الجـزء الرابع

تمهـيد

الفحـص والتقويم

إذا ألقينا نظرة فاحصة متأنية على المناهج التاريخية وخاصة مناهج التاريخ القديم التى تدرس بالمدارس والجامعات فى بلاد العالم الإسلامى ، فإنه يمكن القول بيقين أن هذه المناهج تعاون معاونة فعالة فى تقويض أركان العقيدة الإسلامية فى نفوس الدارسين .

هذا القول يتأكد بوضوح إذا سألنا واضعى هذه المناهج عن :

(أ) السبب الذى من أجله اختاروا هذه المناهج ، وجعلوها من ضمن برامج الدراسة التاريخية . هل لأنها تخدم الفكرة الإسلامية ، أم أنهم أخذوها تقليدا عن دور العلم الأخرى غير الإسلامية ؟

(ب) الفكرة الإسلامية التى تخدمها مفردات المناهج ؟ وما هى الضرورة الإيمانية التى تستلزم حشد هذه المفردات ؟

(جـ) ما هى المصادر والمراجع التى اعتمد عليها كتاب هذه المناهج ، والتى يعتمد عليها الدارس فى كتابة ودراسة تاريخ الأمم ؟ هل هى موثقة أم لا ؟ وهل خضعت لقواعد الجرح والتعديل أم لا ؟ وخاصة أن الكثير من المصادر والمراجع قد أعده اليهود والنصارى يعاونهم عدد غير قليل من أبناء العرب والمسلمين ، وتحمل كفرا صراحا .

(د) ما هو المعيار المفروض أن يلتزم به الأستاذ فى تقويم تاريخ الأمم وحضارتها هل هو المعيار الإسلامى ؟ أم كل يخضع للمدرسة الفكرية التى درس فيها ؟

(هـ) ما هى الموضوعات التى يجب أن يعالجها الدارس والأستاذ فى تاريخ الأمم ،

والأسلوب الذى يجرى اتباعه بما فى ذلك تحليل الأحداث واستخلاص النتائج تحقيقا للهدف المرسوم الذى حدده الإسلام ؟

وسنحاول بإذن الله أن نقوم هذه المناهج لنرى موقعها من خدمة الفكرة الإسلامية ، مع محاولة اقتراح مناهج بديلة لخدمة الفكرة الإسلامية على مستوى العالم الإسلامى ، وما توفيقنا إلا بالله . على أن نضع فى اعتبارنا أن المادة العلمية وحدها لا تكفى لتحقيق الفكرة الإسلامية وتربية الأجيال عليها ، وإنما لابد أيضا من المدرس المسلم الذى يبتغى بعلمه وجه الله ، ولابد أيضا من الطالب المسلم الذى يدرك أن العلم الصحيح وتحصيله فريضة على كل مسلم ومسلمة . عبادة لربه سبحانه وتعالى ، ثم خدمة لدينه وأمته .

المبحث الأول

(أ) مادة العرب قبل الإسلام :

تعالج المادة تاريخ الأمم والشعوب التى سكنت الجزيرة العربية منذ آلاف السنين حتى قبيل عصر البعثة المحمدية ، وتعتمد على المراجع الآتية :

* تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف د . السيد عبد العزيز سالم .
* محاضرات فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف د . صالح العلى .
* المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف د . جواد على (١) .

ومفردات المادة بمراجعها لا تخدم الفكرة الإسلامية مطلقا ، ولا عجب فى ذلك ، لأنها بصورتها الحالية هى صورة طبق الأصل من المفردات التى تدرس فى دور العلم غير الإسلامية ، أى أنها مأخوذة تقليدا دون نظر إلى المخاطر الكامنة فيها على فكر الأمة الإسلامية وأبنائها .

هذه المادة تعالج تاريخ الأمم والشعوب التى سكنت الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور حتى قبيل بعثة محمد ﷺ . فى هذه الفترة الزمنية التى امتدت لبضعة آلاف من السنين أو يزيد ، بعث فى الجزيرة العربية وغيرها من بقاع الأرض رسل كرام ، دعوا إلى دين واحد هو الإسلام وإن كان لكل أمة شريعة ومنهاج . ومن هؤلاء الرسل هود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل .

فإذا عولج تاريخ الجزيرة العربية على أنه عرب قبل الإسلام ، فذلك يعنى إسقاط كل الرسالات السماوية التى وقعت فى جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ والتى دعت إلى الإسلام ، كما يعنى تجاهل البداية الحقيقية للتاريخ الإسلامى ، والزعم بأنه يبدأ فقط ببعثة محمد ﷺ .

وشتان ما بين كاتب يعالج تاريخ أمة على أنه تاريخ وثنى جاهلى لا أثر فيه للإسلام ولا لرسالات سماوية حملها رسل الله الكرام ، وبين كاتب يعالج تاريخ

---

(١) تمتلىء المكتبات بمراجع كثيرة عن تاريخ العرب قبل الإسلام ولقد أخذنا هذه المراجع على سبيل المثال لا الحصر .

الأمة على أنه كان موزعا بين الإسلام والجاهلية ، فالنظرة تختلف ، والنتائج من المؤكد تكون مختلفة .

إذن فإن إطلاق مسمى « عرب قبل الإسلام » على هذه الفترة من تاريخ الجزيرة العربية كما فعل المنهج ، وكما فعلت وتفعل المراجع التى كتبها الكتاب المحدثون ، يترتب عليه أخطاء فادحة[1] منها :

(أ) إنكار الرسل والرسالات التى وقعت فى جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ فهود وصالح عليهما السلام من التاريخ الأسطورى الذى يسبق التاريخ الحقيقى للجزيرة العربية ، وتاريخ إبراهيم وإسماعيل عليهما السلام وتاريخ مكة المكرمة والبيت العتيق خرافة .

(ب) تجاهل البداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى وتاريخ الأمة المسلمة الواقع التطبيقى لهذا الدين .

(جـ) تجاهل بضعة آلاف من السنين من تاريخ أمة الإسلام .

(د) إن التاريخ الإسلامى يبدأ فقط ببعثة محمد (ﷺ) ، وأنه لا وجود للإسلام أو المسلمين قبل بعثة محمد ﷺ ، فهود وأتباعه من المسلمين لا وجود لهم ، وإبراهيم وإسماعيل عليهما السلام لا حقيقة تدل على وجودهما .

(هـ) معالجة تاريخ مكة على أنه تاريخ خرافى وتاريخ الحج على أنه عادة عربية وثنية قديمة ، وأن الحرم الآمن والأشهر الحرم من اختراع العقل العربى .

(و) معالجة تاريخ أهل سبأ بمعزل عن دعوة الإسلام التى وجهها سليمان عليه السلام إلى مليكتهم ، بل تصويرها على أنها علاقة غرامية بين ملكة سبأ وسليمان .

(ز) (تفسير أحداث التاريخ التى وقعت فى حياة أهل « سبأ » وأهل مكة ، كانهيار سد مأرب ، وغزوة أبرهة بالمنهج المادى الشيوعى . فسد مأرب قد تحطم لأسباب اقتصادية وسياسية ، وأبرهة الحبشى قد هزم بسبب تكاتف أهل مكة ودفاعهم عنها !!

(حـ) معالجة تاريخ إبراهيم على أساس أنه كان يهوديا أو نصرانيا ، ولم يكن حنيفا

(١) انظر صفحة ٣٨ ومابعدها من بحثنا الذى بين يديك .

مسلما قد انتدبه الله عز وجل لأداء مهمة جليلة القدر بجوار بيت الله الحرام .

(ط) تجاهل البيان الشامل الذى أبداه الله سبحانه وتعالى على لسان إبراهيم عليه السلام ويده فيما يتصل بإمامة البيت ، وواجبات الإمام حيال الطائعين والعاكفين والركع السجود ومعنى أن يكون الحرم آمنا لا يعضد شوكه ولا يختلى خلاه .... إلى غير ذلك ، والهدف والغاية من وراء القيام بالأعمال المشروعة فى الحرم ، وحقيقة الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره . وهو الإسلام الذى دعا إليه جميع الأنبياء والمرسلين ، وحقيقة الفداء ، وحقيقة الحج ومناسكه وأثره الحقيقى فى حياة الأمة المسلمة ، إلى غير ذلك من الحقائق التى لا غنى للأمة المسلمة عن معرفة تاريخها .

(ى) معالجة تاريخ أصحاب الأخدود المسلمين الموحدين على أنهم مسيحيين أو يهود ؟؟ ..

هذه الأخطاء وقعت فيها كل مناهج ما تسمى « عرب قبل الإسلام » فى جامعات العالم إلا ما رحم ربى ، بل وقعت فيها غالب المراجع التى عالجت تاريخ هذه المادة كما بينا . وذلك يعنى لابد من تغيير مسمى المادة إلى « جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ » مثلا ، وتغيير مفرداتها لتعبر عن حقيقة هذا التاريخ .

مراجع المادة (١) :

١ - محاضرات فى تاريخ العرب ، د . صالح أحمد العلى ، جـ ١ ، بغداد ١٩٦٠ م .

- يعتمد الكاتب التوراة المحرفة مصدرا من مصادره ، كما يعتمد على كتابات المستشرقين أمثال : فيليب حتى وجويدى ، وبارتون .

عالج تاريخ الجزيرة العربية قبل بعثة محمد على أساس أنه تاريخ وثنى جاهلى محض ، فقد :

---

(١) على سبيل المثال لا الحصر .

- أسقط كل الرسالات السماوية التى كانت فى جزيرة العرب بما فى ذلك تاريخ إبراهيم وإسماعيل وهاجر . (ص ١ - ١١٩) .
- أشار الكاتب إلى مكة فى ثلاث صفحات وأسقط تاريخها وتاريخ الحرم وبيت الله العتيق من اعتباره .
- كما استبعد الكاتب القرآن الكريم والسنة النبوية من بين مصادره عن الفترة الزمنية التى تسبق رسالة محمد ﷺ .
- زعم الكاتب أن النظم البدوية قبل بعثة محمد ﷺ كان لها تأثير فى الإسلام نفسه ، (ص ١٢٢) .
- كما زعم أن الإسلام قد أقر بعض العادات الجاهلية ، واعترف بها حرفيا أو بعد تعديل بسيط :

(وهكذا دخلت النظم البدوية كجزء من الإسلام ، وأصبحت قانونا يسير عليه المسلمون) (ص ١٢٢) .

حتى المظاهر والنظم التى شن عليها الإسلام حربا لم يقض عليها تماما ، بل ظل العرب يدينون بها أمدا طويلا ، ذلك أن هؤلاء البدو كونوا مادة الإسلام الأولى ، (ص ١٢٣) .

- كما زعم الكاتب أن النظم البدوية صارت جزءا من الشريعة الإسلامية ، (ص ١٢٣) .
- ويزعم الكاتب أن دراسة هذه النظم البدوية مهمة جدا لفهم القرآن والإسلام ، (ص ١٢٤) .

وهكذا ينطلق الكاتب من منطلق أصحاب مقارنة الأديان التى تزعم بأن الدين الإسلامى يعتمد على أصول جاهلية !!

- تحدث الكاتب عن زواج المتعة فزعم : (أنها تحل مشكلة العلاقات الجنسية ، وخاصة فى المجتمعات التى تتخذ موقفا صلبا تجاهها كالإسلام ، وخاصة فى الأحوال التى يضطر فيها المرء إلى الإقامة مؤقتا ، بعيدا عن أهله) (ص ١٤٧) .
- زعم الكاتب أن كثيرا من التشريعات فى الإسلام مأخوذة عن الجاهلية مثال

الطلاق . يقول الكاتب : (أنه كانت فى الجاهلية ثلاث تطليقات ، وقد أقر الإسلام ذلك) (ص ١٤٧) .

- يتبنى الكاتب منهج مقارنة الأديان (ص ١٦٦) وما بعدها ، (ويعتمد فى ذلك على روبر تسن سمث : محاضرات فى أديان الساميين (بالإنكليزية) ، ونولدكه عن الدين الجاهلي فى دائرة معارف الدين والأخلاق بالإنجليزية ، ومحمد عبد المعين خان الأساطير العربية قبل الإسلام . وكان من الواجب على الكاتب وهو أحد أبناء المسلمين أن يعتمد على الكتاب والسنة ، وهو يكتب عن تاريخ العقيدة الصحيحة ، بدلا من اعتماده على كتابات اليهود والنصارى .

ويزعم أن الإسلام لم يمح كل آثار الديانة والمعتقدات الجاهلية تماما ؛ أقر بعضها بعد أن عدّلها أو حوّر الغايات منها كالحج والحرم .... (ص ١٦٨ - ١٦٩) . فالحج فى نظر الكاتب من الديانة الجاهلية ، والحرم الآمن من الديانة الجاهلية التى أبقى عليها الإسلام .

وهكذا ترى أن الكاتب يخدم الفكرة غير الإسلامية ، بل ويعاون فى هدم التصور الإسلامى والدين الإسلامى .

٢ - التاريخ السياسى للدولة العربية ، عبد المنعم ماجد ، جـ ١ .

أولا : كان بعض الأعراب يذبحون الكلاب كقبيلة أسد ، أو يأكلون لحوم الإنسان كقبيلة هذيل ، كما أن بعض الأعراب كانوا يأكلون الحيات والعقارب والجعلان والخنافس وحتى القمل (ص ٦٠ ، ٦١) .

ثانيا : يذكر المؤلف (ص ٩٤ ، ٩٥) : (تاريخ ميلاد الرسول ﷺ غير معروف بالضبط) ؛ ويشكك فى ربطه بعام الفيل ، ويوحى بأن ذلك ناشيء عن محاولة الربط بين مولده وهذا الحادث القومى بالنسبة لقريش . ومن الغريب أنه يعتمد فى ذلك على معجم البلدان لياقوت ، وهو كتاب متأخر ، ويعتبر من الكتب الجغرافية لا التاريخية . كما يعتمد على مراجع غربية ، يفعل ذلك حين يترك المصادر التاريخية المتقدمة الأصيلة ...

ثالثا : (ص ١٩٨) : (وفجأة فى سن الأربعين يملك محمد موهبة النبوة) ، وهذا التعبير غير لائق بجلال النبوة ، فإنها ليست موهبة فطرية كالمواهب الأخرى ولكنها اصطفاء ، من الله للأخيار الذين اجتباهم من عباده المخلصين .

رابعا : يستبيح المؤلف لنفسه أن يسرد عبارات تصف القرآن بأنه من صياغة محمد ﷺ مثل قوله (ص ٩٩) :

(ومع ذلك فلم يرد على لسان النبى فى القرآن) ، ويقول فى صفحة (ص ١٢٥) : (وقد أناب فيه أبا بكر الصديق صديقه ليقرأ عليهم سورة براءة التى يتبرأ فيها محمد ممن يحج من المشركين ، وكأن محمدا ﷺ ألف هذه السورة ليتبرأ من المشركين مع أن أول السورة ﴿ براءة من الله ورسوله ﴾ ...

خامسا : فى صفحة (٢٥٠) يصدر المؤلف حكما غريبا يهدم الشريعة الإسلامية من أساسها حيث يقرر أن الوحى كان يتم فى المنام ، وكأنه أضغاث أحلام ، فيقول عن الوحى : (أنه كان ينزل عليه وهو نائم) .

سادسا : يدعى فى (ص ٢٥٠) أن النبى ﷺ : (كان ينسخ بعض الأيات ويأتى بأخرى محلها) وكأنه هو الذى ألف القرآن ، ثم أجرى فيه بعض المحو والإثبات ، وكأنه ليس وحيا سماويا منزلا ..

٣ - المفصل فى تاريخ العرب قبل الإسلام ، د . جواد على :

والكتاب على ضخامة حجمه إلا أنه يسير فى نفس الخط الذى يسير فيه الكتابين السابقين ، وهو يعتمد على التوراة والإنجيل والتلمود والتفاسير والشروح العبرانية ، وما كتبه المؤرخون اليونان والرومان ؛ والآثار .... إلى غير ذلك ، وفحص الكتاب بين لنا أنه لا يخدم الفكرة الإسلامية .

ويتساءل الكاتب فى بداية الفصل الثالث من الجزء الأول عن أسباب انطماس تاريخ الجاهلية ويقول فى عبارته : (لقد عزا بعض الباحثين هذا التقصير إلى الإسلام واستدلوا بحديث الإسلام يهدم ما قبله .... الخ) .

وعن سد مأرب ، يردد الكاتب أقوال المستشرقين ، ص ٢٤٦ ويرجع موسيل سبب تلك الهجرات إلى انهيار سد مأرب ، ويتحدث عن ذلك فيقول (فانهيار سد مأرب يعود إلى عدم الصيانة ، وانشغال الحكومة بالثورات الداخلية والحروب الخارجية .. فألهى ذلك الحكومة عن القيام بإصلاح السد فتصدعت جوانبه فحدث الانهيار . وتهجم الكاتب على العقلية العربية ، (ص ٢٦٢ ، ٢٦٣ ، ٢٦٤ ، ٢٩٣) .

٤ - تاريخ العرب قبل الإسلام ، تأليف د . السيد عبد العزيز سالم ، مؤسسة الثقافة الجامعية الإسكندرية :

- من الواضح من عنوان الكتاب أنه يعالج تاريخ الجزيرة العربية قبل بعثة محمد ﷺ على أساس أنه تاريخ وثنى جاهلى محض لا أثر فيه للإسلام ، كما أن فحص الكتاب يؤكد ذلك ، فالكاتب أسقط كل الرسالات السماوية التى كانت فى جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ .... كما تجاهل كل الرسل الذين كانوا فى جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ مثال ذلك : أسقط الكتاب رسالة هود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام ، وأخبار مكة وبيت الله العتيق والحرم الآمن بتفصيلاتها الواردة فى كتاب الله وسنة النبى محمد ﷺ . ألا يستحق هؤلاء الأنبياء عليهم السلام من الكاتب الذكر فى عدة صفحات من الكتاب البالغ عدد صفحاته (٣٧٠) صفحة .
- ويعتمد الكاتب فى دراسته على مصادر منها ما تسمى بالتوراة (ص ٤٣) .
- كما يعتمد على دراسات المستشرقين أمثال هنرى لامانس (ص ١١ ، ٢٠) وفيليب حتى ، (ص ٢٨) ، وكارل بروكلمان ، وجويدى . (ص ٣٨) ، والولين موسل ، وفيلبى وموسكاتى وهوجارث د . ج . بل ويعتمد فى إشارته العابرة إلى تاريخ مكة على لا منس وعلى جورجى زيدان (العرب قبل الإسلام) ، وكارل بروكلمان (تاريخ الشعوب الإسلامية) ، كم يعتمد على كتاب الأصنام لابن الكلبى والمسعودى (مروج الذهب) رغم أنه شيعى متعصب .
- تجاهل الكاتب فى عرضه لتاريخ دولة سبأ ، السبب الحقيقى لانهيار سد مأرب

كما أورده القرآن : ﴿ ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور ﴾ ، ص ٤٨) .

- ذكر الكاتب أخبار أصحاب الأخدود ذكرا مقتضبا ، وزعم أنهم كانوا مسيحيين ، ص ٦١ ، ٦٢ .
- وزعم أن اليهودية والمسيحية كانتا ديانتين سماويتين (ص ٦٣ ، ٦٤) ، رغم أن دين الله فى السماء والأرض واحد وهو الإسلام .
- ذكر الكاتب أن بئر زمزم قد حفرها عبد المطلب ، لأنها بئر إسماعيل بن إبراهيم (ص ٢١٩) دون أن يذكر شيئا عن أخبارها الواردة فى القرآن أو السنة . وسياق عرض الكاتب (ص ٢١٧ ، ٢١٩) يصور أن حفر زمزم كان من عمل أهل مكة ، ولا دخل لتفجيره بمعرفة جبريل عليه السلام من تحت قدمى إسماعيل عليه السلام .
- ويزعم الكاتب أن ماء زمزم كان ثقيلا وغليظا (ص ٢١٩) فكان عبدالمطلب يخففه بلبن إبله ويخلطه بالعسل ، ولم يكلف نفسه كلمة واحدة يشير فيها إلى حديث رسول الله عن خاصية هذه البئر فى الشفاء ...
- وركز الكاتب على الأوبئة التى تصيب مكة وأهلها نتيجة وصول الحج (ص ٢٢٠ ، ٢٢٢) .
- واستشهد الكاتب بحديث موضوع عن الصبر على حر مكة ، (ص ٢٢١) .
- زعم الكاتب أن الحج كان مظهرا دينيا للعرب فى الجاهلية (ص ٢٣٠) ، دون أن يذكر أنها فريضة من فرائض الإسلام .
- والكاتب (ص ٥) يدعو إلى القومية ، ويزعم أن :

تاريخ العرب فى الجاهلية هو أساس التاريخ الإسلامى وركيزته التى يقوم عليها ويقول : (لا يمكن تفسير كثير من الظواهر الاجتماعية والاقتصادية وحتى الفنية فى العصر الإسلامى إلا إذا بحثنا عن أصولها القديمة فى عصر الجاهلية) . (ص ٥) وهذا منطلق أصحاب منهج الأديان المقارنة الذى يزعم بأن الدين من اختراع العقل البشرى .

- تجاهل الكاتب القرآن والسنة فى حديثه عن مصادر تاريخ العرب قبل بعثة محمد ﷺ .

- الكتاب بعد ذلك لا يخدم الفكرة الإسلامية ، بل يخدم أفكارا استشراقية تهدف إلى هدم الإسلام (لا مكنهم الله من ذلك)[1] ....

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، جزيرة العرب ، ج ١ ، ج ٢ ، أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء ، دار الوفاء للطباعة والنشر .

(ب) مادة مصر والشرق القديم :

تعالج هذه المادة تاريخ مصر والعراق وبلاد الشام (وخاصة تاريخ اليهود الذين أطلق عليهم اسم « العبرانيين ») وإيران منذ أقدم العصور (١٠,٠٠٠ ق.م) .

ويعتمد على المراجع الآتية :

* تاريخ مصر من فجر التاريخ حتى إنشاء مدينة الإسكندرية ، تأليف الكسندر شارف (ترجمة : د . عبد المنعم أبو بكر) .
* حضارة مصر والشرق القديم ، تأليف إبراهيم رزقانه ، محمد أنور شكرى وآخرين .
* قصة الحضارة ، المجلد الأول ، تأليف ول . ديورانت (ترجمة محمد بدران) .
* بلاد ما بين النهرين ، تأليف : ل . ريلابورت (ترجمة محرم كمال) .
* الحضارة الفينيقية ، كونتنو (ترجمة محمد عبد الهادى) .
* مصر من الإسكندر حتى الفتح العربى ، تأليف : هـ . بل (ترجمة عبد اللطيف أحمد على) .

تقويم مفردات المادة :

- مفردات المادة ومراجعها لا تخدم الفكرة الإسلامية مطلقا ، ولا عجب فى ذلك ، لأن هذه المادة بصورتها الحالية هى صورة طبق الأصل من مفردات المادة التى تدرس فى الجامعات غير الإسلامية عن تاريخ الشرق الأدنى القديم ، أى أن المنهج مأخوذ تقليدا دون نظر فى المخاطر التى تكمن فيه على فكر الأمة الإسلامية وأبنائها .

- كما أن مفردات المادة تعرض تاريخ الجاهلية الفرعونية ، والجاهلية البابلية والآشورية والفارسية ... كما تعرض لتاريخ اليهود على أساس أنهم ينتمون

إلى إبراهيم وإسحاق ويعقوب ، كما تَعْرِض لتاريخ سليمان على أساس أنه نبى يهودى (وهذا يتضح عند فحص المراجع المقررة) .

- تدريس المادة يعتمد على مراجع تعادى التصور الدينى عموما والتصور الإسلامى على وجه الخصوص ، وسنعرض لذلك تفصيلا .
- تسقط المادة بمراجعها من اعتبارها رسالتى يوسف وموسى عليهما السلام إلى شعب مصر ، كما تسقط رسالة نوح وإبراهيم ويونس عليهم السلام إلى أهل الرافدين . كما تتجاهل الرسالات السماوية التى تمت فى بلاد الشام والتى حملها إبراهيم وإسحاق وذريتهم من الأنبياء والرسل عليهم السلام . كما تسقط وتتجاهل الدين الصحيح وهو الإسلام الذى دعا إليه هؤلاء الرسل (١) عليهم السلام ، أى أنها تعالج تاريخ تلك الأمم على أساس أنها لم تعرف الرسالات السماوية طيلة ما يسمى بتاريخها القديم .

مراجع المادة :

تعتمد فى مصادرها على الآثار ، وما كتبه المؤرخون اليونان والرومان ، والتوراة والإنجيل ، وتستبعد القرآن الكريم والسنة المطهرة ، رغم أنه لا يوجد لدينا مصادر نستقى منها معلومات موثقة عن التاريخ المبكر لهذه الشعوب إلا من خلال القرآن والسنة .

تعرض المادة لآلاف السنين من تاريخ مصر والعراق وبلاد الشام وإيران على أنه تاريخ جاهلى محض ، لم تعرف هذه الأمم أثناءها أن هنالك إله واحد يستحق العبادة .

غالب من كتب فى هذا التاريخ « مصر والشرق القديم » هم اليهود والنصارى ، الذين يهدفون إلى رد المسلمين كفارا حسدا من عند أنفسهم . وكتابات أبناء العرب والمسلمين امتداد لما كتبه اليهود والنصارى بوعي أو غيره وفحص المراجع السابقة يؤكد ذلك .

---

(١) كما أنها قد وقعت فى دائرة الاعتداء على هؤلاء الرسل عليهم السلام ، فجعلت منهم القاتل ، ومنهم الزانى ، ومنهم سفاك الدماء ومنهم الديوث ، بل ووقعت فى دائرة الاعتداء على ذات الله سبحانه وتعالى وقد لاحظنا ذلك عند فحص المراجع . (انظر ص ٣٨ ومابعدها) .

المنهج من خلال المراجع يتبنى منهج مقارنة الأديان ، وهو أن الدين من اختراع العقل البشرى ، تصور فيه الإنسان له آلهة على قدر نضوجه الفكرى ، وتطور في هذا التصور من التعدد إلى التثنية إلى التوحيد (انظر المراجع السالفة الذكر ، ونختار نموذجا منها هو كتاب محمد أنور شكرى الذى يشترك فيه مع آخرين « حضارة مصر والشرق القديم » .

ص ٨٢ : (كانت للديانة فى مصر أهمية كبرى فقد اعتقد المصريون أن بلادهم تحكمها الآلهة فى عصورها الأولى ، ... على أن الديانة المصرية إنما ترجع فى أصولها إلى الأزمنة الأولى وإلى الظروف الطبيعية التى كانت تسود مصر ، فقد كانت مصر تذخر بالمناقع والأحراش التى تعيش فيها أفراس النهر والتماسيح .... والظباء .... والسباع ، وكان المصريون فى حياتهم على أوثق اتصال بطبيعة بلادهم ، لذلك فلا غرابة أن آنسوا فى بعض الحيوان والطير من الصفات والخصائص ما أثار شعورهم فقدسوه رهبة وخشية كاللبؤة والتمساح .... أو ابتغاء خيره ونفعه كالبقرة والثور . وكان إله المدينة (ص ٨٣) يعتبر عند سكانها أعظم من آلهة المدن الأخرى ، فهو الذى خلق كل شيء وهو واهب الخيرات والنعم ..... وكانت أغلب المعبودات من الحيوان ، وبعضها من النبات أو الجماد ، بيد أن المفكرين منهم إنما كانوا يعتبرونها مظهر القوة الإلهية ، أو مقرا لها تحل فيها . (الكاتب لا يعلق ولو بكلمة واحدة ، إن كان ذلك كفر أم لا ، وثنية أم لا ؟ إنما هي مظاهر حضارية !!) ..

(على أن إله الشمس اتخذ اسما جديدا وهو « آتون » ولم يكن هذا الاسم مجهولا من قبل ، ولكن لم تكن له قداسة أو صفة دينية ، إذ كان المصريون يقصدون به قرص الشمس التى لم يكونوا يتعبدون لها ، وإن كانوا يرون أنها مقر الإله (ص ٢٠٦) ، وقد كرس أمنحوتب الرابع (إخناتون) حياته لعقيدته الدينية والدعوة لها دون سائر مهام الملك .... وشغل بإعلان معتقداته والترويج لها ، وهدايته شعبه إلى الحقيقة والدين الصحيح) (ص ٢٠٧) .

وهكذا صور الكاتب عبادة آتون – قرص الشمس – على أنها الحقيقة والدين الصحيح ؟؟ ..

والكتاب بعد ذلك كله فيما يتصل بتاريخ مصر يعرض موضوعات اعتناق

الفكر الكامن وراء بعضها يخرج صاحبها عن طريق الإسلام ، فهو يتحدث عن : الرسوم ، والنقوش ، وصناعة التماثيل ، والديانة والعقائد الجنائزية الوثنية والآلهة المحلية ، والمعبودات من الحيوان وتمثيل الآلهة على هيئة إنسان والآلهة الكونية وعبادة رع ، والمعابد ، والبعث : واعتبره من اختراع العقل البشرى (ص ٩٤ : فالمصريون قد وصلوا إليه من تلقاء أنفسهم) ، وتحدث الكاتب عن الحياة فى القصور والرقص والموسيقى والغناء وفن صناعة التماثيل (آمل أن يطلع على الكتاب ، ص ٦٥ - ٢٤٩ لنرى أن الكتاب والمنهج المعتمد عليه لا يمكن أن يخدم فكرة إسلامية واحدة ، بل على العكس من ذلك يخدم الفكر الوثنى والجاهلى بعناية فائقة .

وفى نفس الخط يسير الدكتور محمد عبد المنعم أبو بكر فى عرضه لتاريخ العراق القديم ، ص ٢٥٤ - ٣٤٦ ، وعرضه لعقائد تلك البلاد (ص ٢٧٦ ، ٣٠١ ، ٣١١) وتخلص بعد قراءة الكتاب أن البشرية قد خُلِقَتْ ، ولم تكن تعرف لها ربا ولا دينا ، فاختارت لها آلهة على قدر نضوجها الفكرى .... إلى آخره .

وفى نفس الخط يسير د . حسن أحمد محمود وهو يعرض لتاريخ بلاد الشام (ص ٣٤٩) إلى آخر الكتاب .

ليس هذا فحسب ، ففي نفس الخط تسير كل الكتابات التى تمت فى مجال ما يسمى بتاريخ « الشرق الأدنى القديم » فهى تحرص على هدم التصور الدينى عموما والتصور الإسلامى على وجه الخصوص ، لأن فيها اعتداء واضحا وصريحا على ذات الله وأنبيائه ورسله وكتبه ، كما شاهدنا من خلال عرضنا لمراجع هذه المادة .

المبحث الثالث

(ج) مادة الإغريق والروم :

وهى تعالج تاريخ أوروبا فى عصورها القديمة (اليونان والروم) . وهى تعتمد على المراجع التالية :

* معالم تاريخ الإنسانية ، تأليف هـ . ج . ولز (تعريب عبد العزيز توفيق جاويد) .
* قصة الحضارة ، المجلد الثانى ، والمجلد الثالث ، ول . ديورانت (ترجمة محمد بدران وزكى نجيب محمود) .
* الإغريق ، تأليف هـ . د . كيتو (ترجمة عبد الرازق يسرى) .
* الامبراطورية الرومانية ، تأليف م . ن . تشارلز وورث (ترجمة رمزى عبده جرجس) .
* الإغريق ، تاريخهم وحضارتهم ، تأليف د . سيد أحمد الناصرى .
* تاريخ الرومان ، تأليف د . إبراهيم نصحى .
* تاريخ الحضارة الهلينية ، تأليف أرنولد توينبى (ترجمة رمزى عبده جرجس) .

المنهج بمراجعه مأخوذ تقليدا عن دور العلم الغربية ، ويدرس بحذافيره فى أقسام التاريخ بالجامعات الموجودة ببلاد المسلمين ، وهو يخدم الهدف الاستشراقي فى هدم التصور الدينى ، والرفع من قيمة المجتمعات غير الإسلامية ، واعتبارها صاحبة حضارة رغم بعدها عن نظام الله عز وجل . إن أوروبا تدرس هذا المنهج لأبنائها وأبناء الغير لتحقيق مخطط يهدف إلى رد المسلمين كفارا حسدا من عند أنفسهم هذا المخطط يهدف إلى تربية أبناء أوروبا وأبناء المسلمين على أن أوروبا هى صاحبة الدور الأول فى حياة البشرية ، وأنها صاحبة الحق فى أن تحكم حياتها وحياة البشرية بمبادئها وفلسفاتها ومذاهبها ، وأن الأمة المسلمة قد تسولت دينها وحضارتها من على موائد الأوربيين (فزعموا أن الدين الإسلامى قد ولد نتيجة

امتزاج الديانة الهلينية والديانة العبرية ، وأن الحضارة الإسلامية هى امتداد ما يسمونه بالحضارة الهلينية ، وأن الأمة المسلمة مدينة بكثير من مثلها ومبادئها لما يسمونه بالهلينية .

والمنهج بمراجعه ، خاصة الأول والثانى والأخير ، فإنه حريص على هدم التصور الدينى عموما والتصور الإسلامى على وجه الخصوص ... ، (فمعالم تاريخ الإنسانية ، وقصة الحضارة) حريصة على نفى الخالق العظيم لهذا الكون كما تجاهلت قصة خلق آدم عليه السلام وصورت الإنسان على أنه من سلالة الحيوان الذى تطور عن الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات عبر ملايين السنين .

كما أن مصادر هذه المراجع لا يمكن أن تصمد أمام الجرح والتعديل ، فالأسطورة تشكل جزءا من مصادر ذلك التاريخ .

فى النهاية يمكن القول أن المنهج لا يخدم فكرة إسلامية واحدة ، بل على العكس يهدف إلى تقويض بنيان التصور الدينى الإسلامى ، وإقامة تصور علمانى يزعم أن أصول التربية لدى اليونان والفقه الإسلامى مأخوذ عن القانون الرومانى والديمقراطية أصلح نظام للحكم فى عالمنا المعاصر .

كما أن مفردات المادة تتعرض للإلياذة ، والأوديسا على أنها من الأدب الرفيع ، لا على أنها أساطير تعكس لنا الانحراف الفكرى والعقائدى الذى كان عليه أبناء اليونان ؟ كما أنها تتعرض لعقائد البلاد الوثنية دون بيان فسادها ودون التعرض للرسالات السماوية التى أبلغت إلى أهل اليونان وأهل الروم ، وتدعوهم إلى الإسلام كما أنها تهتم بدراسة الأنظمة والقوانين اليونانية والرومية دون بيان فسادها – وكيف أنها كقوانين وضعية لم يتحقق لأهلها سوى الشقاء والقلق – كوسيلة لخدمة قضية أكبر ، وهى أن الإسلام كشريعة ونظام هو الوحيد الكفيل بتحقيق العدالة والأمن للبشرية لأنه نظام ربانى . كما أن المنهج لم يبين لنا كيف أن شعار القومية والوطنية لم يمنع من إراقة الدماء داخل الدولة اليونانية والدولة الرومية ، وما هى المخاطر التى تكمن فى إثارة نعرات العصبية والوطنية ، على الأمم ، ولم يبين لنا حقيقة الهجمة الاستعمارية الشرسة ممثلة فى الاستعمار اليونانى والاستعمار الرومى الذى اصطلى نصف العالم بمظالمه ، ولم يبين لنا متى

وقعت بيت المقدس أسيرة للاستعمار اليونانى ثم الرومى ، وما هو موقف الدولة الرومية من رسالة عيسى عليه السلام ، التى دعت إلى الإسلام ، وكيف أن مؤرخى أوروبا اعتبروا عيسى - عليه السلام - ثائرا متمردا يستحق القتل ، ولذلك أُهْدِرَ دمُه ، وكيف أنهم زعموا أنه ولد من سفاح - والعياذ بالله - وأنه قد اخترع دينه - أى الإسلام - الذى دعا إليه ، كما أن المنهج لم يبين أثر التربية المختلطة بين الشباب والفتيات التى نادى بها المصلح - بل المفسد - ليكورجوس الإسبارطي وما كان لها من أضرار وخيمة على حياة العالم الغربى ، كما لم يحدثنا عن ملامح الجاهلية اليونانية والرومية - لا حضارتها - ومدى انحرافها فى مجال العقيدة والأخلاق والاجتماع والاقتصاد والسياسة . كما أنه لم يسع إلى الرد على الشبهات التى أثارها مؤرخو الغرب وأبناء العرب المسلمين من أن الفقه الإسلامى مأخوذ عن القانون الرومانى (١) ، وأن النظام السياسى فى الإسلام له أصول يونانية (٢) ، كما أن المنهج لم يبين كيف أن التراث اليونانى والرومى ، يمثل نكسة خطيرة فى تاريخ البشرية لعدم التزامه بالتوجيه الإلهى (٣) ، وكيف أن نقل ذلك الفكر الفلسفى ترتب عليه ظهور الإلحاد والفرق فى بلاد المسلمين (٤) ، كما أدى إلى ظهور فكرة الصراع بين البشر والآلهة ؟ وإلى ظهور المبدأ الديمقراطى الذى يجعل الحكم حقا للبشر وليس لله رب العالمين !!! كما أن المنهج لم يبين لنا كيف أن اتجاهات الفلسفة بجملتها واتجاهات تفسير التاريخ الإنسانى بجملتها ، ومباحث الأخلاق بجملتها ، واتجاهات علم النفس ومقارنة الأديان وتفسير المذاهب الاجتماعية بجملتها ، هى الفكر الجاهلى اليونانى والرومى الذى يحوى فى أصوله عداء ظاهرا أو خفيا للتصور الدينى جملة والتصور الإسلامى على وجه الخصوص .

كان بودى أن يكون منهج تلك المادة منبثقا من تصورات الأمة المسلمة ودينها ، وأن يكون متناسقا مع التفكير الإسلامى الشديد وموافقا لحاجات الأمة

---

(١) الحضارة العربية الإسلامية ، ص ٤١ .

(٢) الأصول اليونانية للنظريات السياسية فى الإسلام ، تقديم د. عبدالرحمن بدوى .

(٣) تهافت الفلاسفة ، لأبى حامد الغزالى .

(٤) رجال الفكر والدعوة فى الإسلام تأليف أبى الحسن الندوى .

ويرمى إلى تحقيق أهدافها ، كان بودنا أن يبين لنا المنهج فساد تلك الدعاوى الضالة المضلة التى قال بها « ول . ديورانت »[1] :

* « إن منح لقب أغسطس قد حباه بحماية الهالة وخلع عليه هالة من القداسة .
* إن عدم الزواج والاتصال بالعاهرات واتخاذ السرارى والعشيقات وإجهاض الزوجات وقتل الأطفال ومنع الحمل من مستلزمات الحضارة .
* إن إصلاح الأخلاق وظيفة القديسين والمنافقين وأن الفضائل تقضى على صاحبها ، وأن الزواج عملية زنا ، وأن التاريخ قد ظلم عهد الطغاة (الذين ضيعوا أمانة الحكم) . إن النزعة الأخلاقية فى الكتابات التاريخية أكبر عيوب الكاتب ، ولذلك يجب ألا يقدم العالم الأخلاق على كتابة التاريخ .
* إن الامبراطورية الرومانية هى التى مهدت لقيام العالم الحديث وأنها خلفت لوريثاتها وحليفاتها بعض المثل العليا التى لا أمل فى حياة العالم الحديث بدونها[2] .
* إن سبب انهيار الدولة الرومية هو الدين[3] !! .

لماذا لم يورد المنهج وجهة النظر الإسلامية فى ما يسمى بالحضارة اليونانية والرومية خدمة للفكرة الإسلامية ؟ لماذا لم يعرض لما قاله الشيخ أبو الحسن الندوى فى كتابه ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ، وما قاله روبرت بريفولت ، الفريد جـ . بتلر عن الحكم الرومانى ، وما أورده الأستاذ كرد على عن الحكم الرومانى فى بلاد الشام لماذا لم يستعرض المنهج ما قاله الأستاذ محمد قطب فى كتابه « جاهلية القرن العشرين » عن اليونان والرومان ، وما أورده الأستاذ المودودى فى كتابه عن « اليونان والرومان » وما كتبه الأستاذ سيد قطب فى كتابه الإسلام ومشكلات الحضارة ؟

* لماذا لم يقم المنهج بتقويم التاريخ اليونانى والرومانى فى ضوء التصور الإسلامى .

---

(١) قصة الحضارة ، قيصر والمسيح ، ص ١٤ ، ٢٥ ، ٢٧ ، ٢٩ .
(٢) الامبراطورية الرومانية ، ص ٢٣٥ – ٢٣٦ .
(٣) اضمحلال الامبراطورية الرومانية وسقوطها ، جـ ٢ .

* ولماذا لم يستخدم المنهج الإسلامى فى نقد تاريخ هذه الدول وأئمتها ومقدساتها إن كان لها مقدسات !! وفاتحيها ورؤسائها وعلمائها ، حتى نبين للمخدوعين حقيقة هذه الحضارة المزعومة ورجالاتها وساساتها وعلمائها ، فنراها مهلهلة الثياب ، لا أثر فيها لكرامة ولا للخلق ولا للضمير » ، كما يقول د . مصطفى السباعى فى كتابه السنة ومكانتها فى التشريع الإسلامى .

الجزء الخامس

النتـــائج :

لقد ترتب على ذلك التشويه والتزييف لتاريخ البشرية عموما ، والتاريخ الإسلامى على وجه الخصوص ، تربية أجيال لا تعرف لها ربا من الواجب عليها عبادته ، وإخضاع جميع جوانب الحياة لنظامه وشرعه ، وتربية أجيال لا تعرف أن لها أبا هو آدم عليه السلام ، وإنما تتخيل أن لها آباء من سلالة الحيوانات والقردة .

لقد تربى على ذلك التاريخ المزيف أجيال لا تعرف أن هنالك دين هو الإسلام ، وأنهم مكلفون باعتناقه ، وأنه الدين الواحد الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره .

لقد تربى على ذلك التاريخ المزيف أجيال تتصور أن الإسلام عبارة عن مزيج من الوثنية اليونانية والعبرية ، أو اليهودية والمسيحية والعقائد الجاهلية .

لقد تربى على ذلك التاريخ المزيف أجيال لا تعرف لها تاريخا إسلاميا قبل بعثة محمد ﷺ .

لقد نجح التشويه والتزييف والتجهيل بتاريخ الأمة فى تحقيق هدفه لدرجة أنك إذا سألت بعض الطلاب عن بدء ظهور الإسلام ، لأجابك ، ببعثة محمد ﷺ ، متجاهلا بذلك الإسلام الذى فطر عليه الكون كله ، متجاهلا الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء ، الإسلام الذى دعا إليه نوح وموسى وعيسى وسليمان ولوط وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام (١) .

لقد تربى على ذلك التاريخ المزيف أجيال تتصور أن اليهودية دين دعا إليه

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الرسالة الأولى .

رسول من عند الله ، وأن المسيحية دين دعا إليه رسول ، وأن الإسلام هو خاتم هذه الأديان التى سموها سماوية ، كأن الله سبحانه وتعالى عنده مخزن أديان ، كل فترة يرسل من يدعو إلى دين جديد .

إن هذه الهجمة اليهودية - الصليبية الإلحادية التى استهدفت تشويه وتزييف التاريخ الإسلامى ، وتربية أجيال على الكفر والإلحاد قد نجحت فى ذلك أيما نجاح ، والدليل على ذلك :

أن جزءا كبيرا من بنى البشر قد صُدَّ عن سبيل الله ، لأنه قد حيل بينهم وبين معرفة الدين الصحيح ، وأن جزءا كبيرا من أبناء المسلمين لا يعرفون أن لهم تاريخا إسلاميا عمره بضعة آلاف من السنين ، بل على العكس من ذلك يتصورون أنه ليس لهم تاريخ إلا التاريخ الوثنى : الفرعونى والآشورى والبابلى والعربى ... إلى غير ذلك ، وإن أطلقوا عليه اسم « الحضارة الفرعونية » و « الحضارة الآشورية » ، و « الحضارة العربية » .

لقد تربى على هذا الفكر التاريخى الفاسد أجيال غاب عن أذهانها بديهيات هى أن الأمة المسلمة هى الأمة الشاهدة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ، ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ . فالله لا يقبل من الأمة المسلمة إلا أن يكون زمام البشرية بيدها ، تسير حياتها وحياة البشرية بالمنهج الرباني .

تربت أجيال لا تدرك أنه لابد للمسلمين من خلافة على منهج النبوة ، توحد الأمة المسلمة ، وتأخذ بيدها ، وتحرر شعوب المسلمين من ظلم الطواغيت ، وتحرر الأرض الإسلامية ، فتستعيد الأقصى وسمرقند وبخارى وطشقند وتركستان وغيرها من بلاد الإسلام .

لقد نجم عن هذا تخريج أجيال غاب عن ذهنها أن من الواجبات الملقاة على عاتقهم أن تكون شريعة الله حاكمة فى الأرض كلها .

تربت أجيال نسيت أن الجهاد واجب لتطهير الأرض من الطغاة الملحدين ، الذين استعبدوا البشرية ، سواء أكانوا من الروس أو الصينيين أو الصليبيين أو الهندوس .... الخ .

تربت أجيال نسيت أن الجهاد فى سبيل الله هو ذروة سنام الإسلام .

لقد نجم عن هـــذا :

أن أصبح للكفر والإلحاد دول تسمى بالعظمى ، والمسلمون مستضعفون فى هذه الأرض ، ولم يقف ذلك الإلحاد عند الدول الكبرى فحسب ، ولكن تعداه إلى بلاد المسلمين فنرى قادة يتسمون باسم المسلمين ، ويدينون بالماركسية والاشتراكية واللينينية ، بل ووصل الأمر أن بعض أبناء المسلمين جندوا فى جيوش الملحدين الروس لقتال المسلمين فى أفغانستان ، بل وأثمر ذلك أبناء للمسلمين لايستنكرون – مجرد الاستنكار – للعدوان الواقع على المسلمين الذين يسعون لتكون كلمة الله هى العليا . فأصبحوا شياطين خرسا كما قال ﷺ .

الدليل على نجاح حملة التشويه للتاريخ الإسلامى :

هو ذلك الواقع المحزن الذى تعيشه أمتنا الإسلامية .... إنها تعيش حالة الغثائية ، التى أخبر عنها الرسول محمد ﷺ ... وإلا ما تجرأ عليها قادة الإلحاد والكفر ، وما تألبت عليها قوى الشر والعدوان .

الدليل : أنه قد أصبح للإلحاد دولا تنافح عنه ، وتسعى إلى نشر إلحادها فى بلاد المسلمين . بل وتقتطع أجزاء عزيزة علينا من أراضى الإسلام ...

الدليل : هو ذلك الاضطهاد للفكرة الإسلامية وأبنائها فى غالب بقاع الأرض .

الدليل : هو الانحسار المتتابع للحكم الإسلامي فى غالب بقاع الأرض ، وإحلال مبادىء غير إسلامية مكانها ، تحت اسم البعث القومى ، وتارة تحت اسم الديمقراطية وتارة تحت اسم التقدمية والاشتراكية والوحدة إلى غير ذلك من هذه المبادىء الهدامة ، التى أصبحت تباشر نشاطها على أرض الإسلام وفى عقر دور المسلمين .

الدليل : هو تنحية شريعة الله عن الحكم ، والإسلام كنظام حياة فى حياة أغلب الشعوب الإسلامية .

الدليل : هو دور العلم التى تدرس الإلحاد والكفر باسم العلم ....

الدليل : نراه فى المراجع والمصادر التى تحمل الكفر بين طياتها ، والتى لا تخلو منها مكتبة من مكتبات العالم ..

الدليل هو ذلك الطالب الذى يتخرج من دور العلم ، فنسى دوره الأساسى الذى من أجله خلقه الله – سبحانه وتعالى – « وهو العبادة » ، فأصبح همه دنيويا بحتا لا مجال فيه للإعداد للآخرة . فنسي بذلك قوله تعالى : ﴿ وابتغ فيما آتاك الله الدار الآخرة ، ولا تنس نصيبك من الدنيا ، وأحسن كما أحسن الله إليك ﴾ .

الفصـــل الثالث

الجزء الأول

التصور العام المقترح لمواد التاريخ الإسلامى فى ضوء التصور الإسلامى الذى يقوم على القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ

الفصـــل الأول

الجـــزء الأول

التصوُّر العام المقترح لمواد التاريخ الإسلامى في ضوء الكتاب والسنة

إن البداية الحقيقية لتاريخ الدين الإسلامى يرتبط بخلق الكون بما فيه مسلماً طائعاً منقاداً لله عز وجل .

والبداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة ، الواقع التطبيقى لدين الإسلام ، يرتبط بنزول آدم إلى الأرض هو وزوجه مسلمين موحدين ، وفيما بعد أصبح آدم وزوجه وبنوه يشكلون نواة المجتمع المسلم الأول ، وهى البداية الحقيقية لتاريخ الأمة المسلمة : ﴿ قلنا اهبطوا منها جميعاً ، فإمّا يأتينكم منى هدى فمن تبع هداى فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ، والذين كفروا ، وكذبوا بآياتنا ، أولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ﴾ ونزل مع آدم وزوجه ، الشيطان ، مأذون له فى إغوائهما ؛ وبهذا استمر الصراع الذى بدأت ملامحه فى الجنة حيث أغرى إبليس – لعنة الله – آدم عليه السلام فى الأكل من الشجرة : ﴿ وإذ قلنا ياآدم أسكن أنت وزوجك الجنة ، وكلا منها رغداً حيث شئتما ، ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين ، فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه ، وقلنا اهبطوا بعضكم لبعض عدو ، ولكم فى الأرض مستقر ومتاع إلى حين ﴾ .

آدم وزوجه وبنيه وبين حزب الشيطان ، ممثلاً فى إبليس وذراريه ، منذ ذلك الزمان البعيد وحتى اليوم وغداً إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها .

وآدم عليه السلام أدرك جيداً لماذا خلقه الله عز وجل ، ولماذا أنزله إلى الأرض : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ، ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون . إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴾ .

ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى قد ارتضى له الإسلام ديناً ، وعلمه وبنيه : ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام ديناً ، فلن يقبل منه ، وهو فى الآخرة من الخاسرين ﴾ .

ولهذا فإن الشيطان وحزبه حريصون كل الحرص على اجتيال أبناء آدم عن الإسلام فى كل زمان ومكان : « خلقت عبادى حنفاء ، فجاءتهم الشياطين فاجتالتهم عن دينهم »[1] .

ومع العمل الدائم والدائب للشيطان وحزبه لاجتيال الأمة المسلمة عن دينها حدث الانحراف فى البداية ، فى حياة أحد أبناء آدم الذى قتل أخاه الذى تقبل الله منه عمله ، وبعد ذلك ندم على ما فرط منه : ﴿ فأصبح من النادمين ﴾ .

وواصل أبناء آدم مسيرتهم على مدار الزمان حتى العصر الذى بعث فيه نوح عليه السلام : « وكما ورد فى الحديث الصحيح : كان بين آدم ونوح عشرة قرون[2] يقول ابن عباس : كلهم على الإسلام ، أى عشرة أجيال كانت على الإسلام » . وهى تشكل جزءا من تاريخ الأمة المسلمة ، وقبيل بعثة نوح كان الشيطان وحزبه قد نجح فى اجتيال الأمة المسلمة عن دينها « لا نقول كلها » ، فالأرض لا ينقطع عنها نور الحق ، كما لا يخبو منها كيد الشيطان إلا إذا كان الحق ظاهراً قوياً عزيزاً ، ولهذا فقد أرسل الله نوحاً يدعو قومه للعودة إلى الإسلام وعبادة الله وحده : ﴿ واتل عليهم نبأ نوح إذ قال لقومه : ياقوم إن كان كبر

---

(١) رواه ابن جرير عند قوله تعالى ﴿ كان الناس أمة واحدة ﴾ من سورة البقرة ورواه الحاكم فى المستدرك جـ ٢ ، ص ٥٤٦ .

(٢) رواه البخارى .

عليكم مقامى وتذكيرى بآيات الله فعلى الله توكلت فأجمعوا أمركم وشركاءكم ثم لا يكن أمركم عليكم غمة ، ثم اقضوا إلى ولا تنظرون . فإن توليتم ، فما سألتكم من أجر إن أجرى إلا على الله ، وأمرت أن أكون من المسلمين ﴾[1] .

واستمر الصراع بين حزب الله وحزب الشيطان ، بين نوح وأتباعه من المسلمين ، وبين الشيطان وأتباعه من شياطين الإنس والجن ؛ وبمعنى آخر بين الأمة المسلمة التى تخضع حياتها لنظام الله وشرعه ، وبين الشيطان وحزبه الذى لا يريد للحياة أن تستقيم على أمر الله ، وبعد ذلك جاء الوقت الذى استُأصِلَ فيه شأفة الباطل ، ومُكِّنَ لحزب الله ممثلا فى نوح عليه السلام ، واتباعه من المسلمين .

وكان لنوح عليه السلام ثلاثة أبناء مسلمين هم : سام وحام ويافث . ورحل سام إلى جزيرة العرب مكونا مع زوجه وبنيه نواة الأمة المسلمة فى جزيرة العرب ، ورحل حام إلى إفريقية وكون هو وزوجه وبنوه نواة المجتمع المسلم فى قارة إفريقية ، ورحل يافث إلى أوروبا وكون هو وزوجه وبنوه نواة المجتمع المسلم فى أوروبا . وهذا تصديق لحديث رسول الله ﷺ : « سام أبو العرب ، حام أبو الحبش ، ويافث أبو الروم »[2] .

لقد أصبح هناك ثلاثة مجتمعات ، أو ثلاث أمم فى ثلاث قارات ، تقوم حياتها على الإسلام عقيدة وشريعة .

أى أن الأصل فى عقيدة بنى آدم الإسلام ، لأنه دين الفطرة ، وبهذا أخذ الله العهد على بنى آدم : ﴿ وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم ، وأشهدهم على أنفسهم : ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ، شهدنا أن تقولوا يوم القيامة : إنَّا كُنَّا عن هذا غافلين ، أو تقولوا : إنَّما أشرك آباؤنا من قبل ، وكنا ذرية من بعدهم ، أفتهلكنا بما فعل المبطلون ﴾ .

---

(١) يونس : ٧٢ .

(٢) رواه الترمذى ، من حديث سمرة بن جندب عن رسول الله ﷺ .

كما أن أكمل صورة للخلق تتمثل فى آدم عليه السلام ، الذى خلقه الله عز وجل بطول ستين ذراع ، وما زال الخلق ينقص حتى الآن ، فى العمر والبنية وكل شيء ، فآدم عاش ألف سنة أو يزيد على الأرض ، والآن أعمار الأمة ما بين الستين والسبعين ، فى الماضى كانوا عمالقة والآن ضعفت بنيتهم . وبدراسة المجتمع الإسلامى الأول على عهد آدم وبنيه نجد الصورة الكاملة للحضارة الإسلامية متمثلة فى ذلك المجتمع ، وبدراسة مراحل الانحراف التى وقعت فى حياة البشرية من أبناء آدم نجد أنه كلما زاد الانحراف كلما انقرضت ملامح المجتمع المتحضر ؛ ولم تعرف البشرية الحضارة إلا فى ظل المجتمع المسلم .

ومن المؤكد أن الأمة المسلمة لها سمت واحد مشترك ، سواء سكنت إفريقية أو اسيا أو أوروبا ، هذه الأمة قال الله عنها : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة ، وأنا ربكم فاعبدون ﴾ . غايتها فى هذه الأرض تحقيق العبودية لله عز وجل فى جميع مناحى الحياة ، ولن يتحقق ذلك إلا إذا كانت كلمة الله هى العليا ، والعقبة التى تحول بين الأمة المسلمة وتحقيق هذه الغاية دائما ، هى الكيد الشيطانى والتآمر العالمى من قبل حزب الشيطان الذى يحرص على اجتيال الأمة المسلمة عند دينها ؛ ولذلك فإن رحمة الله عز وجل ، اقتضت أن يرسل إلى الأمم رسلا مبشرين ومنذرين يردون أبناء آدم فى كل مكان إلى ربهم الحق ودينهم الحق .

ومن هؤلاء هود وصالح وشعيب وإبراهم وإسماعيل عليهم السلام إلى الأمم والشعوب التى سكنت جزيرة العرب .

ومن هؤلاء إبراهيم ويونس ويسبقهما نوح عليهم السلام إلى أهل الرافدين (دجلة والفرات) أى العراق الحالى .

ومن هؤلاء يوسف وموسى عليهما السلام إلى الشعوب التى سكنت وادى النيل بمصر .

ومن هؤلاء إبراهيم ولوط وإسحاق ويعقوب (إسرائيل) وأبنائهم وداود وسليمان وعيسى عليهم السلام إلى الشعوب التى سكنت بلاد الشام (سورية وفلسطين) .

وغير هؤلاء كثير ، وهم بنص الحديث (ثلاث مائة وبضعة عشر رسولا) إلى جميع الأمم : ﴿ ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت ، فمنهم من هدى الله ، ومنهم من حقت عليه الضلالة ، فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين﴾ . ﴿ وإن من أمة إلا خلا فيها نذير ﴾ ولابد من إقامة الحجة على بني آدم : ﴿ وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ﴾ .

هؤلاء الرسل جميعا ، كانوا يدعون الأمم التى بعثوا فيها ، إلى الإسلام ، الذى هو دين الأنبياء والرسل جميعا ، وهو الدين الذى لا يقبل الله من الأولين والآخرين غيره ، وإن كان لكل أمة شرعة ومنهاجا ، ﴿ لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا ﴾ كما بينا في السابق [1] وبإرسال الرسل ، وبممارسة الدعوة ، يستعر أوار المعركة بين حزب الله ، الذى يريد أن يستنقذ البشرية الضالة من براثن الشيطان ، وبين حزب الشيطان ، الذى يقود البشرية الضالة من خطامها فى طريق الضلال ؛ ويحدث الابتلاء ، ويقع الشهداء ، ويتحقق فى النهاية وعد الله بإهلاك المكذبين ، والتمكين للمؤمنين الموحدين .

ولقد بين لنا القرآن الكريم شيئا كثيرا من أخبار القرون الأولى من حياة أبناء آدم ، حفظها الله سبحانه وتعالى فقال : ﴿ فما بال القرون الأولى ، قال : علمها عند ربى ، فى كتاب ، لا يضل ربى ولا ينسى ﴾ . ولقد حكى الله سبحانه وتعالى لنا فى القرآن الكريم عن أخبار الأمم السابقة ورسم لنا ملامح الأمة الإسلامية ، كما رسم لنا ملامح الأمم الجاهلية ؛ ومن خلال هذا العرض الربانى يجد الإنسان ملامح مشتركة ، وصلات متينة بين الأمة المسلمة التى استجابت لدعوة محمد ﷺ ، وبين الأمم المسلمة التى استجابت لجميع الرسل السابقين على رسالة محمد ﷺ ، قاعدة هذه الملامح المشتركة والصلات المتينة هى « لا إله إلا الله » أى لا معبود بحق إلا الله ، ﴿ فمن يؤمن بالله ويكفر بالطاغوت فقد استمسك بالعروة الوثقى ﴾ . والأمم الجاهلية ، لها سمات مشتركة ، تتمثل فى الكفر بالله وعبادة الطاغوت : ﴿ والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت ﴾ .

---

(١) أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ ، الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء ؛ جزيرة العرب ، ج ١ ، ج ٢ ، بلاد الشام ومصر ، دار الوفاء للطباعة والنشر .

وحول هذه القضية الكبرى يدور الصراع على هذه الأرض منذ القدم وحتى الآن وإلى الغد .

ومن هنا يجب أن تدور الدراسات التاريخية ، والأبحاث التاريخية حول هذه القضية الكبرى ، يجب أن تبرز ، وأن تكون هى المهيمن والموجه للأبحاث والدراسات التاريخية . ولا يمكن أن يزعم إنسان يكتب التاريخ ، تاريخ البشرية ، أو يدرس التاريخ ، أو يدّرس التاريخ أنه يحقق العبودية لله عز وجل من وراء عمله هذا إلا إذا كان جهده كله منصبا على تجلية هذه الحقيقة : « حقيقة لا إله إلا الله » من خلال عرض واستعراض تاريخ أبناء آدم على نسق العرض القرآنى .

ودراسة وكتابة تاريخ الأمة المسلمة منذ بداية نشأتها على عهد آدم عليه السلام إلى عصرنا الحالى فى ضوء التصور الإسلامى للدراسات التاريخية ، الذى رسم لنا ملامحه القرآن الكريم وسنة النبى محمد ﷺ يمكن أن يتم على النحو التالى ، وهو المنهج الذى سار عليه السلف الصالح رضوان الله عليهم ، اعتمادا على المصادر الموثقة وحدها ، لأن الأخيرة شرط فى تحقيق الغاية من المنهج :

- التعريف بالله سبحانه وتعالى والواجب فى حقه .
- التعريف بالكون ، وكونه خلق طائعا منقادا لله عز وجل ، لأنه لا يمكن دراسة تاريخ الإنسان دون معرفة للكون الذى استخلف فيه .
- التعريف بالمخلوقات التى خلقها الله فى هذا الكون ، وواجبات كل منها ، والغاية التى من أجلها خلق الله الخلق « وهى العبادة بمفهومها الشامل » .
- خلق آدم عليه السلام ، وبداية تكوين المجتمع المسلم ، وسمت هذا المجتمع ، والغاية : التى من أجلها خلق الله آدم وأنزله إلى الأرض مستخلفا فيها ، بعد أن زوده الله بكل مقومات الخلافة من علم ومعرفة ، والدين الذى ارتضاه الله لآدم وبنيه من بعده وهو الإسلام ، وإعلامه بأن سيكون من أبنائه مهتد وضال ، مجتمع مسلم ، ومجتمع جاهلى (١) .

---

(١) هذا الجزء من التاريخ هو الذى تعرضه المناهج التى تدرس حاليا فى دور العلم ، على أنه تاريخ العصور الحجرية والتى أثناءها تطور الإنسان عبر ملايين السنين من الخلية الحية التى نشأت فى البرك والمستنقعات مرورا بالقرد حتى وصل إلى صورته الحالية ، وأنه كان يعيش عيشة لا تختلف عن معيشة الحيوان ، ولم تكن قدراته العقلية تتعدى قدرات طفل بسيط ، بل ولم يكن يعرف الكلام ، ولم يكن يعرف

- عرض لقضية الإسلام وهو الدين الذى ارتضاه الله للبشرية (أبناء آدم) وأنه صالح لكل زمان ومكان دراسة تاريخ وحضارة الأمة المسلمة بداية بنوح عليه السلام حتى عصرنا الحاضر . ويمكن تقسيمه على النحو التالي :
- تاريخ الأمة المسلمة فى العراق وفى جزيرة العرب وفى مصر وبلاد الشام وإيران وتركيا وبلاد اليونانً والروم ، منذ عهد سام وحام ويافث أبناء نوح عليه السلام ، وحتى قبيل بعثة محمد ﷺ . مع عرض لفترات الانحراف التى نجح الشيطان وحزبه فيها من اجتيال أبناء المسلمين عن دينهم ، ورسم صورة لتلك الانحرافات التى كانت تغشى تلك المجتمعات .
- تاريخ الأمة المسلمة منذ بعثة محمد ﷺ حتى وفاته .
- تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلفاء الراشدين أبو بكر وعمر وعثمان وعلى رضى الله عنهم .
- تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلافة الأموية .
- تاريخ الأمة المسلمة على عهد الخلافة العباسية .
- تاريخ الأمة المسلمة على عهد خلافة آل عثمان .
- تاريخ الأمة المسلمة منذ انهيار خلافة آل عثمان .

= اللباس ، وكان يأكل اللحم نيئا ، فلم يكن يعرف النار ، واستأنس الحيوانات البرية ، واخترع الزراعة ، واخترع اللباس ، واكتشف النار .

هذا هو تاريخ الإنسان الذى نشأ من الخلية الحية فى البرك والمستنقعات ، وزعموا أنه لم يكن يعرف ربا فتخيل له آلهة على قدر نضوجه العقلى والفكرى ، نتيجة مشاهدته للحيوان ، خائفا من الرعد والبرق ، بل واتخذ له زوجة وذرية بعد أن تأثر من مشاهدة الحيوان يتناسل ويتكاثر ، بل واخترع لغة الكلام بعد أن لاحظ الحيوان يناجى الحيوان .

هذا هو تاريخ الإنسان الحيوان الذى خلق وترك هملا . فلم يكن يعرف له ربا ولم يكن يرتضى له دينا ، ولم يعرف له غاية ، ولم يرسل إليه برسل يعرفونه بأن له خالقا ، وأنه قد ارتضى له دينا ..

هذا الجزء من التاريخ المشوه المزيف المحرف هو الذى يدرس الآن فى دور العلم ، ويطلق عليه اسم : (تاريخ العرب قبل الإسلام) ، (تاريخ الشرق الأدنى القديم) ، (تاريخ اليونان والرومان) (تاريخ : عصر ما قبل التاريخ وفجره) . « انظر تفصيلات هذا العرض بمراجعه ومصادره فى بحثنا : أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ - الرسالة الثانية) .

وأثناء عرض تاريخ الأمة المسلمة على مدار الزمان ، يتعرض المنهج لعلاقات هذه الأمة بالشرق والغرب ، علاقتها بأوروبا فى عصر الدولة البيزنطية ، وفى عصر ما يسمونه بالنهضة ، وفى عصرها الحديث ؛ وهنا يبرز عامل الصراع وحقيقته بين الأمة المسلمة التى تريد أن تحكم حياتها وحياة البشرية بالمنهج الربانى ، والتى تريد أن تكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا هى السفلى ، وبين المجتمعات الصليبية – اليهودية الكافرة ، ومن خلال هذا تعالج الحروب الصليبية وتعالج قضايا الاحتلال للأمم والشعوب ، كما تعالج أيضا قضايا الهجمة اليهودية الشرسة التى تستهدف الأمة المسلمة ودينها وخيراتها ومقدراتها . فيدرك الفتى المسلم والشاب المسلم والأمة المسلمة حقيقة هذا الصراع ، وطبيعته بين حزب الله ممثلا فى الأمة المسلمة وحزب الشيطان الذى يقوم على أكتاف اليهود والصليبيين والملحدين دعائم الاستعمار العالمى . ويدرك حقيقة دوره والواجب الملقى على عاتقه ، وهو أنه لابد أن يوطن نفسه على جهاد طويل المدى حتى يستطيع بحول الله وقوته أن ينهى هذه الهجمة الاستعمارية اليهودية الصليبية الإلحادية الشرسة .

ومن هنا تأتى أهمية تربية الإنسان المسلم بالمنهج التاريخى من خلال استعراضه الوسيلة والكيفية التى واجه بها الصف المسلم الكيد الشيطانى ، كيف واجه محمد وصحبه والمسلمون الأوائل على مدار تاريخ الأمة ، الهجمات اليهودية – الصليبية – الإلحادية ، لكى يتعلم كيف يتصدى لها .

وأثناء عرض تاريخ الأمة المسلمة على مدار الزمان ، يتعرض المنهج لعلاقة الأمة المسلمة بالمغول والتتار ، والقرامطة الباطنية ، وغيرهم من الشعوب غير المسلمة.

ومن خلال هذا العرض يبدو أمام الناظر سمت المجتمع المسلم ، الواقع التطبيقى لهذا الدين ، الذى يجب على المسلمين أن يسعوا إلى إقامته فى الأرض كلها ، وعلى الجانب الآخر المجتمع الجاهلى الذى يقوم على أكتاف أعداء المسلمين من اليهود والنصارى والملحدين .

وهنا يجب أن يظهر الإسلام كنظام حياة شامل تمثل فى واقع حى ، كنظام سياسى ، وكنظام اقتصادى ، وكنظام تعليمى وثقافى ، وكنظام عسكرى .... إلى غير ذلك ، وهو بذلك يقدم الدليل من خلال التاريخ أن هذا النظام صالح لكل

زمان ومكان ، وهنا يجب التركيز أيضا على بيان أن البشرية (أبناء آدم) لم تعرف المجتمع المتحضر إلا فى ظل المجتمع الإسلامى ، مع بيان ملامح المجتمع المسلم المتحضر ، وبيان مراكز الحضارة الإسلامية على مدار التاريخ ، وأثرها فى حياة المجتمعات البشرية المعاصرة الأخرى .

على ألا يغيب عن أذهاننا دائما ونحن نعد المناهج التفصيلية ، القضية الكبرى التى من أجلها خلق الإنسان واستخلف فى الأرض : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ . وأنه من أوجب واجبات الأمة المسلمة حكاما ومحكومين ، رعاة ورعية ، دعوة البشرية الضالة إلى عبادة الله وحده ، بكافة طرق الدعوة التى بينها الله للأمة المسلمة .

وكذلك يجب ألا يغيب عن أذهاننا ، ونحن نعد المنهج جملة مبادىء أساسية :

١ - إن الأمة المسلمة بمقوماتها العقديه والحضارية هى صاحبة الدور الأول فى تاريخ البشرية لأنها هى الأمة الشاهدة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾ .

والأمة الوسط هى التى تقيم حياتها وحياة البشرية بالمنهج الربانى ، وبالتالى فإن الله سبحانه وتعالى لا يمكن أن يقبل من الأمة المسلمة أن تكون فى الذيل أو المؤخرة ، ولذلك فإن ضعفها الطارىء لا يقلل من قيمتها ووزنها على اعتبار أنها صاحبة رسالة خير أمة أخرجت للناس .

٢ - عدم معالجة قضايا الأمم الإسلامية من منطلق قومى عنصرى ، فاغتصاب أرض فلسطين قضية إسلامية ، واحتلال الروس لأرض الإسلام مع قهر الشعوب المسلمة بالحديد والنار لردهم كفارا بعد إيمانهم ، هى قضية إسلامية ، قضية الأقليات المسلمة المضطهدة فى العالم هى قضية إسلامية ، قضية احتلال الروس لأرض أفغانستان هى قضية إسلامية ، أى أنها قضية الإسلام المحارب المهان ، الذى يجب أن يقود . مع تأصيل هذه المشاكل أو القضايا تأصيلا إسلاميا ، أى أنها ليست مشكلة أرض مغتصبة ، ولكنها قضية أرض يجب أن يقوم عليها حكم الله

٣ - تتبع دور الجهاد فى حياة الأمة المسلمة على مدار الزمان ، وبيان أهميته ، وأنه فريضة ماضية وسنة إلى يوم القيامة ، وأن رزق الأمة المسلمة قد جعل تحت ظل رمحها وأنها ما تركت الجهاد إلا ذلت ، وأنه الوسيلة الربانية ، والمؤيدة لهذا الدين ، وأنه لا سبيل أمام الأمة إلى استعادة مقدساتها ، وإقامة حكم الله فى الأرض ، إلا إذا أخذت زمام المبادرة مجاهدة فى سبيل الله ، وعلى هذا المفهوم الذى يبرز فى المنهج ، يجب أن يتربى أبناء المسلمين .

٤ - إبراز خطورة الغزوة الفكرية الغربية التى تعرضت لها ديار الإسلام ، مع التصدى لها وبيان خطورتها .

٥ - بيان المنهج الإسلامى الذى يتعرض :

- للهدف الذى يجب أن يتحقق من وراء الدراسة والبحث فى تاريخ الأمة المسلمة .

- والوسائل التى تستخدم لتحقيق هذا الهدف ويدخل ضمنها :

أولا : المسائل التى يجب أن تعالج فى تاريخ الأمم وحضارتها .

ثانيا : سلامة النص أو الوثيقة التاريخية (ويدخل فى ذلك المصدر والمرجع) التى تعتمد عليها فى كتابة تاريخ الأمم وحضارتها . وهذا يحتاج أساسا لعلوم الجرح والتعديل ، والفقه وأصول الفقه ... إلى غير ذلك من العلوم الشرعية التى تعين على تحقيق هذا الجانب .

ثالثا : الأسلوب الواجب اتباعه لمعالجة المادة العلمية ، بما فى ذلك تحليل الأحداث ، واستخلاص النتائج تحقيقا للهدف المرسوم .

رابعا : الشخص المناط به إعداد الدراسات التاريخية والحضارية وتدوينها وتدريسها وتربية النشء عليها ، وتقديم النصح من خلالها .

خامسا : المعيار الذى يجب أن يستخدم فى تقويم تاريخ الأمم وحضارتها .

المبحث الأول
المـــواد التاريخية

المادة الأولى [1] : (الله خالق كل شيء)

أو المدخل إلى الدراسات التاريخية

- تعريف بالله سبحانه وتعالى وما يجب فى حقه .
- الكون بما فيه خلق من خلق الله عز وجل .
- **البداية الحقيقية لتاريخ الإسلام** : الكون كله طائع منقاد مستسلم لله عز وجل .
- التصور الإسلامى عن الإنسان والكون والحياة .
- **البداية الحقيقية للمجتمع المسلم الأول** : خلق آدم عليه السلام ، وحياته فى الجنة ، زواجه من حواء ، الشيطان يحاول أن يحتال آدم عن دينه ، آدم عليه السلام يأكل من الشجرة المحرمة عليه ، ندم آدم وتوبته ، نزوله إلى الأرض بداية الصراع بين الشيطان وحزبه ضد آدم وبنيه النصائح التى زود الله بها آدم قبل نزوله إلى الأرض ، الدروس المستفادة .
- **البداية الحقيقة لتاريخ الأمة المسلمة ، الواقع التطبيقى لهذا الدين** : يبدأ بحياة آدم وزوجه وبنيه على الأرض ، الغاية التى من أجلها خلق الله آدم وبنيه واستخلفهم فى الأرض : (العبادة بمفهومها الشامل) ، الدين الذى ارتضاه الله سبحانه وتعالى لآدم ولبنيه وللكون : الإسلام ﴿ ومن يبتغ غير الإسلام

---

(١) هذه المادة التى تَحمل التصور الإسلامى ضرورية لدارس التاريخ على اعتبار أنه من العلوم الواجب تحصيلها شرعا فى مقابل التصور غير الإسلامى الذى تحمله المراجع غير الإسلامية ويحمله أناس يتحركون به ، والذى يدرس فى المدارس والجامعات ، (مثال ذلك : تاريخ العالم لـ هامرتن ، معالم تاريخ الإنسانية لـ ولز ، موسوعة تاريخ العالم لـ لانجر ، موجز تاريخ العالم لـ ويلز ، قصة الحضارة لـ ديورانت ، وجميع المراجع التى كتبت عن التاريخ القديم (العرب قبل الإسلام ، تاريخ العرب القديم ، الشرق الأدنى القديم ، اليونان والرومان ... إلى غير ذلك) .

دينا فلن يقبل منه ، وهو في الآخرة من الخاسرين .

تاريخ دين الإسلام . وبيان أن الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره ، وأنه الدين الذى بعث به جميع الأنبياء والرسل ، وأنه دين صالح لكل زمان ومكان كنظام اقتصادى وسياسى وثقافى وتعليمى .... إلى غير ذلك .

بيان فساد مراجع ومصادر ما يسمى بالتاريخ القديم الذى كتبه المستشرقون اليهود والنصارى ومن عاونهم ، والذى يتبنى اتجاها معاديا للتصور الدينى على وجه العموم ، والتصور الإسلامى على وجه الخصوص ، من باب معرفة « سبيل المجرمين » وليكون لدى الدارس المسلم حصانة فكرية من مناهج الأعداء .

المصادر والمراجع :

يمكن كتابة مرجع فى هذا المنهج اعتمادا على :

أولا : القرآن الكريم وما يتصل به من تفاسير : تفسير الطبرى ، تفسير القرطبى ، تفسير ابن كثير ، فى ظلال القرآن .

ثانيا : كتب الحديث : صحيح البخارى ، صحيح مسلم ، فتح البارى لابن حجر العسقلانى شرح صحيح مسلم .

ثالثا : البداية والنهاية لابن كثير .

الهدف من دراسة هذه المادة :

تحقيق العبادة بمفهومها الشامل لله سبحانه وتعالى ، عن طريق معرفة الغاية التى من أجلها خلق الله الخلق ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ . والتعرف على سمات المجتمع المسلم الذى تقوم حياته على الإسلام والتعرف على هذا الإسلام الذى ارتضاه الله لأبناء آدم ، على مدار تاريخهم ، والتعرف على طبيعة الصراع بين بنى آدم وبنيه فى جانب ، وبين شياطين ، الإنس والجن فى جانب آخر ، مع بيان دور المسلم فى هذا الصراع ، وإدراك أن الله سبحانه وتعالى. قد أعلم آدم أنه سيتعهد أبناءه (أبناء آدم) بالرسل من آن لآخر ، يردونهم إلى ربهم ودينهم فى مواجهة الكيد الشيطانى والتآمر العالمى .

المبحث الثانى

أرض الرافدين منذ أقدم الدهور

المادة الثانية : أو الأمة المسلمة قبل بعثة محمد ﷺ فى العراق

- تاريخ الأمة المسلمة منذ عهد آدم إلى عهد نوح عليه السلام :
  * عشرة أجيال كلها على الإسلام - موطنهم
  * الشيطان يجتال الجيل الأخير عن دين الإسلام
  * ملامح الانحرافات التى طرأت على المجتمع المسلم
  * الله سبحانه وتعالى يبعث نوحا رسولا إلى أهل العراق
- **سيرة نوح عليه السلام :**

تعريف بهذا النبى الكريم - الأمة التى بعث فيها - مدى التمكين الذى تحقق لهذه الأمة فى أرض الله - الزمن الذى عاشت فيه تلك الأمة - ملامح التاريخ الفكرى والعقيدى والاجتماعى لهذه الأمة بعد انحرافها عن دين الله عز وجل . بعثة نوح عليه السلام - دعوته إلى الإسلام - الأسلوب الذى اتبعه نوح عليه السلام فى دعوته - موقف المجتمع من دعوة نوح عليه السلام : (ما بين مصدق ومكذب) - البلاغ الكامل - المفاصلة - الله سبحانه وتعالى يستأصل شأفة المشركين من قوم نوح ويمكن للمؤمنين الموحدين .

- إبراز سنة الله فى حياة الأمم والشعوب .
- التدمير على المجتمع المشرك بالطوفان .
- التمكين للمؤمنين الذين يعبدون الله ولا يشركون به .
- المجتمع المسلم بقيادة نوح (عليه السلام) : « الناجون من الطوفان » : ملامح ذلك المجتمع - وفاة نوح عليه السلام -
- بداية الانحراف عن دين الله عز وجل .

- أبناء نوح عليه السلام يتفرقون فى الأرض : سام أبو العرب – وحام أبو الحبش – ويافث أبو الروم .
- أبناء نوح يربون مجتمعاتهم على الإسلام .

* تاريخ بنى آدم الذى سكنوا أرض الرافدين وماحولها منذ وفاة نوح عليه السلام حتى بداية رسالة إبراهيم عليه السلام « ما تسمى بعصور ما قبل التاريخ ، عصر الدولة السومرية (٣٠٠٠ ق . م) ، الدولة الأكدية (٢٣٤٠ ق . م) ، وعصر دولة أور الثانية (٢١٢٥ ق. م) .

* تتبع رواسب خط توحيد الله سبحانه وتعالى فى حياة المجتمع .

الانحرافات التى وقعت فى حياة المجتمع المسلم الذى أقامه نوح عليه السلام على أرض الرافدين :

(أ) انحرافات فى العقيدة
(ب) انحرافات فى النظام
(جـ) انحرافات فى السلوك ..... إلى غير ذلك .

* ميلاد إبراهيم عليه السلام ونشأته على أرض الرافدين – الدعوة إلى الإسلام – الأسلوب الذى اتبعه إبراهيم عليه السلام فى الدعوة – موقع الدولة والمجتمع من دعوة إبراهيم عليه السلام – إبراهيم عليه السلام يبلغ البلاغ الكامل – إبراهيم عليه السلام يفاصل قومه ويبرأ منهم ومن الشرك الذى يباشرونه – تعرض إبراهيم عليه السلام للابتلاء (محاولة حرقه بالنار) – الله سبحانه وتعالى ينجى إبراهيم عليه السلام ومن معه ، وينزل الخسران بأهل الرافدين .

* الدروس المستفادة ومنها :

إبراز سنن الله الثابتة فى حياة الأمم :

(أ) التمكين للمؤمنين الموحدين .
(ب) التدمير على الكافرين والمشركين .
(جـ) منهج الإصلاح الاقتصادى والاجتماعى والسياسى .. إلى غير ذلك .

* مجتمع الرافدين بعد رحيل إبراهيم ولوط عليهما السلام (الغزو العيلامى

والأمورى ، الدولة الكادية والآشورية وبابل الكلدانية) وبه :

انحرافات عقيدية : شرك ، اتخاذ الأرباب آلهة ، ادعاء الألوهية ، الاستعلاء فى الأرض بغير الحق .

انحرافات فى السلوك .

* شبهات حول تاريخ الرافدين فيما يتصل بالدين والرسالات السماوية والشريعة والطوفان ، أثارها كتاب تاريخ أرض الرافدين ، وتهدف إلى هدم التصور الدينى عموما والتصور الإسلامى العقيدى (اختيار نماذج) مع دحضها فى ضوء التصور الإسلامى للدراسات التاريخية .

المصـــادر والمراجع :

يمكن كتابة مرجع فى هذا المنهج اعتماداً على :

أولا : القرآن الكريم وما يتصل به من تفاسير : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرآن العظيم .

ثانيا : كتب الحديث : صحيح البخارى ؛ صحيح مسلم ، فتح البارى لابن حجر العسقلانى شرح صحيح مسلم .

ثالثا : البداية والنهاية لابن كثير .

رابعا : الشرق الأدنى القديم مصر والعراق (مع وضع ضوابط معينة فيما يتصل بالاعتماد على النصوص القديمة المأخوذة من الكتاب)[1]

---

(١) بديل عن منهج تاريخ الشرق الأدنى القديم الذى يعرض تاريخ الأمة المسلمة على أنه تاريخ **جاهلى** محض لا أثر فيه للإله ولا النبوات ولا الرسالات .

المبحث الثالث

جزيرة العرب منذ أقدم الدهور[1]

المادة الثالثة . الأمة المسلمة قبل بعثة محمد ﷺ فى الجزيرة العربية .

تمهيد

سكان الجزيرة العربية ينتسبون إلى سام بن نوح عليه السلام – مجتمع الجزيرة كان يقوم أساسا على الإسلام .

الانحرافات التى طرأت على مجتمع الجزيرة بعد وفاة سام بن نوح بزمن طويل :

(أ) عقدية

(ب) سلوكية

التقدم المادى الذى كان عليه سكان الجزيرة قبل بعثة هود عليه السلام .

(أ) العاديون قوم هود عليه السلام وموطنهم بالأحقاف جنوب الجزيرة العربية – علاقتهم بدولة معين .

(ب) الثموديون قوم صالح عليه السلام وموطنهم الحجر بوادى القرى .

(جـ) أهل مدين قوم شعيب عليه السلام .

(د) أخبار دولة سبأ قبل إسلامها ، وبعد إسلامها ، وعلاقتها بالدولة الإسلامية التى كانت عاصمتها بيت المقدس على عهد سليمان عليه السلام (٩٥٠ ق . م) ثم أخبار الدولة الإسلامية السبأية بعد ارتدادها عن دينها ، وتمزيق أهلها كل ممزق كما أخبر بذلك القرآن الكريم .

---

(١) بديل عن منهج مادة عرب قبل الإسلام .

(هـ) أخبار مكة المكرمة وبيت الله العتيق، وحرم الله الآمن منذ بداية تاريخها.
(و) تاريخ الأمة المسلمة فى حرم الله الآمن على عهد إبراهيم وإسماعيل وذريتهما المسلمة.
(ز) أخبار أصحاب الأخدود، وعلاقتهم بالدولة الحميرية.
(ح) تتبع أخبار الأحناف فى جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ.
(ط) أخبار أصحاب الفيل ومحاولة أبرهة الحبشى غزو مكة وهدم الكعبة بعد احتلال جنوب الجزيرة العربية.
(ى) أحوال جزيرة العرب الفكرية والعقائدية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية منذ أقدم الدهور وحتى قبيل بعثة النبى محمد ﷺ. وغير ذلك من الموضوعات التى تتعلق بجزيرة العرب وتاريخها.

الهدف من دراسة المادة: تحقيق العبادة الشاملة لله عز وجل عن طريق:

أولا: إثبات أن الأمة المسلمة منذ أقدم الدهور بداية بآدم عليه السلام ومرورا بنوح وإبراهيم وهود وصالح وشعيب وسليمان إلى زمن محمد ﷺ وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، هى خير أمة أخرجت للناس، وهى صاحبة الدور الأول فى تاريخ البشرية، وهى الأمة الشاهدة القادرة بحول الله وقوته أن تسير حياتها وحياة البشرية بالمنهج الربانى الذى أنزل على رسلها (عليهم السلام). وأن ميراث الأمة المسلمة العقدى لم ولن تعرف البشرية مثيلا له، وأن تنحية هذا الميراث يؤدى بالبشرية إلى التردِّى من القمة السامقة إلى المستنقع الآسن.

ثانيا: إدراك حقيقة دور الإسلام وطبيعته، وأنه الدين الواحد الذى جاء به رسل الله الكرام منذ أقدم الدهور، بما فى ذلك هود وصالح وشعيب وإبراهيم وإسماعيل عليهم السلام، حتى ندرك أن الجزيرة العربية لم تعرف رسولا يدعو إلى شىء سوى الإسلام.

ثالثا: تتبع أعمال الهدم والبناء التى قام بها الإسلام فى حياة الجزيرة العربية منذ أقدم الدهور (٣٠٠٠ ق.م) ؟؟.. وذلك يستلزم التعرف على الأفكار والعقائد التى كان يعتنقها الأقوام الذين سكنوا جزيرة

العرب ، والتعرف على الأنظمة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية ، لنرى التغيرات والتفاعلات التى طرأت على تلك النظم التى كانت سائدة فى تلك المجتمعات . إن دراسة هذه التفاعلات والتغيرات فى ضوء المنهج الإسلامى كفيلة بأن تنشىء صورة للعالم الإنسانى وخطواته مختلفة قليلا أو كثيرا عن الصورة التى اعتاد غير المسلمين أن يرسموها والتى اعتدنا نحن أن نراها .

هذه الدراسة مثلا يمكن أن تعين الدارس المسلم فى معرفة كيف حارب الإسلام الشرك فى حياة الجزيرة على مدار تاريخها قبل بعثة محمد ﷺ وكيف حاول أن يضبط معاملات الناس وسلوكياتهم مع نهج الله القويم ، وكيف وجدت هذه الأمور معارضة شديدة من الراغبين فى سير الحياة بعيدة عن منهج الله وشرعه .

رابعا : تتبع الرسالات السماوية فى حياة الجزيرة العربية ، ومن كان له شرف حمل هذه الرسالات وما هى سيرته وما هو موضوع تلك الرسالات ، وإلى أى دين دعت هذه الرسالات ؟ وماهو موقف المجتمعات من دعوة الرسل عليهم السلام ، وطبيعة الصراع الذى جرى حول موضوع الرسالات ، وهو صراع بين الحق والباطل ، والنتائج التى أسفر عنها ذلك الصراع ، والدروس المستفادة من خلال عرض هذه الرسالات ، وذلك يستلزم منا الإلمام بالحالة التى كانت عليها المجتمعات فى جزيرة العرب فى ظل دعوة الرسل من الناحية الفكرية والعقائدية والاجتماعية والسلوكية ..... إلى غير ذلك ، بما فى ذلك مدى التقدم العلمى الذى كانت عليه تلك المجتمعات .

خامسا : إدراك حقيقة وطبيعة دور الأمة المسلمة ورسالتها فى الماضى والحاضر ، حتى يمكن تحديد دورها الذى يجب أن تقوم به فى حاضرها ومستقبلها ، مع رسم صورة صحيحة للمجتمع المسلم الذى يجب أن يسعى المسلمون إلى إقامته فى واقع المجتمعات البشرية ، وصورة صحيحة للمجتمعات الجاهلية ، التى يطالب المسلمون بدعوتها إلى الإسلام لإعادتها إلى ربها .

سادسا : تبيين سنن الله الكونية الثابتة فى حياة الأمم التى سكنت الجزيرة العربية قبل بعثة محمد ﷺ لندرك أسباب التمكين الربانى للأمم فى الأرض ، وصور هذا التمكين ولندرك أيضا أسباب تنحية الأمم عن مواقع القيادة والصدارة ولندرك أيضا أن الصراع بين الحق والباطل صراع قديم ومستمر وأنه مهما قدر للظلم أن يعلو ، ولدولة الظلم أن تعلو فهى حتما إلى دمار ، لأن الظلم عواقبه وخيمة .. ﴿ فكأين من قرية أهلكناها وهى ظالمة فهى خاوية على عروشها وبئر معطلة وقصر مشيد ، أفلم يسيروا فى الأرض فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنَّها لا تعمى الأبصار ولكن تعمى القلوب التى فى الصدور ﴾ .

يتضح ذلك مثلا من خلال : العلم بتدمير المجتمع العادى الذى كان يقوم على الشرك بالله عز وجل ، وكان يقوم على أكتاف الملأ من القوم الذين كذبوا بالآخرة واطمأنوا بالحياة الدنيا ، وانغمسوا فى حياة الترف ، وسخروا أقلامهم وإمكانياتهم وأعوانهم للصد عن سبيل الله .

يتضح ذلك جليا من خلال العلم بتدمير المجتمع الثمودى المشرك الذى وقف فى وجه الدعوة الإسلامية ، نبيها وأتباعها ، رغم أن الله سبحانه وتعالى قد أنعم عليهم بالنعم الظاهرة ومكن لهم فى الأرض . وبدلا من أن يستجيبوا لداعى الله ، ويشكروا المنعم نجد أنهم قعدوا بكل طريق يصدون الناس عن سبيل الله ، إن دراسة تاريخ المجتمع الثمودى الذى وقف فى وجه دعوة الإسلام التى حملها صالح عليه السلام ، يعكس لنا كفرا بنعم الله التى أنعم بها عليهم من أموال وبنين وجنات وعيون ، بالإضافة إلى التمكين فى الأرض .

يتضح ذلك جليا من خلال معرفة تاريخ الدولة السبأية ، التى مكن الله لها أولا بسبب إيمانها ، ثم نحاها عن القيادة ودمرها بسبب كفرها : ﴿ لقد كان لسبأ فى مسكنهم آية جنتان عن يمين وشمال ، كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور ، فأعرضوا فأرسلنا عليهم سيل العرم وبدلناهم بجنتيهم جنتين ذواتى أكل خمط وأثل وشىء

من سدر قليل ، ذلك جزيناهم بما كفروا ، وهل نجازى إلا الكفور ﴾ .

سابعا : إثبات أن الأمة العربية تعز وتقوى ويكون لها الدور القيادى فى حياة البشرية إذا ما تمسكت بإسلامها عقيدة وشريعة ، وتذل وتخزى وتفقد خيريتها عندما تعرض عن كتاب ربها وسنة نبيها ، يتضح ذلك جليا من دراسة تاريخ الأمم والشعوب التى سكنت جزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ . فقد كان الغرب المناذرة عمالاً من قبل الفرس ، وكان العرب الغساسنة عمالا من قبل الروم يحرسون مستعمراتهم الشرقية ، وكثيرا ما تقاتل المناذرة والغساسنة من أجل القوتين الفرس والروم . العربى يقاتل العربى من أجل الفارسى والرومى ، أى أنه لم تكن للعرب قوة يحسب حسابها ، لم يكونوا يشكلون أمة مترابطة متساندة ، ولكنهم كانوا عمالا لكلتا القوتين . واستمر الحال هكذا إلى أن أكرم الله سبحانه وتعالى أمة العرب الذين أسلموا وصاروا قوة لا يستهان بها بعد انضباط حياتهم مع كتاب ربهم وسنة نبيهم محمد ﷺ ، وخرجوا من جزيرة العرب ليسقطوا أكبر دولتين فى ذلك الزمان : دولة الفرس ودولة الروم وليرفعوا راية التوحيد على تلك البقاع .

وذلك يعنى أنه لا مخرج للأمم المستضعفة الآن إلا بالإسلام إذا رغبت أن تعود إليها مرة أخرى خيريتها الأولى : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس ، تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر ﴾ .

ثامنا : عرض المنهج غير الإسلامى المستخدم فى تدوين أحداث التاريخ لجزيرة العرب قبل بعثة محمد ﷺ مع تقويمه فى ضوء التصور الإسلامى للدراسات التاريخية ، وسوف يؤدى بنا ذلك حتما إلى الحذر الكامل لا من تولى هذه الدراسات على علاتها ، بل من تولى المنهج الذى قامت عليه أو محاولة اتباعه فى الدراسات التاريخية الإسلامية .

تاسعا : إثبات أن النظرة والبحوث الغربية غير الإسلامية لتفسير أحداث التاريخ فى ضوء المذاهب السياسية والاجتماعية (كالماركسية مثلا) تحوى تفسيرا خاطئا وناقصا للأحداث التاريخية .

المصادر والمراجع :

يمكن كتابة مرجع فى هذا المنهج اعتماداً على : القرآن الكريم ، وما يتصل به من كتب التفاسير : جامع البيان عن تأويل آى القرآن ، الجامع لأحكام القرآن ، تفسير القرآن العظيم .

كتب الحديث وشرحها : صحيح أبى عبد الله البخارى ، صحيح مسلم ، فتح البارى لابن حجر العسقلانى ، شرح صحيح مسلم للنووى . كتب التاريخ : تاريخ الطبرى ، البداية والنهاية لابن كثير .

مصادر ثانوية الأدب العربى (الشعر والنثر) :

مثال شرح المعلقات السبع الطوال الجاهلية المستقصى من أمثال للعرب للزمخشرى كتب اللغة العربية :

القواميس مثل تاج العروس ، القاموس المحيط ، لسان العرب كتاب النبات للدينورى

كتب الجغرافية : صفة جزيرة العرب للهمدانى ، معجم ما استعجم للبكرى ، معجم البلدان لياقوت الحموى .

المبحث الرابع
مصر منذ أقدم الدهور

المادة الرابعة : الأمة المسلمة قبل بعثة محمد ﷺ فى أرض وادى النيل « مصر »

- أهل مصر ينتسبون إلى سام وحام ابنى نوح عليه السلام .
- أبناء مصر كغيرهم من بنى آدم كانوا مفطورين على الإسلام .
- الرسالات السماوية إلى شعب مصر .
- رسالة يوسف عليه السلام .

حالة المجتمع المصرى قبل رسالة يوسف عليه السلام (عصر ما قبل الأسرات ، عصر بداية الأسرات ، عصر الدولة القديمة ، عصر الاضمحلال الأول - عصر الدولة الوسطى ، عصر ملوك الرعاة) وذلك لبيان :

أولا : رواسب خط توحيد الله فى حياة المجتمع .

ثانيا : ملامح الانحرافات التى وقعت فى حياة الناس :

* انحرافات عقـدية تتمثل فى الشرك بالله ، ادعاء الألوهية ، اتخاذ الأرباب ، الكبر ، ادعاء حق وضع النظام الذى تسير عليه الأمة .
* انحرافات فى السلوك .... إلى غير ذلك .

- وصول يوسف عليه السلام إلى مصر - التعريف بيوسف عليه السلام .
- يوسف يتعرض للابتلاءات المتكررة - الابتلاءات لا تمنع يوسف عليه السلام من الدعوة إلى الله .
- يوسف عليه السلام يدعو إلى الله .
- يوسف عليه السلام يصبح عزيزا لمصر - حكم الله يقوم على أرض مصر - قدوم يعقوب (إسرائيل) عليه السلام وأبنائه إلى مصر والإقامة فيها .
- حالة المجتمع المصرى بعد وفاة يوسف عليه السلام ، وقبل بعثة موسى عليه السلام (الدولة الحديثة والتى تشمل الأسرات ١٧ - ٢٠) .

- الانحرافات التى طرأت على المجتمع المصرى :

* انحرافات عقدية تتمثل فى الشرك بالله ، ادعاء الألوهية ، ادعاء حق التشريع ، مطارده الإسلام وأهله ومحاولة استئصال شأفتهم أنّى وجدوا .
* انحرافات سلوكية.... إلى غير ذلك .

- ميلاد موسى عليه السلام - نشأته فى بيت فرعون مصر - قتل القبطى - خروجه إلى أرض مدين - عودته إلى مصر ، وبعثته إلى فرعون - موسى يدعو فرعون وقومه إلى الإسلام .

- موقف المجتمع المصرى (النظام الحاكم والأمة) من دعوة موسى عليه السلام .

- موقف موسى عليه السلام ومن معه حيال الموقف العدائى للنظام الحاكم الفرعونى .

- إهلاك الحاكم الفرعونى وجنوده واستخلاف موسى ومن معه من بنى إسرائيل المسلمين .

- حالة المجتمع المصرى بعد خروج موسى ومن معه من مصر - العصر المتأخر = الأسرات ٢١ - ٣٠ . ملامح الانحراف - رواسب خط التوحيد [١].

- علاقة مصر بالدول المعاصرة ... سبأ - بلاد الشام .

- رحلة عيسى عليه السلام إلى مصر .

شبهات حول تاريخ مصر منذ أقدم الدهور فيما يتصل بالإنسان والدين والغاية التى من أجلها خلق الإنسان ، وأنماط حياته ومدنياته ، التى أثارها كتاب التاريخ القديم وتهدف إلى هدم التصور الإسلامى العقدى وإقامة التصور الجاهلى الشركى مكانه ، مع دحضها والرد عليها فى ضوء التصور الإسلامى .

المصادر والمراجع :

التى ذكرت فى نهاية المادة الثانية ص ٢١٧

---

(١) بديل عن المنهج تاريخ الشرق الأدنى القديم الذى يعرض تاريخ الأمة المسلمة فى مصر على أنه تاريخ وثنى جاهلي محض لا أثر فيه للإله ولا للنبوات ولا للرسالات ولا للملائكة ... إلى غير ذلك .

المبحث الخامس

بلاد الشام منذ أقدم الدهور(١)

المادة الخامسة : الأمة المسلمة قبل بعثة محمد ﷺ فى بلاد الشام (سورية وفلسطين)

- انتساب أهل الشام إلى سام بن نوح عليه السلام .
- أهل الشام كانوا مفطورين على الإسلام – أهمية أرض الشام – تاريخ المسجد الأقصى وأهميته فى الإسلام .
- وصول إبراهيم ولوط عليهما السلام إلى الأرض التى بارك الله فيها للعالمين
- رسالة لوط عليه السلام إلى أهل سدوم وعمورية . أحوال المجتمع الذى بعث فيه لوط عليه السلام .
- قبل الرسالة (انحرافات فى العقيدة ، وانحرافات فى السلوك) .
- لوط عليه السلام يدعو قومه إلى الإسلام .
- موقف المجتمع الشامى من دعوة لوط عليه السلام – تدمير المجتمع المنحرف ونجاة المسلمين الموحدين . تحقيق موقع قرى لوط عليه السلام .
- الدروس المستفادة .
- إبراهيم عليه السلام يتلقى البشارة بمولد إسحاق ، ومن وراء إسحاق يعقوب عليهما السلام ، وأن الله سيجعل منهم أئمة يدعون إلى الخيرات .
- تعريف بإسحاق عليه السلام وابنه يعقوب عليه السلام – يعقوب هو إسرائيل .
- تعريف بأبناء يعقوب عليه السلام – الأسباط مسلمون – رحيلهم إلى مصر .
- موت يعقوب ويوسف عليهما السلام – اضطهاد بنى إسرائيل .

---

(١) بدلا من تاريخ الشرق الأدنى القديم الذى يحطم الدين عموما والإسلام على وجه الخصوص .

١

- خروج بنى إسرائيل من مصر فى طريقهم إلى بلاد الشام – الانحرافات التى تعصف بكيانهم – التيه فى سيناء – يوشع بن نون يقود المسلمين المجاهدين إلى بيت المقدس – إخراج بنى إسرائيل من بيت المقدس بسبب معاصيهم – توبة بنى إسرائيل وعودتهم إلى بيت المقدس بقيادة طالوت الملك المسلم – الصراع بين المسلمين بقيادة طالوت وبين جيش الكافرين بقيادة جالوت . المسلمون يهزمون جالوت وجنوده – الله يكافىء داود النبى المسلم المجاهد بالملك والنبوة على أرض الشام .
- الدروس المستفادة : التمكين فى الأرض للمؤمنين الموحدين سنة من سنن الله الثابتة فى حياة الأمم .
- سمت الأمة المسلمة الممكن لها فى الأرض : تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر – مجاهدة – إلى غير ذلك من الصفات .
- تنحية الأمة المسلمة عن موقع القيادة حينما تفقد خيريتها .
- الدولة الإسلامية فى بيت المقدس وسيرة داود عليه السلام وفاة داود عليه السلام .
- الدولة الإسلامية فى بيت المقدس وسيرة سليمان عليه السلام – علاقة دولة سليمان بدولة سبأ التى كانت قائمة فى جنوب الجزيرة العربية .
- المجتمع الشامى بعد وفاة سليمان عليه السلام (الأراميين – والأموريين – والفينيقيين) .
- وقوع بلاد الشام فريسة للاحتلال الأوروبى (الرومى) – احتلال القدس عام ٦٤ ق . م .
- ميلاد وبعثة عيسى عليه السلام بأرض الشام – عيسى عليه السلام يدعو بنى إسرائيل إلى الإسلام .
- المؤيدات التى صاحبت عيسى عليه السلام فى دعوته – بنو إسرائيل يتآمرون لقتل عيسى عليه السلام – رفع عيسى عليه السلام – ما ورد فى نزوله مرة أخرى إلى الأرض قبل يوم القيامة .
- انتقام الله سبحانه وتعالى من بنى إسرائيل .
- الدروس المستفادة :

بلاد الشام قبل بعثة محمد ﷺ ، من الناحية العقدية والسياسية والاجتماعية .... إلى غير ذلك .

احتلال الأوروبيين لبلاد الشام وخاصة القدس – المظالم التى أنزلها الروم بأهل الشام ، ولعله من باب تسليط الظالمين على الظالمين ، نتيجة انحراف أهل الشام عن دينهم ، ورفضهم دعوة نبيهم عيسى عليه السلام وقتلهم الأنبياء بغير حق .

شبهات حول تاريخ الأنبياء الذين بعثوا فى بلاد الشام والدين الذى دعوا إليه ، أثارها كتاب التاريخ القديم من يهود ونصارى ومن نحا نحوهم ، مع دحضها والرد عليها فى ضوء التصور الإسلامى للدراسات التاريخية .

المصادر والمراجع :

السابق رصدها بالنسبة للمنهج الثانى .

المبحث السادس
أوروبـا منذ أقدم الدهور

المادة السادسة : الأمة المسلمة قبل بعثة محمد ﷺ فى أوروبا (اليونان والروم)

- إلى من ينتسب أبناء أوروبا ؟ إلى يافث بن نوح عليه السلام .
- هل أرسل إليهم ؟ نعم ؟ الدليل .
- بأى دين كانوا يدينون ؟ بالإسلام ؟ الدليل .
- الانحرافات التى وقعت فى المجتمع اليونانى والرومى نتيجة مروقهم من دين الله عز وجل :

(أ) انحرافات عقـدية ، تتمثل فى الشرك بالله ، اتخاذ الأرباب من دون الله تأليه الحكام مثل قيصر ، وأغسطس ، وغيرهم وادعاء حق التشريع .

(ب) انحرافات فى النظام السياسى . تغيير شكل الحكم ، الوصول إليه عن طريق الانقلابات العسكرية أو شراء ذمة الحرس البْويتورى ، ممارسة الأسلوب الديكتاتورى فى الحكم ، وضع القوانين لإصلاح أحوال المجتمع « مثل قوانين صولون » وموسوعة جستنيان القانونية هذه القوانين لم تزد الناس إلا حيرة وضلالا ..

(ج) انحرافات فى النظام الاجتماعى : الطبقية ، الناس درجات ، المواطن الأول له كل الحقوق ولا مواطن ليس له حقوق .

(د) انحرافات فى السلوك : الفساد الاجتماعى - الزنا ، شرب الخمر ، اللواط ، الإجهاض -

(هـ) انحرافات فى النظام الاقتصادى : التعامل بالربا الضرائب القاصمة للظهور عدم سد القروض يؤدى بالمدين إلى الوقوع فى يد المدين يفعل به مايشاء.

- مزاعم وشبهات حول التاريخ الإسلامى أثارها كتاب تاريخ اليونان والروم ، دحض هذه الشبهات والرد عليها من خلال التصور الإسلامى .
- من هذه المزاعم :ـ

* إن الدين الإسلامى هو مزيج من الديانة الهيللنية والعبرية .
* إن نظام الحكم فى الإسلام مبنى على النظريات السياسية اليونانية .
* إن الديمقراطية اليونانية نظام إسلامى ، وهى أصلح نظام للحكم فى عالمنا المعاصر .
* إن الحضارة اليونانية هى الأساس الذى قامت عليه الحضارة الإسلامية .
* إثبات أن التراث اليونانى والرومى الفكرى والعقـدى (كالفلسفة مثلا) يمثل نكسة فى الفكر الإنسانى لعدم التزامه بالهدى الربانى ، وأنه قد ترتب على ترجمة هذا الفكر إلى العربية فى عهد الخليفة المأمون ظهور الفكر الإلحادى والمدارس الإلحادية فى بلاد المسلمين وظهور الفرق كالباطنية والمعطلة وإخوان الصفا والمعتزلة والجهمية ، وظهور المبدأ القائل بخلق القرآن ، وظهور التصوف ، كما ترتب على ذلك النقل والترويج لفكرة الصراع بين البشرية والآلهة ، والفصل بين الدين والعلم وظهور المبدأ الماركسى الشيوعى ، وأدى ذلك فى النهاية إلى تقويض بنيان الخلافة العباسية ، فقد جاء التتار ووجدوا الأمة مهيأة للسقوط بعد تخريب فكرها .
* إثبات أن اتجاهات الفلسفة بجملتها ، واتجاهات تفسير التاريخ الإنسانى بجملتها ، واتجاهات علم النفس ، ومباحث الأخلاق ، واتجاهات دراسة الأديان المقارنة ، واتجاهات تفسير المذاهب الاجتماعية بجملتها هذه الاتجاهات كلهـا هى الفكر الجاهلى غير الإسلامى الذى يعتمد على أصول اعتقادية وفكرية يونانية ورومية ، ومعظمها إن لم يكن كلها يتضمن فى أصوله المنهجية عداء ظاهرا وخفيا للتصور الدينى جملة ، وللاتجاه الإسلامى على وجه الخصوص .
* إثبات أن الاستعمار الأوربى : العسكرى والسياسى والاقتصادى ليس وليد اليوم أو الأمس القريب ، ولكنه يرجع إلى زمن بعيد ، ويرتبط بتاريخ اليونان والروم .

* إثبات عجز مبدأ الوطنية والقومية فى التأليف بين أبناء أوروبا (اليونان والروم) .

إثبات أن أوروبا لم تكن فى يوم من الأيام صاحبة الدور الأول فى تاريخ البشرية مهما تقدمت ماديا ، ومهما سيطرت ، وعلى العكس من ذلك كانت الأمة المسلمة خير أمة أخرجت للناس .

- بيان فساد مراجع ومصادر ما يسمى بالتاريخ القديم « اليونانى والرومى » لأنها تتبنى اتجاها معاديا للتصور الدينى جملة ، وللتصور الإسلامى على وجه الخصوص . من باب معرفة سبيل المجرمين ، وليكون لدى الدارس المسلم حصانة فكرية من مناهج الأعداء .

المصـــادر والمراجع :

يمكن كتابة مرجع فى هذا المنهج اعتمادا على :

أولا : القرآن الكريم ، وما يتصل به من تفاسير : (تفسير الطبرى ، تفسير القرطبى ، تفسير ابن كثير ، فى ظلال القرآن ...

ثانيا : كتب الحديث : صحيح البخارى ، فتح البارى لابن حجر ..

ثالثا : تاريخ الرسل والملوك ، البداية والنهاية

رابعا : بعض الوثائق اليونانية واللاتينية المترجمة إلى العربية من كتب المحدثين .

الهدف من دراسة هذه المادة :

أولا : اعتزاز المسلم بإسلامه ، حينما يرى صورة الشقاء الذى كان يعيشه المجتمع الأوربى (اليونانى - الرومى) نتيجة شركه بالله عز وجل ، وعدم إخضاع حياته لنظام الله وشرعه .

ثانيا : حقيقة الدور الذى يمكن أن يؤديه الإسلام فى انتشال البشرية من الضلال والضياع الذى تعيشه .

ثالثا : أهمية إبلاغ دين الله للبشرية ، لأن المسلم سيُسْأل عنها يوم القيامة ، كل فى حدود إمكانياته ، وعلى قدر التمكين الذى تحقق له فى الأرض .

رابعا : تكوين الحصانة الفكرية والعقدية لدى المسلم ضد المبادىء الهدامة كالماركسية والديمقراطية وغيرها .

الجزء الثالث

المبحث الأول

مفهوم العلم ومنهج تلقيه *

فى الشريعة الإسلامية والتعرف على بعض الشرائط الواجب ملاحظتها ليكون العلم نافعا ومفيداً

العلم ضد الجهل وقد وقع خلاف طويل فى وضع « حد » [١] له كما يقول الزبيدى [٢] . حتى قال جماعة : إنه لا يحد لظهوره وكونه من الضروريات . وقيل : لصعوبته وعسره .

والعلم من وجه ضربان . نظرى وعملى . فالنظرى : هو الذى إذا علم فقد كمل نحو العلم بموجودات العالم

والعملى : هو الذى لا يتم حتى يعمل به[٣] كالعلم بالعبادات وكافة الأوامر الشرعية .

والعلم من وجه آخر شرعى وغير شرعى . وإذا ورد مطلقا فى الكتاب أو السنة فإنما يراد به العلم الشرعى مثل قوله تعالى : ﴿ يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات ﴾، [٤] وقوله تعالى : ﴿ قل هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [٥] ومثل قوله ﷺ : « طلب العلم فريضة على كل مسلم » [٦] وقوله فيما رواه أبو هريرة رضى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من سلك طريقا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة » [٧] .

---

* هذا المبحث والذى يليه من تأليف محمد بن صامل العليانى السلمى المحاضر بقسم التاريخ الإسلامى بجامعة أم القرى .

(١) أى تعريف .

(٢) الزبيدى هو محمد بن محمد بن مرتضى . لغوى محدث كثير التصانيف من أجودها : تاج العروس شرح القاموس ، توفى سنة ١٢٠٥ هـ . انظر الأعلام للزركلى ٨ / ٧٠ .

(٣) الزبيدى ، تاج العروس ٨ /٤٠٥ .

(٤) سورة المجادلة آية : ١١

(٥) سورة الزمر آية :

(٦) حديث حسن رواه ابن ماجه رقم ٢٢٤ ، وانظر شرح السنة للبغوى ١ / ٢٩٠ .

(٧) جزء من حديث رواه مسلم رقم ٢٦٦٦ ص ٤/ ٣٠٧٤ .

فلفظ العلم فى هذه الآيات والأحاديث يراد به العلم الشرعى [1] أو ما يكون خادما وموصلا للعلم الشرعى كعلم العربية . والعلم قد يكون نافعا وقد يكون ضارا . كما قد يكون حقا وقد يكون باطلا ... فالذى يرد فى القرآن الكريم أو السنة النبوية أو فى كلام السلف فى سياق المدح والحث على طلبه هو العلم الشرعى والعلم النافع والعلم الحق . أما غير ذلك فقد يكون ضارا أو غير نافع لأصحابه عند الله تعالى . قال تعالى : ﴿ فأعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد إلا الحياة الدنيا ذلك مبلغهم من العلم ﴾ [2] . الآية ، وقال تعالى : ﴿ يعلمون ظاهراً من الحياة الدنيا وهم عن الآخرة هم غافلون ﴾ [3] ، وقال تعالى : ﴿ فلما جاءتهم رسلهم بالبينات فرحوا بما عندهم من العلم ... ﴾ [4] الآية . فقد أثبت الله سبحانه وتعالى فى الآيات السابقة أن عندهم علما ولكنه لم ينفعهم . ولهذا كان رسول الله ﷺ يقول : « اللهم إنِّى أسألك علما نافعا ورزقا طيبا . وعملا متقبلا » [5] وكان يقول فى دعائه « اللهم إنِّى أعوذ بك من علم لا ينفع ومن قلب لا يخشع ومن نفس لا تشبع ومن دعوة لا يستجاب لها » [6] .

فالعلم الذى يطلب من العبد تعلمه سواء على سبيل الوجوب أم الاستحباب هو العلم النافع الذى يوصل إلى الحق ويبعد عن الضلال والباطل .

وأشرف العلم ما كان دالا على الله سبحانه وتعالى وموصلا إلى معرفته وتوحيده يقول الإمام ابن القيم [7] « إن العبد لو عرف كل شىء ولم يعرف ربه فكأنه لم يعرف شيئا .

---

(١) يراجع فى هذا . ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ، باب معرفة أصول العلم وحقيقته وما الذى يقع عليه اسم الفقه والعلم مطلقا .

(٢) سورة النجم آية : ٢٩ ، ٣٠ .

(٣) سورة الروم آية : ٧ .

(٤) سورة غافر آية : ٨٣ .

(٥) ابن عبد البر ، جامع بيان العلم وفضله ص ٢١٥ ويشهد له الحديث الذى بعده .

(٦) رواه مسلم . انظر الصحيح ٤/٢٠٨٨ .

(٧) هو شمس الدين محمد بن أبى بكر ، إمام معروف له مصنفات نافعة منها أعلام الموقعين وزاد المعاد وإغاثة اللهفان ، توفى بدمشق سنة ٧٥١ هـ .

ولو نال كل حظ من حظوظ الدنيا ولذاتها وشهواتها ولم يظفر بمحبة الله والشوق إليه والأنس به فكأنه لم يظفر بلذة ولا نعيم ولا قرة عين » (١) .

والعلم النافع هو الذى يتوسل به إلى عبادة الله سبحانه وتعالى حسب مفهوم العبادة الشامل كما حدده قوله تعالى : ﴿ قل إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لا شريك له وبذلك أمرت وأنا أول المسلمين ﴾ (٢) .

فالعبادة حسب المفهوم القرآنى منهج حياة كامل شامل (٣) . فهى تشمل إلى جانب شعائر التعبد من الصلاة والصيام والذبح لله الحياة كلها بل والممات . وقد جعلها الله سبحانه وتعالى الغاية من خلقه للجن والإنس ، فقال تعالى : ﴿ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴾ (٤) وقال تعالى : ﴿ واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ﴾ (٥) .

فالعلم إذا لم يكن مؤديا إلى هذه الغاية فى وسائله وأهدافه ونتائجه لا يعتبر علما نافعا . بل إذا اجتمع فى العلم خير وشر ولم يمكن حصول الخير إلا بوجود الشر فإنه يغلب جانب الحظر والمنع عملا بالقاعدة الشرعية الأصولية (درء المفاسد مقدم على جلب المصالح) (٦) .

وإذا كان العلم فى ذاته غير ضار لكنه يكون وسيلة إلى محظور وممنوع شرعا فإنه يترك لكونه يؤول إلى محرم شرعا ، والوسائل تأخذ حكم الغايات . وقاعدة سد الذرائع من قواعد الشريعة الواجبة الإعمال فى مثل هذه المواطن .

فإذا تقرر أن الغاية الأساسية لحياة المسلم هى تحقيق العبودية الخالصة لله

---

(١) ابن القيم ، إغاثة اللهفان ١ /١٨ .

(٢) سورة الأنعام آية ١٦٣ .

(٣) عرف شيخ الإسلام ابن تيمية العبادة بقوله : (هى اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة) ، انظر رسالة العبودية له ص ٣٨ .

(٤) سورة الذاريات آية ٥٦ .

(٥) سورة النساء آية ٣٦ .

(٦) لبعض الفقهاء تفصيل فى هذه القضية وهو أنه إذا اجتمع الخير والشر وكان الشر غالبا فهنا يقدم المنع أما إذا كان الخير غالبا فإنه يتساهل فى الأمر عملا بقاعدة الموازنة بين المصالح والمفاسد انظر العز بن عبد السلام ، قواعد الإحكام ١ /٨٣ ، والأمدى ، الإحكام فى أصول الأحكام ٣ /٢٧٤ .

سبحانه وتعالى وذلك بإقامة منهجه فى الأرض وتحكيم شريعته كما هو مقتضى شهادة أن – لا إله إلا الله [1] محمد رسول الله . فإن كل علم يؤدى إلى هذه الغاية ويتعلم لهذا الهدف هو علم مطلوب وواجب على الأمة تعلمه وجوب كفاية وقد يكون منه ما هو واجب عينى كمعرفة التوحيد وأحكام العبادة . والأمة تأثم بعمومها إذا لم يتوفر العدد الكافى من أبنائها لمقابلة سد حاجاتها من المتخصصين فى أى فرع من فروع العلم اللازم لها .

وينبغى الانتباه إلى أن فساد المنهج الذى يتلقى به العلم يؤدى إلى فساد الثمرة المرجوة من العلم . فلابد من استقامة المنهج العلمى لكى نحصل على ثمرة العلم وفائدته . وهذا أمر واضح فى كثير من الدراسات التاريخية المعاصرة بسبب تشويه المنهج العلمى فيها أو بسبب سوء القصد فى القائمين عليها أو بسبب الجهل بالشريعة .

لذا يجب على طالب العلم اتباع المنهج العلمى السديد الذى يؤدى إلى الثمرة المطلوبة من العلم وهذا يحصل بإخلاص النية والقصد لله سبحانه وتعالى وابتغاء مرضاته وبتجريد المتابعة لرسول الله ﷺ ، قال الفضيل بن عياض [2] فى معنى قوله تعالى : ﴿ هو الذى خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا ﴾ [3] أخلصه وأصوبه ، فإن العمل إذا كان خالصا ولم يكن صوابا لم يقبل . وإذا كان صوابا ولم يكن خالصا لم يقبل حتى يكون خالصا صوابا . والخالص أن يكون لله والصواب أن يكون على السنة [4] وعلى هذا دل قوله تعالى : ﴿ ومن يسلم وجهه إلى الله وهو محسن فقد استمسك بالعروة

---

(١) للاستزادة فى مفهوم العبادة ، انظر ابن تيمية ، العبودية ص ٣٨ – ٥٠ ، وسيد قطب ، معالم فى الطريق ، فصل لا إله إلا الله منهج حياة ص ٨٢ – ٩٦ .

(٢) هو فضيل بن عياض بن مسعود التميمى اليربوعى من سادات التابعين ورعا زاهدا عابدا جاور بمكة حتى توفى سنة ١٨٧ خرج حديثه البخارى ومسلم وغيرهما . انظر : ابن حجر ، تهذيب التهذيب ٨/٢٩٤ .

(٣) سورة تبارك آية : ٢ .

(٤) ابن تيمية ، شرح حديث إنما الأعمال بالنيات ص ١٢ . ضمن مجموعة الرسائل الكمالية ، المجلد الثانى حديث .

الوثقى ﴾[1] وقوله : ﴿ فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا ﴾[2] .

وذلك أن طلب العلم النافع عبادة من العبادات وقربة من القرب التى يتقرب بها العبد من ربه .

وهناك تلازم بين العلم والعمل . فالعلم لازم لصحة العمل ، والعمل لازم للحصول على ثمرة العلم . قال تعالى : ﴿ فاعلم أنه لا إله إلا الله واستغفر لذنبك وللمؤمنين والمؤمنات والله يعلم متقلبكم ومثواكم ﴾[3] .

وقد بوب الإمام البخارى رحمه الله على هذه الآية فى صحيحه بقوله : (باب العلم قبل القول والعمل)[4] فالعلاقة بين العلم والعمل فى القرآن الكريم وثيقة جدا كما أن لفظة العلم فى القرآن والسنة ليست قاصرة على مجرد العلم بمعنى المعرفة . بل تشمل العلم والعمل معا . كما قال تعالى : ﴿ إنَّما يخشى الله من عباده العلماء ﴾[5] وليس المقصود بالعلماء هنا أولئك الذين يعلمون لمجرد المعرفة ولا يعملون بل الذين عملوا بما علموا . وما الخشية التى حصلت لهم إلا ثمرة العمل بالعلم .

يقول الدكتور محمد أمين المصرى : (إن شأن العلم أن يستلزم الإيمان والإيمان يستلزم العمل . فإن لم يكنِ هنالك عمل كان العلم ناقصا وكان الإيمان مختلا . فلقد ذم الله سبحانه وتعالى الذين لا يعملون بعلمهم فقال : ﴿ مثل الذين حملوا التوراة ثم لم يحملوها كمثل الحمار يحمل أسفارا ﴾[6] الآية . فالآية تعطى صورة حية ناطقة لمن لا يعمل بعلمه . وتشير إلى أن من العلم ما يخالط القلب ويمازج أجزاء النفس ومنه نوع يدخل إلى النفس لكنه لا يؤثر فيها ولا يتأثر بها بل يبقى كسقط المتاع فى زاوية من زوايا النفس . وهذا أكبر من الجهل لأن صاحبه

---

(١) سورة لقمان آية : ٢٢ .
(٢) سورة الكهف آية : ١١٠ .
(٣) سورة محمد آية : ١٩ .
(٤) الجامع الصحيح : كتاب العلم باب رقم (١٠) انظر ١٥٩/١ من فتح البارى .
(٥) سورة فاطر آية : ٢٨ .
(٦) سورة الجمعة آية : ٥ .

يخدع الناظر إليه ويخدع نفسه فهو فى ثوب العلماء ونفسه تنطوى على جهالة عمياء)[1] .

وقد ذم رسول الله ﷺ الذى يطلب العلم لغير العمل به كما فى الحديث الصحيح الذى رواه أبو هريرة قال : قال رسول الله ﷺ : « من تعلم علما مما يبتغى به وجه الله لا يتعلمه إلا ليصيب به عرضا من الدنيا لم يجد عرف[2] الجنة يوم القيامة »[3] فكل سعى المسلم يجب أن يبتغى به وجه الله حتى لا يكون يوم القيامة هباء منثورا كعمل الكفار الذين لا يؤمنون بالله .

ولقد جاءت النصوص الكثيرة المنقولة عن الصحابة رضى الله عنهم وغيرهم من علماء السلف فى الربط بين العلم والعمل وأن العلم يقتضى العمل[4] وذلك منهج من مناهج حياتهم .

ولهذا كان فهم السلف « للعلم » فهما يتميز بالشمول ويقترن بحاجات الأمة ومصالحها . ولم يكن أخذهم للعلم للتزين والتجمل به . أو الأخذ الترفى المفصول عن الواقع أو التلقى الذهنى البارد المجرد عن العمل والحركة بل كان متسقا مع آيات القرآن الكريم مثل قوله تعالى : ﴿ هو الذى جعل لكم الأرض ذلولا فامشوا فى مناكبها وكلوا من رزقه وإليه النشور ﴾[5] وقوله : ﴿ قل سيروا فى الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشىء النشأة الآخرة إن الله على كل شىء قدير ﴾[6] وقوله : ﴿ قل انظروا ماذا فى السموات والأرض

---

(١) محمد أمين المصرى ، المجتمع الإسلامى ص ٧٨ .

(٢) عرف الجنة : أى ريحها .

(٣) رواه الخطيب البغدادى فى كتاب « اقتضاء العلم العمل » ص ٦٥ وصححه الألبانى وقال أخرجه أحمد فى المسند ، والحاكم فى المستدرك وصححه .

(٤) كتب الخطيب البغدادى كتابا لطيفا بعنوان « اقتضاء العلم العمل » جمع فيه الآثار المروية عن الصحابة والسلف الصالح فى هذا المعنى .

كما كتب الحافظ ابن رجب الحنبلى رسالة جيدة بعنوان فضل علم السلف على الخلف ذكر فيها كثيرا من الآثار حول هذا الموضوع .

(٥) سورة تبارك آية : ١٥ .

(٦) سورة العنكبوت آية : ٢٠ .

وما تغنى الآيات والنذر عن قوم لا يؤمنون ﴾[1] وقوله تعالى : ﴿ وإلى ثمود أخاهم صالحا قال يا قوم اعبدوا الله مالكم من إله غيره هو أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها فاستغفروه ثم توبوا إليه إن ربى قريب مجيب ﴾[2] .

فالله يدعونا فى هذه الآيات وغيرها إلى السير فى الأرض وعمارتها وإلى النظر فيها نظر تدبر وتفكر يؤثر فى النفس وتنعكس آثاره فى السلوك . ولم تَفْصِلِ الآيات بين العلم والعمل ولا بين الدنيا والآخرة وإنّما كل ذلك ينبغى أن يعتنى به ويعمل له شريطة أن يكون وفق منهج الله وشريعته ، لأن هذا هو مقتضى شرط الاستخلاف الذى أعطى لأبينا آدم عليه السلام ولذريته من بعده . وهو عبادة الله وحده لا شريك له وتلقى الهدى منه .

« والعلم لا خير فيه إن لم ينبنى عليه سلوك مستقيم ويورث فى النفس عملا صالحا . يقول عبد الله بن مسعود رضى الله عنه : (إن الناس إن أحسنوا القول كلهم فمن وافق فعله قوله فذلك الذى أصاب حظه . ومن خالف فعله قوله فإنّما يوبخ نفسه)[3] ، وقال أبو إسحاق الشاطبى[4] بعد أن ساق قول ابن مسعود الآنف وغيره من أقوال السلف والأدلة على هذا المعنى أكثر من أن تحصى . وكل ذلك يحقق أن العلم وسيلة من الوسائل ليس مقصودا بنفسه من حيث النظر الشرعى . وإنّما هو وسيلة إلى العمل وكل ما ورد فى فضل العلم فإنّما هو ثابت للعلم من جهة ما هو مكلف بالعمل به »[5] ، وقال الحسن البصرى[6] فى معنى قوله تعالى : ﴿ وعلمتم ما لم تعلموا أنتم ولا آباؤكم ﴾[7]

---

(١) سورة يونس آية : ١٠١ .

(٢) سورة هود آية : ٦١ .

(٣) الشاطبى ، الموافقات ١ /٦٥ .

(٤) هو أبو إسحاق إبراهيم بن موسى اللخمى الغرناطى الشهير بالشاطبى عالم أصولى حافظ من أهل غرناطة له مصنفات أشهرها الاعتصام والموافقات كانت وفاته سنة ٧٩٠ هـ ، انظر الأعلام للزركلى ١ /٧٥ .

(٥) الشاطبى ، الموافقات ١ /٦٠٥ .

(٦) هو الحسن بن أبى الحسن البصرى نشأ بالمدينة وحفظ القرآن وسمع عثمان يخطب مرارا ولازم الجهاد والعلم والعمل وكان من الشجعان الموصوفين . ومن العباد المشهورين توفى سنة ١١٠ عن ثمان وثمانين سنة الذهبى تذكرة الحفاظ ١ /٧١ .

(٧) سورة الأنعام آية : ٩١ .

علمتم فعلمتم ولم تعملوا فوالله ما ذلكم بعلم[1] .

وقال سفيان الثورى[2] : (العلم يهتف بالعمل فإن أجابه وإلا ارتحل)[3] ، وقال الفضيل بن عياض : (لا يزال العالم جاهلا بما علم حتى يعمل به فإذا عمل به كان عالماً)[4] وبهذا يتضح بطلان المنهج الجاهلى القائم على قاعدة « العلم للعلم » و « الأدب للأدب » و « الفن للفن » ونحوها . والتى تعنى تجريد العلم عن العقيدة والتصور ، وتفصله عن العمل والثمرة ، وترسم للبحث العلمى دائرة مستقلة لا دخل للعقيدة والدين أو الغايات النبيلة فيها . مع أن هذه العبارة خاطئة من الناحية الواقعية إذ لا يمكن للإنسان أن يعمل شيئا إلا وهو مدفوع بغرض معين خارج عن مجرد العمل .

وفى ظل هذا المنهج لا حرج على الإنسان أن يتعلم أو يبحث فى أى شىء ولو كان حراما ضارا أو عقيما لا خير فيه ولا غاية سامية له .

وقد نشأ هذا المنهج فى ظروف تاريخية خاصة بأوروبا الشاردة من طغيان الكنيسة ورجالها الذين كانوا يفرضون على الناس اعتقاد ما يملونه عليهم من الخرافات والتأويلات المحرفة ويعاقبون كل من وصل إلى نظرية مخالفة أشد العقاب وإن كانت حقا فى ذاتها أو مما جعل الله تعالى شأنه موكولا إلى الجهد البشرى والتجربة البشرية » .

---

(١) الشاطبى الموافقات ١ / ٧٥ .

(٢) هو سفيان بن سعيد بن مسروق إمام حافظ ثقة فقيه ولد سنة ٩٧ هـ وتوفى سنة ١٦١ هـ انظر « تذكرة الحفاظ » ١ / ٢٠٣ .

(٣) الشاطبى ، الموافقات ١ / ٧٥ .

(٤) الخطيب البغدادى ، اقتضاء العلم العمل ص ٣٧ .

المبحث الثانى

ضوابط منهج العلم

فى المبحث السابق حاولنا تحديد مفهوم العلم فى الشريعة الإسلامية والتعرف على بعض الشرائط الواجب ملاحظتها ليكون العلم نافعا ومفيدا . وفى ظل هذا المفهوم للعلم نحاول تحديد الضوابط التى يتقيد بها المنهج العلمى .

والمصدر الأول للمعرفة فى التصور الإسلامى هو الوحى الذى يبلغه الله لرسول من رسله . فالقرآن الكريم والسنة النبوية هما المصدران اللذان يرجع إليهما فى ضبط الموازين والقيم ومعرفة الحق من الباطل والحكم على معطيات العلوم ونتائجها . نقلية كانت أم عقلية ، فهما مصدرا الحق فى هذا الوجود . قال تعالى : ﴿ إن الذين كفروا بالذكر لما جاءهم وإنه لكتاب عزيز لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد ﴾ [١] وقال تعالى : ﴿ إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ﴾ [٢] ، وقال تعالى : ﴿ .... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين ﴾ [٣] .

فالوحى الربانى هو المصدر المأمون الذى يتميز بالثبات والشمول ويقدم التفسير الشامل للحياة والكون والإنسان وحقيقة الألوهية والعبودية ، لأنه كلام رب العالمين العليم الخبير المطلع على كل شيء والمبرأ مما يعترى البشر من القصور والظلم والجهل وسوء الفهم والارتباط بالمصلحة وبالبيئة التى نشأ فيها ، والتربية التى تلقاها ، والمفاهيم والتصورات المتوارثة .

فهو الله سبحانه الخالق لكل الخلق وهو أعلم بهم وبما يصلحهم . وقد وضح هذا المنهج فى كتابه الذى أنزله على رسوله ﷺ .

فما دام الوحى بهذه الصفة من التكامل والشمول والعدالة . فإنه لابد

---

(١) سورة فصلت آية : ٤١ - ٤٢ .

(٢) سورة الإسراء آية : ٩ .

(٣) سورة النحل آية : ٨٩ .

للمسلم أن يتخذه منهجا وميزانا يزن به القيم والأحداث ويضبط به التصورات والمفاهيم ويتخذه حكما فى هذه القضايا يرجع لحكمه ويتلقى منه .

فلقد وضع الإسلام ضوابط لمنهج العلم وتلقيه كما وضع ضوابط لأدوات العلم والمعرفة . فالعقل والسمع والبصر أدوات زود الله بها الإنسان ليحصل عن طريقها على المعرفة . فهى أدوات لا مصادر مستقلة للمعرفة . واعتبار أن الوحى الربانى هو المصدر الذى يرجع له لضبط المعرفة ، هو أهم قضية عاشتها الإنسانية . وبسبب الاختلاف فيها وقعت البشرية فى حيرة واضطراب ، واختلاف شديد .

ولو اتفقت البشرية على ميزان موحد لضبط العلم والمعرفة لما وقع بينها هذا التباين الشديد فى الاتجاهات والمناهج والمذاهب التى لا توجد بين أغلبها قواسم مشتركة أو نقاط التقاء .

وإلا فوقوع الاختلاف من طبائع البشر تبعا لاختلاف المفاهيم والقدرات حتى داخل المذهب الواحد .

والبشرية إذا لم يكن لها منهج موحد ترجع له عند الاختلاف وتزن مفاهيمها ونتائج أبحاثها بميزانه فإنها ستختلف ويشتد اختلافها . فمثلا فى المجال التاريخى نجد أن الروايات والمصادر تتفق على حدث تاريخى معين رغم اختلاف أديان أو مذاهب الرواة . لكنها لا تتفق فى تفسير هذا الحدث وتحليله واستخلاص النتائج منه لأنه فى رواية الخبر التاريخى وتدوينه ينقل الراوى ما شاهد أو ما سمع وتتفق الروايات إذا كان الرواة صادقين ، أما فى تفسير هذا الخبر وتحليله فإن كل شخص يأتى بتفسير بناء على مفاهيمه وعقيدته وبيئته التى تربى فيها . فإذا لم يكن هناك مصدر موحد يرجع له فى ضبط المفاهيم والأحكام والتفسيرات فستبقى البشرية فى اختلاف .

وأشد أنواع الاختلاف اختلاف المناهج والتصورات والقيم وإن الاهتداء بهدى الكتاب والسنة فى منهج الكتابة التاريخية يعود على البحث والباحث بكثير من الفوائد .

فإنه يورث للباحث جدية فى العمل وصفاء فى الفكر واهتماما بالكليات

والأصول ويبعده عن الإغراق فى الجزئيات والفروع التى تستغرق جهدا كبيرا ووقتا طويلا فى مناقشات قد لا تكون ذات قيمة .

كما أنه يوجه الطاقات والقوى إلى جذور القضايا وأمهات المسائل وبشكل حاسم . ويتضح ذلك فيما قصه القرآن الكريم من تاريخ الرسل والأمم السابقة . كما أن من ثمرات ذلك النظر فى سنن الله فى الأنفس والآفاق والتأمل فى أحوال الأمم عبر التاريخ وما وصلت إليه من الرخاء والتقدم وما انتهت إليه مصائرها وأسباب ذلك التقدم وعوامل هذا الانهيار – قال تعالى : ﴿ قل سيروا فى الأرض ثم انظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (١) وقال تعالى : ﴿ أفلم يسيروا فى الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم دمّر الله عليهم وللكافرين أمثالها ﴾ (٢) وقال : ﴿ قد خلت من قبلكم سنن فسيروا فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المكذبين ﴾ (٣) .

ومن ثمرات ذلك أن يكون سعى الإنسان فى طلب الأحسن والأقوم والأخذ به هو هدفه ورائده كما قال تعالى : ﴿ الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب ﴾(٤) .

ومن نتائج ذلك اهتمام الباحث بالقضايا الكبرى للأمة وأن يعمل جهده فيما يؤدى إلى رقيها وتقدمها ، وبذلك تكون أبحاثه ودراساته مما يمس واقع الأمة واحتياجاتها الفعلية ، وهذا أمر حيوى ولا غنى للباحث عن مثل هذه الدراسات وإلا كانت أبحاثه من باب الترف العلمي المجرد الذى يستهدف إشباع غريزة حب الاستطلاع وحب الظهور .

كما أن الاستمداد من المصدر الربانى يؤدى بالإنسان إلى الابتعاد عن الظنون والأوهام وتخليص الفكر من كل المبادىء والمعتقدات التى قامت على الظن أو التقليد وعلى الأفكار والتصورات الجاهلية .

---

(١) سورة الأنعام آية : ١١ .
(٢) سورة محمد آية : ١٠ .
(٣) سورة آل عمران آية : ١٣٧ .
(٤) سورة الزمر آية : ١٨ .

أضف إلى هذا ما يوفره الاعتماد على الكتاب والسنة من الابتعاد عن مصطلحات المتكلمين ومذاهبهم المختلفة وكافة المصطلحات الأجنبية ذات المفاهيم المرتبطة بالوضع التاريخى المحلى الغريب عن تاريخنا . وذات المعانى غير المنضبطة والتى تحجب الرؤية الصحيحة عن القارىء .

فمصطلح مثل الديمقراطية ، الاشتراكية ، الإنسانية ، المساواة ، الحرية ، الوطنية لها دلالات ومفاهيم مرتبطة بقيم وتصورات المجتمع الذى نشأت فيه [١] . ونقلها إلى ثقافتنا الإسلامية وتاريخنا يعطى أحكاما مضللة . والمؤرخ ينبغى له أن يسمى الأشياء بمسمياتها الحقيقية وأن يحكم عليها حسب الميزان الشرعى .

وكما أن المنهج الإسلامى قد وضع ضوابط لمنهج تلقى العلم ولوسائل التلقى فإنه أيضا وضع ضوابط محددة فى من نتلقى منه العلم .

فقد أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن محمد بن سيرين[٢] قال : (إن هذا العلم دين فانظروا عمن تأخذون دينكم) [٣] فنظرة المسلم إلى العلم على أنه عبادة من العبادات توجب عليه الاحتياط والتثبت فى تلقى العلم وأن لا يأخذ إلا عن الثقات فى دينهم وعقيدتهم خاصة فيما يختص بحقائق العقيدة أو التصور العام للوجود أو بالخلق والسلوك أو القيم والموازين أو النظم الإسلامية

---

(١) فمثلا مصطلح « الديمقراطية » من المصطلحات الأوروبية التى شاعت على ألسنة كثير من الكتاب والمؤلفين ويستعملونها فى زعمهم على ما تدل عليه لفظة الشورى بينما لو نظرنا لتاريخ هذا المصطلح الذى جلبوه واستعملوه بدلا من الشورى لتبين لنا بعد ما بينهما .

يقول الكاتب الانجليزى « برتراند رسل : « الديمقراطية كانت تعنى حكم الأغلبية مع نضيب قليل غير محدد المعالم من الحرية الشخصية ثم أصبحت تعنى أهداف الحزب السياسى الذى يمثل مصالح الفقراء على أساس أن الفقراء فى كل مكان هم الأغلبية . وفى المرحلة التالية أصبحت تمثل أهداف زعماء الحزب . وها هى الآن فى أوروبا الشرقية وجزء كبير من آسيا يصبح معناها الحكم المستبد لمن كانوا يوما ما نصراء للفقراء وأصبحوا اليوم يقصرون نصرتهم هذه للفقراء على إيقاع الخراب بالأغنياء إلا إذا كان الأغنياء من الديمقراطية بالمعنى الجديد « العقل والمادة » ص ٢٤١ - ٢٤٢ .

(٢) هو الإمام الربانى محمد بن سيرين مولى أنس بن مالك ولد فى خلافة عثمان بن عفان وسمع جمعا من الصحابة ، كان فقيها إماما غزير العلم ثقة ثبتا علامة فى التعبير - أى تعبير الرؤيا ، رأسا فى الورع ، كانت وفاته بعد وفاة الحسن البصرى بوقت يسير فى سنة ١١٠ هـ « الذهبى ، تذكرة الحفاظ ١ / ٧٧ » .

(٣) صحيح مسلم بشرح النووى ١ / ٨٤ .

أو ما يختص بتفسير بواعث النشاط الإنسانى أو بحركة تاريخية . فلا يجوز للمسلم أن يتلقى العلم فى هذه الأمور إلا عن مسلم يثق فى دينه وتقواه .

أما غير المسلم فلا يؤخذ عنه العلم فى هذه الأمور ولا كرامة بل لقد حذرنا الله أشد التحذير عن الأخذ والتلقى من الكفار بكافة طوائفهم ومللهم وبين لنا مصدر الهدى الذى نتلقى منه ، فقال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم . قل : إن هدى الله هو الهدى ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذى جاءك من العلم مالك من الله من ولى ولا نصير ﴾[1] .

وقال تعالى : ﴿ ودّ كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق ﴾[2] .

وقال تعالى : ﴿ ما يود الذين كفروا من أهل الكتاب ولا المشركين أن ينزل عليكم من خير من ربكم والله يختص برحمته من يشاء و الله ذو الفضل العظيم ﴾[3] .

وقال تعالى : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ ودت طائفة من أهل الكتاب لو يضلونكم وما يضلون إلا أنفسهم وما يشعرون ﴾[5] .

فهذه الآيات إخبار من الله تعالى عن موقف الكفار من الأمة الإسلامية وتحذير لنا من الركون لهم أو حتى إحسان الظن بمواقفهم تجاهنا . بل إنها تستجيش فينا مشاعر الحمية للحق وتوقظ قلوبنا وتدعوها للحذر الشديد أثناء التعامل معهم وعدم الطمأنينة لهم وهذا هو مقتضى الولاء والبراء الذى قال عنه

---

(١) سورة البقرة اية : ١٢٠ .
(٢) سورة البقرة آية : ١٠٩ .
(٣) سورة البقرة آية : ١٠٥ .
(٤) سورة البقرة آية : ٢١٧ .
(٥) سورة آل عمران آية : ٦٩ .

رسول الله ﷺ : « أوثق عرى الإيمان الحب فى الله والبغض فى الله »[1] .

وموقف الكفار هذا من المسلمين لم يكن فى فترة تاريخية من الزمن ثم تنتهى بل هو موقف ثابت دائم ما داموا على الكفر وما دمنا على الإسلام . كما هو دلالة الآيات السابقة ودلالة الوقائع التاريخية عبر الزمن المتطاول منذ أن كان هناك كفر وإيمان وإلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ... لأن من طبيعة الفسق أنه لا يقبل بوجود الحق ولا يستطيع المعايشة معه كما قال تعالى : ﴿ هل تنقمون منا إلا أن آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل من قبل وأن أكثركم فاسقون ﴾[2] فطالما أن هذا هو موقفهم وهذه هى توجهاتهم نحو الأمة المسلمة فإن كل مسلم عاقل يحترم عقله ودينه لا يقبل التلقى منهم فى أصول عقيدته ولا مقومات تصوره ولا منهج تاريخه ولا نظام حكمه أو سياسته أو مجتمعه وعاداته وتقاليده[3] .

يقول وليم جيفور بالكراف : (متى توارى القرآن ومدينة مكة عن بلاد العرب يمكننا حينئذ أن نرى العربى يتدرج فى سبيل الحضارة التى لم يبعده عنها إلا محمد وكتابه)[4] ويقول المبشر تكلى ما ترجمة نصه : (يجب أن نشجع إنشاء المدارس وأن نشجع على الأخص التعليم الغربى . وإن كثيرين من المسلمين تزعزع اعتقادهم حين تعلموا اللغة الإنجليزية[5] ، وإن الكتب المدرسية الغربية تجعل الاعتقاد بكتاب شرقى مقدس – يعنى القرآن – أمرا صعباً[6] فهذه نماذج من شهاداتهم وخططهم التى يعدونها لإخراج المسلمين عن دينهم فهل يحق لنا بعد

---

(١) رواه ابن أبى شيبة فى كتاب الإيمان ص ٤٩ وقال الألبانى حديث حسن أخرجه الطبرانى فى الكبير والحاكم فى المستدرك .

(٢) سورة المائدة آية : ٥٩ .

(٣) بل لقد بحث العلماء حكم السفر إلى بلد المشركين والإقامة بينهم فضلا عن التلقى والأخذ عنهم ولهم قيود على ذلك موضحة فى مظانها « انظر على سبيل المثال : رسالة الشيخ سليمان بن عبد الله بن محمد ابن عبد الوهاب » حكم موالات أهل الإشراك ، وحكم السفر إلى بلاد الشرك ص ٣٧٧ – ٣٩٢ منشورة ضمن مجموعة التوحيد .

(٤) أ . ل شاتليه – الغارة على العالم الإسلامى ص ٩٤ ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى .

(٥) تعلم اللغة الإنجليزية وغيرها من اللغات بقصد معرفتها لا يوصل إلى هذه النتيجة إلا إذا كان تعليمها موجها لهذا القصد وهذا هو هو الحاصل فى أغلب معاهد تعليم اللغات والكتب الخاصة بتعليمها حتى فى مدارس المسلمين مع الأسف .

(٦) محمد أمين المصرى ، المجتمع الإسلامى ص ٨٦ .

هذا أن ناخذ عنهم ونثق فيهم

ثم هم جهلاء لا علم عندهم فى هذه الأمور التى ذكرناها وذلك بشهادة الله رب العالمين وتقريره ذلك فى كتابه العزيز ، قال تعالى : ﴿ أفمن يعلم أنما أنزل إليك من ربك الحق كمن هو أعمى ، إنّما يتذكر أولو الألباب ﴾[1] فيقرر سبحانه وتعالى فى هده الآية[2] أن الذين لا يستجيبون للحق هم عمى وأنهم لا يتفكرون ولا يعقلون ، وأن الذين يستجيبون له هم أولو الألباب الذين اطمأنت قلوبهم بذكر الله .

(وأن الإنسان ليجد مصداق ذلك فى كل من يلقاه من الناس معرضا عن هذا الحق . وإذا كان الذين لا يؤمنون بهذا الحق عميا كما قرر البارى جل جلاله فإنه لا ينبغي للمسلم أن يتلقى العلم ويأخذه عن منْ هذه صفته وبخاصة إذا كان ذلك العلم تعلقا بالنظام الذى يحكم حياة الإنسان أو القيم والموازين التى تقوم عليها الحياة . أو بالسلوك والتقاليد والآداب التى تسود المجتمع المسلم . وهذا هو موقف المسلم من نتاج الفكر غير الإسلامى بجملته فيما عدا العلوم المادية البحتة وتطبيقاتها العملية . وأنه لا ينبغى لمسلم يعرف هدى الله ويعرف الحق الذى جاء به الرسول ﷺ أن يقعد مقعد التلميذ الذى يتلقى من إنسان لم يستجب لهذا الهدى ولم يعلم أنه الحق . وأن هذا الدين جد لا يحتمل الهزل وحزم لا يحتمل التميع وحق فى كل نص فيه وفى كل كلمة[3] .

---

(١) سورة الرعد آية : ١٩ .

(٢) راجع تفسيرها فى تفسير القرآن الكريم لابن كثير ٤ / ٣٧١ - ٣٧٢ وانظر الظلال ٤ / ١٠٧٤

(٣) انظر : سيد قطب ، فى ظلال القرآن ٤ / ٢٠٧٤ « بتصرف » .

الخاتمــة

لقد تعرض العالم الإسلامى منذ القرن التاسع الهجرى (الخامس عشر الميلادى) وخاصة قبيل إسقاط الدولة العثمانية لغزو عسكرى أوروبى يواكبه غزو فكرى ، اغتصب الأرض ، والثروة والإنسان وحاول اغتيال دين هذه الأمة وهو الإسلام ، ورد الأمة المسلمة إلى الكفر بعد أن من الله عليها بنعمة الإيمان : ﴿ ولا يزالون يقاتلونكم حتى يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ [(١)] .

وأدركت الأمة خطورة الهجمة الأوروبية الشرسة فهبت عن بكرة أبيها تجاهد المغتصب - رغم تفوقه فى أدوات القتل والتدمير - حتى أجبرته على الخروج من ديار الإسلام [(٢)] .

وقبل أن يخرج المحتل المغتصب من بلاد العالم الإسلامى ، كان قد نجح فى تمزيقها تمزيقا وزرع فيها مشاكل الحدود والأقليات ، وربطها برباط التبعية العقدية والفكرية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية .

وأخطر ما فى هذه الهجمة الأوروبية الشرسة ، الغزوة الفكرية التى استهدفت تربية أجيال لا تعرف لها ربا ، ولا ترتضى لها دينا . ولتحقيق ذلك فإنهم حرصوا على : إفساد مناهج التعليم وصبغها بالصبغة العلمانية ، إفساد وسائل الإعلام ، إفساد المرأة بعد إخراجها من بيتها .

ونال التاريخ الإسلامى « منهجا ، ومرجعا ، وأستاذا ، النصيب الأوفر من المؤامرة الأوروبية الضارية .

---

(١) سورة البقرة ، آية ٢١٧

(٢) وهذا ما لم يكن يتوقعه ، وخاصة وأن الدول الأوروبية المحتلة ، كانت قد أصدرت قرارات تعتبر بلاد الإسلام المغتصبة جزءاً من الوطن الأم (أوروبا) ، كما فعلت فرنسا فى الجزائر ، وكما فعل البرتغاليون فى أفريقية .

يتضح ذلك من فحصنا لنماذج من الموسوعات التاريخية والمراجع التى كتبت فى التاريخ الإسلامى حيث لاحظنا أن المستشرقين ، يعاونهم جمع غفير من أبناء العرب والمسلمين قد حرصوا على تشويه وتزييف التاريخ الإسلامى ، تحت شعار البحث العلمى المجرد ، وكان هدفنا من إدراج هذه النماذج ، أن يدرك القارىء أن الإطار الذى وضعه المستشرقون لكتابة ودراسة التاريخ الإسلامى هو نفس الإطار الذى يستخدمه أبناء العرب والمسلمين .

ولقد ترتب على اتباع ذلك النهج الاستشراقى فى كتابة التاريخ الإسلامى ، نوع من التبعية الفكرية الخطيرة ، التى جعلت المسلم ينظر إلى دينه ، وإلى نفسه ، وإلى تاريخ أمته من خلال كتابات أعدها أعداء هذا الدين .

ولكى تضمن أوروبا استمرار تنفيذ مخططها حتى بعد خروج جيوشها ، المدججة بالسلاح ، أعدت جيوشا من أبناء الأمة المسلمة ، فى دور علمها حيث لقنتهم أفكارها ومبادئها ، وأعادتهم إلى بلادهم وأمتهم ، لكى يباشروا دورهم فى تدمير فكر الأمة الإسلامية .

والخطورة التى يجب أن تنتبه إليها الأمة الآن ، أن الكثيرين ، ممن لُقِّنُوا المنهج الاستشراقى فى كتابة ودراسة وتدوين التاريخ الإسلامى يتربعون على مراكز التوجيه الفكرى فى دور العلم فى بلاد الإسلام ، وهذا أخطر على الأمة المسلمة من الغزوة العسكرية التى تعرضت لها من قبل أعداء الإسلام .

ومن هنا ، وانطلاقا من واجب النصح للمسلمين والتواصى بالحق والتواصى بالصبر ، نبهنا إلى هذا الذى تعرض له التاريخ الإسلامى على أيدى المستشرقين من أبناء أوروبا ومن سار على نهجهم من أبناء المسلمين .

ولم يقف نصحنا عند هذا الحد ، ولكن نبهنا أيضا إلى ضرورة التحرر من التبعية الفكرية فالأمة المسلمة لها سمت متميز ، وهى خير أمة أخرجت للناس : ﴿ كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾[1] . وهى الأمة الشاهدة : ﴿ وكذلك جعلناكم أمة وسطا

---

(١) سورة آل عمران آية : ١١٠

لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا ﴾[1] . ولا يجوز لأمة هذا سمتها ، أن تسمح لغيرها أن يفكر لها ، أو أن تقرأ تاريخا كتبه لها أعداؤها ، أو أن تكون فى المؤخرة أو الذيل .

ومن هذا المنطلق قدمنا تصورا مقترحا لمواد التاريخ الإسلامى فى ضوء الكتاب والسنة وبعيدا عن التصور الاستشراقى ، مع خطوط رئيسية للمنهج .

كما قدمنا تصورا بديلا لمقررات مواد التاريخ القديم ، التى تدرس فى المدارس والجامعات فى بلاد العالم الإسلامى وغير الإسلامى .

وفى ظل هذا التصور ، يتخلص المسلمون من التبعية الفكرية ، وتتضح لهم شخصيتهم الإسلامية ، ويستعيدون هويتهم الضائعة .

ويصبح عمر التاريخ الإسلامى بضعة آلاف عام أو يزيد . فتاريخ الإسلام يبدأ بخلق الكون مسلما منقادا طائعا لله رب العالمين ، وتاريخ الأمة الإسلامية يبدأ بخلق آدم عليه السلام وزوجه وبنيه ، مستسلمين لله عز وجل ، ويصبح الدين الإسلامى ، وهو الدين الذى دعا إليه جميع رسل الله – عليهم السلام – وهو الدين الذى لا يقبل الله من الأولين أو الآخرين غيره[2] – حقيقة بارزة فى تاريخ الأمة المسلمة .

وفى ظل هذا التصور ، تبرز ملامح الأمة المسلمة ، ودورها على مدار تاريخ البشرية وتبرز ملامح الجاهلية ، ودورها فى اجتيال الناس عن دين الله عز وجل ، ويتضح كذلك حقيقة الإسلام وكونه نظاما شاملا : « عقديا وتعليميا وثقافيا وسياسيا واقتصاديا واجتماعيا » صالحا لكل زمان ومكان . وتتضح أيضا الحقيقة الكبرى التى من أجلها خلق الله الخلق ، وأرسل الرسل ، وقام الصراع بين الحق والباطل ، ومن أجلها تنصب الموازين القسط يوم القيامة ، ومن أجلها خلق الله

---

(١) سورة البقرة آية : ١٤٣ .

(٢) وبذلك يتضح خطأ الدراسات التاريخية المعاصرة التى وضع أسسها المستشرقون ، والتى تقسم تاريخ البشرية إلى تاريخ قديم ووسيط وحديث ، وتجعل بداية التاريخ الإسلامى فقط – برسالة محمد ﷺ ، وتجعله فى فترة العصور الوسطى ، عصور التخلف والظلام والرجعية ، بينما تجعل بضعة آلاف عام من تاريخ الأمة المسلمة أيضا ، تاريخا وثنيا جاهليا محضا لا أثر فيه لدين الله عز وجل وهو الإسلام وأطلقت عليه اسم التاريخ القديم .

الجنة والنار .. وهذه الحقيقة هى : ﴿ اعبدوا الله ما لكم من إله غيره ﴾ .

ومن خلال استعراض تاريخ الأمة المسلمة ، وهى تحمل هذا الحق وتدعو إليه ، وتكافح من أجله ، وتجاهد وتضحى من أجل أن تكون كلمة الله هى العليا ، يبدو الدور الحقيقى لكل فرد من أفراد المجتمعات المسلمة فى كل زمان ومكان ويبدو من هم أعداء الأمة المسلمة الحقيقيين فى الماضى والحاضر والمستقبل ، وتتضح حقيقة الكيد الشيطانى والتآمر العالمى على الأمة المسلمة ، وكيف تستطيع الأمة المسلمة أن تتقى شرهم ، وتواجه كيدهم .

وبالإضافة إلى ما سبق ، فإن دراسة تاريخ الأمة الإسلامية بالمنهج الإسلامى يمكن أن يؤدى دوراً حقيقياً فى بناء الفرد المسلم المخلص لربه ، الحريص على دينه ووطنه ونظامه .

ومن هنا تظهر أهمية المنهج الإسلامى لكتابة ودراسة وتدريس التاريخ الإسلامى ، وضرورة رسم ملامحه الرئيسية فى رسالة قادمة بإذن الله وقد اكتفينا هنا بالتقديم له بمفاهيم أساسية فى منهج كتابة ودراسة التاريخ الإسلامى ، ومن هذه المفاهيم :

(أ) مفهوم العلم ومنهج تلقيه فى ضوء الكتاب والسنة .

(ب) ضوابط منهج العلم ، وقد أخذ هذا الفصل من رسالة ماجستير قدمت إلى كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة أم القرى ، بمكة المكرمة ، تحت عنوان « منهج كتابة التاريخ الإسلامى حتى نهاية القرن الثالث الهجرى » مقدمة من الطالب « محمد بن صامل العليانى السلمى ، تحت إشراف الأستاذ الدكتور حسام الدين السامرائى ، اقتناعا منى بسلامة المنهج المطروح ، مع العلم بأن الذين كتبوا فى المنهج الإسلامى لكتابة التاريخ الإسلامى فى القرن الأخير قلة ، وأذكر منهم على سبيل المثال :

(١) فى التاريخ فكرة ومنهاج تأليف سيد قطب .

(٢) دراسات قرآنية تأليف محمد قطب .

---

(١) سورة الأعراف آية : ٥٩ .

(٣) هل نحن مسلمون تأليف محمد قطب .

(٤) فى التاريخ الإسلامى فصول فى المنهج والتحليل تأليف د . عماد الدين خليل .

(٥) المنهج الإسلامى لدراسة التاريخ وتفسيره تأليف د . محمد رشاد خليل .

(٦) نظرات فى التاريخ الإسلامى تأليف د . عبد الرحمن الحجىّ .

(٧) ثقافة الداعية تأليف د . يوسف القرضاوى .

وللحديث بقية إن شاء الله

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت
استغفرك وأتوب إليك وصل اللهم على سيدنا
محمد وعلى آله وصحبه وسلم

مصادر ومراجع البحث

- إغاثة اللهفان من مصايد الشيطان ، تأليف محمد بن أبى بكر الزرعى الشهير بابن قيم الجوزية (ت ٧٥١ هـ) تصحيح محمد حامد الفقى ، دار المعرفة ، بيروت .
- اقتضاء العلم العمل ، تأليف أحمد بن على ثابت البغدادى الخطيب (ت ٤٦٣ هـ) ، تحقيق الألبانى المكتب الإسلامى ، ط ٣ ، سنة ١٣٨٩ هـ .
- الإحكام فى أصول الأحكام ، تأليف على بن أبى على بن محمد الآمدى ، مكتبة محمد على صبيح وأولاده ، القاهرة ١٣٨٧ هـ .
- الأعلام ، (٨ أجزاء) ، تأليف خير الدين الزركلى دار العلم للملايين ، ط ٤ ، سنة ١٩٧٩ م .
- الجامع الصحيح ، محمد بن إسماعيل البخارى ، (ت ٢٥٦ هـ) ، ٨ أجزاء ، المكتبة الإسلامية بتركيا ١٩٧٩ م .
- الصارم المسلول فى شاتم الرسول ، تأليف ابن تيمية .
- العبودية ، تأليف أحمد بن عبد الحليم الحرانى الشهير بابن تيمية ، تحقيق عبد الرحمن ، المكتب الإسلامى ، بيروت ، ط ١ .
- الغارة على العالم الإسلامى ، تأليف أ . ل . شاتليه ، ترجمة محب الدين الخطيب ومساعد اليافى ، منشورات العصر الحديث .
- المستدرك على الصحيحين ، تأليف أبو عبد الله محمد بن عبد الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) ، دار الكتاب العربى ، بيروت .
- الموافقات ، (٤ أجزاء) ، تأليف إبراهيم بن موسى الغرناطى الشاطبى (ت ٧٩٠ هـ) ، تعليق عبد الله دراز ، المكتبة التجارية الكبرى .

- المجتمع الإسلامى ، محمد أمين المصرى ، دار الأرقم ، الكويت ، ط ١ ، ١٤٠٠ هـ .
- تاج العروس شرح القاموس ، تأليف محمد بن محمد بن مرتضى الزبيدى (ت ١٢٠٥ هـ) ، طبع دار الحياة بيروت .
- تاريخ الرسل والملوك ، تأليف أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى (ت ٣١٠ هـ) ، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط ٢ ، دار المعارف ، مصر .
- تذكرة الحفاظ ، (مجلدان) ، تأليف محمد بن أحمد بن عثمان الذهبى (ت ٧٤٨ هـ) ، تصحيح عبد الرحمن المعلمى ، دار إحياء التراث العربى .
- تهذيب التهذيب (١٢ مجلدا) ، تأليف أحمد بن على العسقلانى الشهير بابن حجر ، الهند .
- حكم سب الصحابة (رضى الله عنهم) ، تأليف ابن تيمية الحرانى الدمشقى ، ابن حجر الهيثمى ، ابن عابدين .
- حكم موالاة أهل الإشراك ، ضمن مجموعة التوحيد ، تأليف سليمان بن عبد الله بن عبد الوهاب ، طبع دار الإفتاء الرياض .
- حكم السفر إلى بلاد الشرك ، ضمن مجموعة التوحيد ، تأليف سليمان ابن عبد الله بن عبد الوهاب ، طبع دار الإفتاء ، الرياض .
- جامع بيان العلم وفضله ، تأليف يوسف النمرى القرطبى الشهير بابن عبد البر (ت ٤٦٣ هـ) ، دار الكتب الحديثة ، القاهرة .
- زاد المعاد فى هدى خير العباد ، تأليف ابن قيم الجوزية .
- شرح السنة (١٦ جزءا) ، الحسين بن مسعود البغوى (٥١٦ هـ) ، المكتب الإسلامى ، بيروت .
- صحيح مسلم ، تأليف مسلم بن الحجاج القشيرى (ت ٢٦١ هـ) ، تحقيق محمد فؤاد عبد الباق ، دار إحياء التراث العربى .
- فتح البارى شرح صحيح البخارى (١٤ مجلدا) تأليف أحمد بن على العسقلانى الشهير بابن حجر (ت ٨٥٢ هـ) ، المكتبة السلفية ، القاهرة .

- فى ظلال القرآن (٦ مجلدات) ، تأليف سيد قطب ، طبع دار الشروق ، بيروت .
- فى التاريخ فكرة ومنهاج ، سيد قطب ، الدار السعودية للنشر ، جدة ، ط ١ ، ١٣٨٧ هـ .
- قواعد الأحكام ، تأليف العز بن عبد السلام السلمى (ت ٦٦٠ هـ) ، دار الكتب العلمية ، بيروت .
- معالم فى الطريق ، تأليف سيد قطب ، دار الشروق ، بيروت .
- مجموع الفتاوى (٧ أجزاء) ، أحمد بن عبد الحليم الحرانى الشهير بابن تيمية (ت ٧٢٨ هـ) ط ٢ ، مكتبة ابن تيمية ، القاهرة .

مراجع يجب أن تخضع للجرح والتعديل قبل الاعتماد على ما جاء بها ..

- الدعوة إلى الإسلام ، تأليف توماس أرنولد ، ترجمة د . حسن إبراهيم حسن وآخرين .
- الحضارات السامية القديمة ، تأليف س . موسكاتى ، ترجمة الدكتور السيد يعقوب بكر .
- الحضارة العربية الإسلامية ، تأليف د . على حسنى الخربوطلى .
- الشرق الخالد ، تأليف د . عبد الحميد زايد .
- العرب قبل الإسلام ، تأليف جورجى زيدان .
- الموسوعة العربية الميسرة ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات .
- الموسوعة الأثرية العالمية ، تأليف ليونارد كوتريل ، ترجمة د . محمد عبد القادر محمد ، د . زكى اسكندر ، ومراجعة د . محمد عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٧٧ م .
- تاريخ العرب العام ، تأليف سيديو ، ترجمة عادل زعيتر .
- تاريخ العرب المطول تأليف فيليب حتى .
- تاريخ مسلمى أسبانيا ، تأليف دوزى ، ترجمة د . حسن حبشى .
- تاريخ التمدن الإسلامى ، تأليف جورجى زيدان .

- تاريخ الإسلام السياسى والدينى والثقافى ، تأليف د . حسن إبراهيم حسن .
- تاريخ العالم ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات ، أشرف على إعداده جون . أ . هامرتن قام بالترجمة بعض الأساتذة هم : محمد بدران وعبد الحميد يونس ومحمد إبراهيم الدسوقى ومحمد عوض محمد ، وإبراهيم زكى خورشيد ، المجلد الأول ، ط ٢ ، دار الثقافة بوزارة التربية والتعليم ، مكتبة النهضة المصرية .
- حضارة العرب ، تأليف جوستاف لوبون ، ترجمة عادل زعيتر .
- حضارة مصر والشرق القديم ، تأليف د . إبراهيم رزقان وآخرون .
- خلافة بنى أمية ، تأليف د . نبيه عاقل .
- دراسات تاريخية من القرآن فى بلاد العرب ، تأليف د . محمد بيومى مهران .
- دائرة معارف القرن العشرين ، تأليف محمد فريد وجدى .
- سياسة الاستعمار والصهيونية تجاه فلسطين ، تأليف د . حسن صبرى الخولى.
- فجر الإسلام ، تأليف أحمد أمين .
- قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس ، تأليف د . السيد عبد العزيز سالم .
- قصة الحضارة ، تأليف ول . ديورانت ، ترجمة محمد بدران وآخرين ، جـ ١ ، المجلد الأول ، الإدارة الثقافية ، جامعة الدول العربية ، القاهرة ١٩٦٤ م .
- معالم تاريخ الإنسانية ، تأليف عدد من أساتذة الجامعات ، أشرف على إعداده هـ . ج . ولز ، وقام على ترجمته د . عبد العزيز توفيق جاويد ، م ١ ، ط ٣ ، القاهرة ١٩٦٧ م .
- موجز تاريخ العالم ، تأليف هـ . ج . ولز ، ترجمة د . عبد العزيز توفيق جاويد ، ومراجعة محمد مأمون ، القاهرة .
- موسوعة تاريخ العالم ، إعداد لانجر ، وترجمة عثمان نوبة ، ود . راشد البراوى ، محمد على أبو درة ، القاهرة ١٩٧١ م .

جدول رقم (١)

المستشرقون المعاصرون

- **ابراهام كاش :**

عرف من نشاطه أنه مؤلف كتاب (اليهودية فى الإسلام) .

- **س . س . أدامز** C.C Adems

إنجليزى باشر التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة لفترة من الزمن .
ومؤلف كتاب (الإسلام والتجديد فى مصر) المترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور .

- **ادوارد أبر :**

أستاذ فى الجامعة الكاثوليكية فى واشنطن .

- **ادوارد فرمان** E. Ferman

من ألد أعداء الإسلام وأكثر المستشرقين طعناً فيه . له كتاب بالإنجليزية عن (تاريخ المسلمين وفتوحاتهم) .

- **ادوين كالفرلى** E. Calverley

أمريكى متعصب رئيس تحرير مجلة « العالم الإسلامى » The Muslim World الأمريكية لفترة من الزمن ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية ، ومن الذين باشروا التدريس فى الجامعة الأمريكية بالقاهرة عدة مرات ، معروف باتجاهات تبشيرية سافرة .

- **اريك شرودر :**

مؤلف كتاب « أمة محمد » الذى صدر بالإنجليزية سنة ١٩٥٥ .

« عن كتاب الفكر الإسلامى الحديث وصلته بالإستعمار الغربى ، تأليف الدكتور محمد البهى ، مكتبة وهبة القاهرة ؛ **الاستشراق** والمستشرقون تأليف الدكتور مصطفى السباعى ، المكتب الإسلامى دمشق .

- ج . س . آرثر Arthur

مؤلف « العناصر الصوفية فى محمد » الذى صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٥٤ .

- آرثر جيفرى Arhur Jeffry

معروف بتعصبه السافر ضد الإسلام والمسلمين . ومن كتبه :

– (مصادر تاريخ القرآن)، صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٣٧ .
– (الكلمات الدخيلة فى القرآن) بالإنجليزية .
– (القرآن ككتاب دينى) صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٥٢ .

- ت . و . آرنولد T. W. Arnold

إنجليزى اشترك فى تحرير (دائرة المعارف الإسلامية) ومن كتبه .

– « الدعوة إلى الإسلام » ترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور
– « الخلافة » ، صدر بالإنجليزية فى سنة ١٩٣٤ .
– « تراث الإسلام » صدربالإنجليزيةافى سنة ١٩٣١ .

- أرنولد توينبى Arnold Toynbee

إنجليزى له أخطاء فيما كتب عن الإسلام والرسول فى كتابه العالمى « دراسة فى التاريخ » . وخطؤه هنا شديد الخطورة ؛ لأن الكتاب يعتبر أحسن دراسة موضوعية للتاريخ فى العصر الحديث فى نظر كثير من الناس ، وخاصة الشرقيين والعرب منهم بوجه أخص .

- أ . أ . الدر Elder

قسيس يساهم فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » التى تصدر بالإنجليزية فى أمريكا .

- الفرد كارلتون A. Karlton

أمريكى كان مديراً لكلية حلب ، ثم عين نائباً لرئيس جمعية البعثات الأمريكية التبشيرية فى الخارج .

- ج . أ . أ . ايزنبرج J. Eisenberg

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **و . ايفانو** W. Ivanow

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية ».

- **ف . بابنجر** F. Babinger

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ا . باجليارو** A. Bagliaro

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ج . بارت** J. Barth

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ر . باريت** R. Paret

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ر . باست** R. Passet

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **أ . يشوب** Bishop

قسيس يساهم فى تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية .

- **براون** Browne

إنجليزى كان عضواً بالمجمع العلمى العربى بدمشق .

- **ل . ل . براون** L. L. Brown

قسيس أمريكى يساهم فى تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية .

- **س . س . برج**

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **هـ . هـ . برو** H.H. Brau

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية .

- **ا . ل . بروفنسال** E.L. Provensal

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- ر . بل R. Bell

إنجليزى كثير الخطأ فى حديثه عن الإسلام والقرآن . ومن كتبه :

– « أصول الإسلام فى بيئته المسيحية » ، صدر فى سنة ١٩٢٦ .

– « القرآن » صدر فى سنة ١٩٣٧ .

– « مقدمة القرآن » صدر فى ١٩٥٤ .

- ر . بلاشير R. Blacher

فرنسى ومؤلف كتاب « مقدمة القرآن » صدر فى ١٩٤٧ .

- م . بلسنر M. Plessner

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- ف . بول F. Buhl

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- ت . ف . بوتشنر T. V. Buchner

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- ج . بيدرسن J. Podersen

دانيمركى ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ، والآن أستاذاً فى جامعة كوبنهاجن .

- ك . بيكنز

قسيس يساهم فى تحرير « مجلة العالم الإسلامى » الأمريكية .

- ا . س . بيفريدج A. S. Beveridge

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- س . ه . بيكر S. D. Becker

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- ا . س . تريتون A. S. Tritton

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **ر . تشودى** R. Chudi

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **توماس جوينبول** Th. Juynboll

من كبار محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **تيودرى نولدكه** T. Noeldeke

ألمانى معروف بعدائه للإسلام « له كتاب عن القرآن » وكتاب آخر عن التاريخ الإسلامى ظهر بالإنجليزية فى « مسلسلة تاريخ العالم » .

● **جايتانى** Gaetani

إيطالى ، وكان عضواً بالمجمع العلمى فى دمشق .

● **ا . جروهمان** A. Grohman

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **جريفنى** Griffni

إيطالى ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

● **جوتهيل** Gottheil

كولومبى ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

● **ل . جوثير** L. Gauthier

فرنسى ، متعصب دينياً وجنسياً ، وكثير التشهير بالإسلام والحقد عليه ، من أتباع رينان فى فكرة تمييز الآريين فى السيادة على غيرهم (انظر ص ٢٥ وما بعدها من العدد ١ من المجلد ٩ ، يناير سنة ١٩٢٥) من « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » .

● **جودفروى ديمومبنز** Gaudefroy Demombynes

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » له كتاب عن « الحج » فيه كثير من الخلط والتشويه ، (انظر ص ١٣ من العدد ١٦ ، من المجلد ٩ ، يناير سنة ١٩٢٥ من « مجلة جمعية الدراسات الشرقية ») .

- **و . جوركمان** W. Bjorkman

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **جويدى** Guidi

إيطالى ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

- **ب . جويل** B. Goel •

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **جى دوسو** Guy Dussaud

فرنسى ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق .

- **جيمس هنرى بريستيد** J.H. Brestead

أمريكى ، يدير معهد الشرق الأوسط بجامعة شيكاغو فى أمريكا .

- **ج . ل . دلافيدا** G.L. Della Vida

من كبار محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ا . هـ . دوجلاس** A.H. Dauagles

من محررى مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية .

- **د . م . دونالدسون** D.M. Donaldson

قسيس أمريكى ، يساهم فى تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية ومن كتبه :

- « دين الشيعة » صدر فى عام ١٩٣٧ .
- « دراسات فى علم الأخلاق الإسلامية » ، صدر عام ١٩٥٣ .

- **دى بور** De Boer

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » وله كتب عن الفلسفة الإسلامية ترجم بعضها إلى العربية .

- **ديتريش** Dietrich

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ا . دينيه** E. Dinet

فرنسى ، شديد التعصب ضد الإسلام ، له كتاب بالفرنسية « الشرق والغرب » .

- **ر . روبرتز** R. Roberts

انجليزى ، ومؤلف « القوانين الاجتماعية فى القرآن » وله دراسة مقارنة بين القرآن والتوراة فى القوانين الاجتماعية صدر فى عام ١٩٢٥ .

- **هـ . ريكندروف** H. Rekendorf

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » وله بعض الكتب .

- **ك . ف . زيترستين** K. V. Zettersteen

من كبار محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **و . سبايز** O. Spies

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **هـ . سبير** H. Speyer

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية ».

- **م . سترك** M. Strech

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- ستيفن رونسمان

مؤلف « تاريخ الحروب الصليبية » صدر الجزء الثالث منه عام ١٩٥٤ .

- م . سميث M. Smith

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **سنوك هروج رونجه** Snouk Horgronje

هولندى ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » . حارب الإسلام والمسلمين بكتبه ، وكان مستشاراً لحكومته فى شئون أندونيسيا ، له كتاب « الإسلام » .

- **ر . شتروتمان** R. Strotman

ألماني الأصل ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ب . شريك** B. Schrieke

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ج . شليفر** J. Shlaifer

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **صمويل مرسر** S. Merecer

أمريكى ، وكان رئيساً لجمعية الدراسات الشرقية الأمريكية ، التى تأسست فى مدينة حامبير بولاية أوهايو ، وكان لها فروع فى أوربا وكندا ،كما كان رئيساً لتحرير مجلة هذه الجمعية .

- **سى . فان اريندونك** Cvan Arendonk

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ه . فوخس** H. Fuchs

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية .

- **ك . فوللرز** K. Vollors

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ف . فوكا** V. Vocca

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ا . فيشر** A. Fisher

ألمانى الأصل ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **كارل بروكلمان** Karl Brockelmann

ألمانى الأصل ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ، صاحب أكبر موسوعة فى تاريخ الآداب العربية باللغة الألمانية ، ومن مؤلفاته الهامة « تاريخ الشعوب الإسلامية » المترجم من الألمانية إلى الإنجليزية . كان

عضواً بالمجمع العلمي العربي في دمشق ، (انظر الاشارة إلى بعض أخطائه التاريخية والعلمية فى مجلة الإسلام) Al-Islam التى تصدر بالإنجليزية في كراتشي - باكستان ص ١٤١ من عدد أول مايو سنة ١٩٥٨) .

- **ر . ا . كرن** R.A. Kern

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ا . كـور** A. Cour

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **كوستى ولسون** K. Willson

يساهم فى تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية .

- **ج . هـ . كريموز** J.H. Kramers

هولندى من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » كثير الطعن فى الإسلام وصاحب ميول تبشيرية سافرة .

- **لونجوورث دايمز** Longworth Dames

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ت . لويشى** T. Luwichi

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ب . لويس** Benrard Lewis

إنجليزى ، له مقالات كثيرة وبعض الكتب منها : (العرب فى التاريخ) ، صدر فى عام ١٩٥٠ ، والآن أستاذ بجامعة لندن .

- **ر . ليفى** R. Levy

متخصص فى الدراسات الاجتماعية فى الإسلام ، ومن كتبه :

- مقدمة لدراسة علم الاجتماع الإسلامى صدر فى عام ١٩٣٣ .

- « والهيكل الاجتماعى للإسلام » ظهر فى عام ١٩٥٧ ، ويصدر فى أجزاء متتالية .

- **ج . مارسايز** G. Marsais

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **هـ . ماسى** H. Massey

فرنسي ويعرف من مؤلفاته كتاب (الإسلام) صدر فى عام ١٩٣٠ .

- **ل . ا . مرل**

أمريكى يساهم فى تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية .

- **ت . منتزل** C. Morrison

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **سى . موريسون** Morrison

أمريكى ، ومؤلف كتاب (التوتر السياسى والاجتماعى والدينى فى الشرق الأوسط) عام ١٩٥٤ .

- **ف . مينورسكى** V. Minorski

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » والآن أستاذ بجامعة كمبردج .

- **نالينو** Nalino

إيطالى ، وكان عضوا بالمجمع العلمى العربى فى دمشق . معروف بكتاباته ضد الإسلام .

- **هـ . سى . نيبرج** H.S. Nyberg

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **م . نيتس**

كان محرراً فى مجلة العالم الإسلامى (الأمريكية) .

- **و . هارنتر** Hartner

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **هارتمان** Hartman

ألمانى الأصل ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ، ويعرف

من مؤلفاته (الإسلام والقومية) ظهر فى عام ١٩٤٨ .

● **هاورث دن** H. Dunne

من أصل ألمانى ، ويعيش فى أمريكا الآن ، ويسمى نفسه جمال الدين ، ويعرف من مؤلفاته (مقدمة لدراسة التربية فى مصر) بالإنجليزية .

● **هاورد ريد** H. Reed

أمريكى ، نشأ فى بيئة تبشيرية فى تركيا ، وتخصص فى التاريخ الإسلامى والشئون التركية . كان أستاذاً ببعض الجامعات الأمريكية، ثم ممثلا لمؤسسة فورد فى بيروت ، له بعض المقالات ، ولا تعرف له كتب تذكر .

● **م . هوتسما** M. Hautsma

هولندى ، وكان عضواً بالمجمع العلمى العربى فى دمشق ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **هورفيتس** J. Horovits

ألمانى الأصل ، من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **ا . هونجمان** A. Hongman

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **ا . ج . هويسمان** A.J. Huisman

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **ب . هلر** B. Heller

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **و . هيفننج** W. Heffening

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

● **هيورت** Huart

من المستشرقين المشهورين بالتخبط فى عرض الإسلام ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **م . وات** M. Watt

إنجليزى له بعض المقالات ومن كتبه :

– (الجبر والاختيار فى الإسلام) . صدر فى عام ١٩٤٨ .

– (محمد فى مكة) . صدر فى عام ١٩٥٣ .

- **ج . ووكـــر** J. Walker

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ، ومؤلف كتاب : « (ملامح عن التوراة فى القرآن) ، صدر فى عام ١٩٣٦ .

- **ب . ويتك** P. Wittek

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ت . هـ . وير** T. HG. Weir

من محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **ك . يانج** C. Young

أمريكى ، مارس التبشير فى إيران ، كان أستاذاً فى قسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون فى أمريكا ، والآن مدير هذا القسم ، ومستشار وزارة الخارجية الأمريكية فى شئون الشرق الأوسط ، وخاصة فى شئون إيران ، له مقالات متفرقة ولا يعرف له كتب تذكر .

- **يوليوس وهاوزن** J. Welhausen

ألمانى الأصل (١٨٤٤ – ١٩١٩) اشتهر بتعصبه ضد الإسلام وتشويه مبادئه ، يعرف من كتبه (تاريخ اليهود) .

جدول رقم (٢)

الخطرون من المستشرقين

الذين تعد كتاباتهم حجة بين الغربيين ، أو لآرائهم شبه حجية بين المسلمين .

- **ا . ج . أربرى** A. J. Arberry

إنجليزى معروف بالتعصب ضد الإسلام والمسلمين ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » والآن أستاذ بجامعة كمبردج ، ومن المؤسف أنه أستاذ لكثير من المصريين الذين تخرجوا فى الدراسات الإسلامية واللغوية فى انجلترا ومن كتبه :

– (الإسلام اليوم) صدر فى عام ١٩٤٣ .
– « مقدمة لتاريخ التصوف » صدر فى عام ١٩٤٧ .
– (التصوف) صدر فى عام ١٩٥٠ .
– (ترجمة القرآن) صدر فى عام ١٩٥٠ .

- **الفردجيوم** A. Geom

إنجليزى معاصر ، اشتهر بالتعصب ضد الإسلام ، حاضر فى جامعات إنجلترا وأمريكا . وتغلب على كتابته وآرائه الروح التبشيرية . ومن **كتبه** « الإسلام » ومن المؤسف أنه تخرج عليه كثير ممن أرسلتهم الحكومة المصرية فى بعثات رسمية للخارج لدراسة اللغات الشرقية .

- **بارون كرادى فو** Baron Carra de Vaux

فرنسى متعصب جداً ضد الإسلام والمسلمين ، ساهم بنصيب بارز فى تحرير « دائرة المعارف الإسلامية » .

● هـ . ا . ر . جب H.A.R. Gibb

أكبر مستشرق إنجلترا المعاصرين ، كان عضواً بالمجمع اللغوى فى مصر والآن أستاذ الدراسات الإسلامية والعربية فى جامعة هارفرد الأمريكية ، من كبار محررى وناشرى « دائرة المعارف الإسلامية » . له كتابات كثيرة فيها عمق وخطوره ، وهذا هو سر خطورته . ومن كتبه :

– « طريق الإسلام » ألفه بالاشتراك مع آخرين ، وترجم من الإنجليزية إلى العربية تحت العنوان المذكور .

– « الاتجاهات الحديثة فى الإسلام » :

صدر فى عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه وترجم إلى العربية تحت العنوان المذكور .

– « المذهب المحمدى » صدر عام ١٩٤٧ وأعيد طبعه .

– (الإسلام والمجتمع الغربى) يصدر فى أجزاء ، وقد اشترك معه آخرون فى التأليف ، وله مقالات أخرى متفرقة .

● جولدزيهر Goldziher

مجرى عرف بعدائه للإسلام ، وبخطورة كتاباته عنه ، ومن محررى (دائرة المعارف الإسلامية) . كتب عن القرآن والحديث ، ومن كتبه : « تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى » المترجم إلى العربية تحت العنوان السابق .

● جون ماينارد J. Maynard

أمريكى متعصب ، كان يساهم فى تحرير (مجلة جمعية الدراسات الشرقية) الأمريكية ، وخاصة باب الكتب الجديدة التى لها صلة بالإسلام وبالشرق على العموم . (انظر – مثلا – ص ٢٢ وما بعدها من العدد ٢ ، من المجلد ٨ ؛ أبريل سنة ١٩٢٤ من المجلة المذكورة .

● س . م زويمر S.M. Zweimer

مستشرق مبشر ، اشتهر بعدائه الشديد للإسلام ، مؤسس مجلة (العالم الإسلامى) الأمريكية التبشرية ، مؤلف كتاب (الإسلام تحد لعقيدة) صدر فى سنة ١٩٠٨ ، وناشر كتاب (الإسلام) وهو مجموعة مقالات قدمت للمؤتمر التبشيرى الثانى فى سنة ١٩١١ بلكنو فى الهند ، وتقديراً لجهوده

التبشيرية أنشأ الأمريكيون وقفاً باسمه على دراسة اللاهوت وإعداد المبشرين .

- **عزيز عطية سوريال**

مصرى مسيحى ، كان أستاذاً بجامعة الإسكندرية ، والآن يدرس بإحدى جامعات أمريكا ، شديد الحقد على الإسلام والمسلمين، وكثير التحريف للتعاليم الإسلامية ، يستعين على الحقد والتحريف بكونه بعيداً عن مصر والمسلمين ، له بعض الكتب عن الحروب الصليبية .

- **غ . فون جرونباوم** G. von Grunbaum

من أصل ألمانى يهودى ، مستورد إلى أمريكا للتدريس بجامعاتها ،وكان أستاذاً بجامعة شيكاغو ، من ألد أعداء الإسلام ، وفى جميع كتاباته تخبط واعتداء على القيم الإسلامية والمسلمين ، كثير الكتابة ، وله معجبون من المستشرقين . ومن كتبه :

- (إسلام العصور الوسطى) صدر فى عام ١٩٤٦ .
- (الأعياد المحمدية) صدر فى عام ١٩٥١ .
- (محاولات فى شرح الإسلام المعاصر) صدر فى عام ١٩٤٧ .
- (دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية) صدر فى عام ١٩٥٤ .
- (الإسلام) مجموعة من المقالات المتفرقة ، صدر فى عام ١٩٥٧ .
- (الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية) ، صدر فى عام ١٩٥٥ .

- **فيليب حتى** P.H. Hitti

لبنانى مسيحى تأمرك ، كان أستاذاً بقسم الدراسات الشرقية بجامعة برنستون بأمريكا ثم رئيساً لهذا القسم ، وهو الآن بالمعاش . من ألد أعداء الإسلام ، ويتظاهر بالدفاع عن القضايا العربية فى أمريكا ، وهو مستشار غير رسمى لوزارة الخارجية الأمريكية في شئون الشرق الأوسط ، يحاول دائماً أن ينتقض دور الإسلام فى بناء الثقافة الإنسانية ، ويكره أن ينسب للمسلمين أى فضل ؛ فقد كتب – على سبيل المثال – فى (دائرة المعارف الأمريكية) طبع سنة ١٩٤٨ تحت عنوان (الأدب العربى) ص ١٢٩ يقول : « ولم تبدأ أمارات الحياة الأدبية الجديدة بالظهور إلا فى القسم الأخير من القرن التاسع عشر ، وكان الكثرة من قادة هذه الحركة الجديدة نصارى من لبنان ، تعلموا واستوحوا من جهود المبشرين الأمريكيين) . ومحاولات « حتى » انتقاص

فضل الإسلام والمسلمين ليست فقط قاصرة على العصر الحديث ، ولكنها تنطبق على جميع مراحل التاريخ الإسلامى كما هو موضح فى كتبه نذكر منها :

– (تاريخ العرب) ظهر بالإنجليزية وأعيد طبعه عدة مرات ، وهو ملىء بالطعن فى الإسلام والسخرية من نبيه ، وكله حقد وسم وكراهية . انظر مثلا مجلة « الإسلام » بالإنجليزية Al-Islam التى تصدر فى كراتشى – باكستان ص ١٣٨ من عدد أبريل سنة ١٩٥٨ ، ص ١٤٦ من عدد أول مايو سنة ٥٨ .

– (تاريخ سوريا) .

– (أصل الدروز وديانتهم) صدر فى سنة ١٩٢٨ .

● **ا . ج . فينسينك**

عدو لدود للإسلام ونبيه ، كان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى ، ثم أخرج منه على أثر أزمة أثارها الدكتور الطبيب حسين الهوارى مؤلف كتاب (المستشرقون والإسلام) صدر فى سنة ١٩٣٦ . وحدث ذلك بعد أن نشر فينسينك رأيه فى القرآن والرسول : مدعياً أن الرسول ألف القرآن من خلاصة الكتب الدينية والفلسفية التى سبقته ، انظر (المستشرقون والإسلام) ص ٧١٠ وما بعدها . هذا والمعروف لفينسينك ، كتاب تحت عنوان (عقيدة الإسلام) صدر فى سنة ١٩٣٢ .

● **كينيت كراج**

أمريكى شديد التعصب ضد الإسلام ، قام بالتدريس فى الجامعة الأمريكية . بالقاهرة لفترة من الوقت ، والآن رئيس تحرير مجلة « العالم الإسلامى » الأمريكية التبشيرية ، ورئيس قسم اللاهوت المسيحى فى هارتفورد « ومتعهد » مبشرين ، ومن كتبه (دعوة المئذنة) ، صدر فى عام ١٩٥٦ .

● **لوى ماسينيون** L. Massignon

أكبر مستشرقى فرنسا المعاصرين ، ومستشار وزارة المستعمرات الفرنسية فى شئون شمال أفريقيا ، والراعى الروحى للجمعيات التبشيرية الفرنسية فى مصر ، زار العالم الإسلامى أكثر من مرة ، وخدم بالجيش الفرنسى خمس سنوات فى الحرب العالمية الأولى ، كان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى ، والمجمع العلمى

العربى فى دمشق ، متخصص فى الفلسفة والتصوف الإسلامى ، ومن كتبه : (الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام) ، صدر فى سنة ١٩٢٢ وله كتب وأبحاث أخرى عن الفلسفة والتصوف ، وهو من كبار محررى « دائرة المعارف الإسلامية » .

- **د . ب . ماكدونالد** D.B. Macdonald

أمريكى من أشد المتعصبين ضد الإسلام والمسلمين ، يصدر فى كتاباته عن روح تبشيرية متأصلة . من كبار محررى « دائرة المعارف الإسلامية » ومن كتبه :

– (تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام) صدر سنة ١٩٠٣ .

– (الموقف الدينى والحياة فى الإسلام) صدر سنة ١٩٠٨ .

- **مايلز جرين** M. Green

سكرتير تحرير مجلة « الشرق الأوسط » .

- **مجيد خورى**

مسيحى عراقى ، رئيس قسم دراسات الشرق الأوسط بجامعة جون هوبكنز فى واشنطن ، ومدير معهد الشرق الأوسط للأبحاث والتربية بواشنطن ، متعصب حقود على الإسلام وأبنائه ، ومن كتبه المشحونة بالطعون والأخطاء : « الحرب والسلام فى الإسلام » صدر فى سنة ١٩٥٥ ، وله مقالات أخرى .

- **د . س . مرجوليوث** D.S. Margoliouth

إنجليزى متعصب ضد الإسلام ، ومن محررى « دائرة المعارف الإسلامية » . كان عضواً بالمجمع اللغوى المصرى والمجمع العلمى فى دمشق . ومن كتبه :

– (التطورات المبكرة فى الإسلام) صدر فى سنة ١٩١٣ .

– (محمد ومطلع الإسلام) ، صدر فى سنة ١٩٠٥ .

– (الجامعة الإسلامية) ، صدر فى سنة ١٩١٢ .

- **ر . ا . نيكولسون** R.E. Nicholson

كان من أكبر مستشرقى إنجلترا المعاصرين ، ومن محررى (دائرة المعارف) تخصص فى التصوف الإسلامى والفلسفة ، وكان عضوا بالمجمع اللغوى المصرى . وهو من المنكرين على الإسلام أنه دين روحى ، ويصفه بالمادية وعدم السمو الإنسانى ، ومن كتبه :

- (متصوفو الإسلام) ، صدر فى سنة ١٩١٠ .
- (التاريخ الأدبى للعرب) ، صدر فى سنة ١٩٣٠ .

- **هارفلى هول**

رئيس تحرير « مجلة الشرق الأوسط » الأمريكية ، وخطورته أنه يوجه سياسة مجلة من أهم المجلات المعنية بشئون الشرق الأوسط السياسية والثقافية فى العصر الحديث .

- **هنرى لامنس اليسوعى** H. Lammens

فرنسى ١٨٧٢ - ١٩٣٧ : من محررى « دائرة المعارف » شديد التعصب ضد الإسلام والحقد عليه ، مفرط فى عدائه وافتراءاته لدرجة أقلقت بعض المستشرقين أنفسهم !! (انظر ص ١٥ - ١٦ من ١ ، من المجلد ٦ يناير سنة ١٩٢٥ من « مجلة جمعية الدراسات الشرقية » الأمريكية ومن كتبه :

- (الإسلام) .
- (الطائف) .

- **يوسف شاخت** J. Shaeht

ألمانى متعصب ضد الإسلام والمسلمين ، له كتب كثيرة عن الفقه الإسلامى وأصوله ، من محررى « دائزة المعارف الإسلامية ، ودائرة معارف العلوم الاجتماعية » ، وأشهر كتبه : « أصول الفقه الإسلامى » .

جدول رقم (٣)

بعض الكتب الخطيرة

المشوهة للإسلام ، والشائعة الانتشار أو لها شبه حجية عند المسلمين

موسوعات :

- « دائرة المعارف الإسلامية » The Encyclopaedia of Islam صدرت بعدة لغات حية ، ويعاد طبعها فى الوقت الحاضر ، وقد ظهر بعض أجزاء الطبعة الجديدة بالفعل .
- « موجز دائرة المعارف الإسلامية » Shorter Encyclopaedia of Islam
- « دائرة معارف الدين والأخلاق » Encyclopaedia of Religion And Ethics (المقالات المتعلقة بموضوعات إسلامية) .
- « دائرة معارف العلوم الاجتماعية » Encyclopaedia of Social Sciences (الموضوعات المتصلة بالإسلام والعرب) .
- « دراسة فى التاريخ » (القسم المتصل بالإسلام ورسوله) من تأليف أرنولد توينى A. Toynbee

الكتـــب :

- « حياة محمد » من تأليف سير وليام موير W. Muir
- « الإسلام » من تأليف الفرد جيوم A. Geom
- « دين الشيعة » من تأليف د . م . دونالدسون D.M. Donaldson
- « تاريخ شارل الكبير » من تأليف القس تيرين Bishop Turpin
- « الإسلام » ظهر بالفرنسية من تأليف هنرى لامنس H. Lammens
- « الإسلام » (تحد لعقيدة) ظهر بالإنجليزية من تأليف المبشر زويمر S.M. Zweimer

- « دعوة المئذنة » ظهر بالإنجليزية من تأليف كينيت كراج K. Cragg
- « الإسلام اليوم » بالإنجليزية من تأليف ا . ج . آبرى A.J. Arbrry
- الترجمة الإنجليزية من وضع ا . ج . آبرى
- « تاريخ مذاهب التفسير الإسلامى » ظهر بالألمانية وترجم إلى العربية من تأليف جولد زيهر Goldziher
- تاريخ العرب » ظهر بالإنجليزية والعربية ، وطبع عدة طبعات ، من تأليف فيليب حتى .
- « اليهودية فى الإسلام » ظهر بالإنجليزية من تأليف إبراهام كاش .
- « عقيدة الإسلام » ظهر بالإنجليزية من تأليف ا . ج . فينسينك Wensink
- « الحلاج الصوفى الشهيد فى الإسلام » ظهر بالفرنسية من تأليف لوى ماسينيون L. Massingon
- « الحرب والسلام فى الإسلام » ظهر بالإنجليزية من تأليف مجيدى قدورى.
- « تطور علم الكلام والفقه والنظرية الدستورية فى الإسلام » ظهر بالإنجليزية من تأليف د . ب . ماكدونالد D.B. Machdonald
- « الاتجاهات الحديثة فى الإسلام » ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية ، من تأليف هـ . ا . ر . جب Gibb
- « طريق الإسلام » ظهر بالإنجليزية وترجم إلى العربية من تأليف جماعة من المستشرقين اشترك فى تأليفه ونشره هـ . ا . ر . جب .
- « التصوف فى الإسلام » ظهر بالإنجليزية ، وترجم إلى العربية من تأليف ر . ا . نيكلسون Nicholson
- « مصادر تاريخ القرآن » بالإنجليزية من تأليف آرثر جيفرى Arthur Jeffry
- « أصول الإسلام فى بيئته المسيحية » بالإنجليزية من تأليف ر . بل R. Bell
- « مقدمة القرآن » بالإنجليزية من تأليف ر . بل .
- « التطورات المبكرة فى الإسلام » بالإنجليزية من تأليف د . س . مرجوليوث D.S. Margoliouth
- « محمد ومطلع الإسلام » بالإنجليزية ولنفس المؤلف .

- « الإسلام » بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- « الجامعة الإسلامية » بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- « قنطرة إلى الإسلام » ظهر بالإنجليزية من تأليف أريك بيثمان .
- « إسلام العصور الوسطى » ظهر بالإنجليزية من تأليف ج . فون جرونباوم G. von Grunebaun
- « الإسلام » مجموعة مقالات متفرقة ظهرت بالإنجليزية للمؤلف السابق .
- « الأعياد المحمدية » بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- « الوحدة والتنوع فى الحضارة الإسلامية » بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- « دراسات فى تاريخ الثقافة الإسلامية » بالإنجليزية ولنفس المؤلف .
- « محاولات .. فى شرح الإسلام المعاصر » مجموعة مقالات ظهرت بالإنجليزية لنفس المؤلف .

الدوريات

- « مجلة العالم الإسلامى » The Muslim World مجلة تبشيرية تصدر بالإنجليزية فى هارتشورد بأمريكا ، وتوزع فى جميع أنحاء العالم .
- « مجلة العالم الإسلامى » Le Monde Musalman مجلة تبشيرية تصدر بالفرنسية فى فرنسا ، وتوزع فى جميع أنحاء العالم .
- مجلة جمعية الدراسات الشرقية » أنشأها المستشرقون الأمريكيون فى جامبير Gombier بولاية أوهايو Ohio وكان لها بعض فروع فى أوروبا وكندا .
- « مجلة شئون الشرق الأوسط » تصدر بالإنجليزية فى أمريكا ، ويحررها عدد من المستشرقين المعادين للعرب والمسلمين ، واهتمامها موجه فى الدرجة الأولى إلى الجوانب السياسية ...
- « مجلة الشرق الأوسط » مجلة أمريكية سياسية تتعرض للإسلام من وقت لآخر فى بعض المقالات ...

فهرست الموضوعات

صفحة

المقدمة ٥

تمهيد ٩

الفصل الأول

المنهج الإسلامى للدراسات التاريخية فى ضوء الدراسات المعاصرة ضرورة شرعية ١٣

الفصل الثانى

فحص بعض الموسوعات التاريخية والمراجع والمناهج التى تعرض التاريخ الإسلامى بمعزل عن المنهج الإسلامى للدراسات التاريخية ٢٣

الجزء الأول :

الموسوعات التاريخية ٢٧

الجزء الثانى :

المبحث الأول : المراجع الأخرى ٣٩

المبحث الثانى : ١ - الدعوة إلى الإسلام ٤٨

٢ - الحضارات السامية القديمة ٤٩

المبحث الثالث : تاريخ مسلمى أسبانيا ٥١

المبحث الرابع : قصة الحضارة ٥٧

المبحث الخامس : ١ – الحضارة العربية الإسلامية ٧٠
٢ – الشرق الخالد ٧٤
٣ – الموسوعة العربية ٧٧
٤ – سياسة الاستعمار والصهيونية
تجاه فلسطين ٧٨
المبحث السادس: ١ – تاريخ التمدن الإسلامى ٧٩
٢ – تاريخ الإسلام السياسى والدينى ٨٥
المبحث السابع : دراسات تاريخية من القرآن الكريم فى بلاد العرب تأليف الدكتور محمد بيومى مهران ٩٠
دائرة: معارف القرن العشرين ١٢٨
المبحث الثامن : ١ – حضارة مصر والشرق القديم ١٢٩
٢ – خلافة بنى أمية تأليف نبيه عاقل ١٣٠
٣ – فجر الإسلام أحمد أمين ١٣٨
٤ قرطبة حاضرة الخلافة فى الأندلس................ ١٤٠

الجزء الثالث :

فحص وتقويم بعض مواد الدراسات التاريخية
تمهيد ١٤٣
المبحث الأول : الأسباب التاريخية ١٤٥
المبحث الثانى الأسباب التى تتعلق بتسمية المواد ١٥٥
المبحث الثالث : الأسباب التى تتعلق بالمنطلقات الفكرية ١٥٨

الجزء الرابع :

الفحص والتقويم ١٦١
تمهيد ١٦١
المبحث الأول : مادة العرب قبل الإسلام ١٦٣
المبحث الثانى : مادة مصر والشرق الأدنى القديم ١٧٣
المبحث الثالث : مادة الاغريق والروم ١٧٧

الجزء الخامس :
النتائج ١٨٣

الفصل الثالث

الجزء الأول :
التصور العام المقترح لمواد التاريخ الإسلامى فى ضوء الكتاب والسنة ١٨٧
الجزء الثانى :
المواد التفصيلية البديلة
المبحث الأول : المدخل إلى الدراسات التاريخية ١٩٩
المبحث الثانى : أرض الرافدين ٢٠١
المبحث الثالث : جزيرة العرب منذ أقدم العصور ٢٠٤
المبحث الرابع : مصر منذ أقدم العصور ٢١٠
المبحث الخامس: بلاد الشام ٢١٢
المبحث السادس: أوروبا منذ أقدم الدهور ٢١٥
الجزء الثالث :
المنهج
المبحث الأول : مفهوم العلم ومنهج تلقيه ٢١٩
المبحث الثانى : ضوابط منهج العلم ٢٢٧
الخاتمة ٢٣٥
المصادر والمراجع ٢٤١

ملحق :

جدول رقم ١ المستشرقون المعاصرون . ٢٤٥
جدول رقم ٢ الخطرون من المستشرقين . ٢٥٧
جدول رقم ٣ بعض الكتب الخطيرة . ٢٦٣

سلسلة أخطاء يجب أن تصحح فى التاريخ
للدكتور / جمال عبد الهادى ، والدكتورة / وفاء محمد

- منهج كتابة التاريخ الإسلامى . لماذا ؟ وكيف ؟ .
- الإسلام دين الله فى الأرض وفى السماء .
- جزيرة العرب – الجزء الأول .
- جزيرة العرب – الجزء الثانى .

(سيرة إبراهيم وإسماعيل وهاجر عليهم السلام وتاريخ حرم الله الآمن) .

- ذرية إبراهيم عليهم السلام والمسجد الأقصى .
- استخلاف أبو بكر الصديق رضى الله عنه .
- إفريقيا التى يراد لها أن تموت جوعاً .
- الطريق إلى بيت المقدس (القضية الفلسطينية) جزءان .